عشرون كتابا في مهمات الإسلام

للفرد . للأسرة . للمجتمع

تأليف
مجموعة من أهل العلم

ألف بينها ورتبها
عماد بن صابر المرسي البناوي

التوزيع الناشر
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

الطبعة الأولى للكتاب
شهر شعبان ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



الإدارة : ١٤ شارع سويلم من شارع الهرم - الطالبية - خلف مسجد الأنصار تليفون : ٨٦٨٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة جامع هذه الرسائل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فماله من هاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربى وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيداً ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] - ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله ، فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

فمما يقرره العالمون أننا فى عصر فترت فيه الهمم ، وتفرقت فيه العزائم تفرقاً مزرياً مودياً بها إلى الظلمات والسبات المهين ، فما يجد المرء وقتا للإقبال على إصلاح دينه ، إلا لمحات يسترقها ، وينتهزها الرجل القوى العزيمة المهتم بمعالى الأمور المتجه إلى الآخرة بقلبه ينتهز تلك اللمحات فيبذلها فى مطالعة العلوم الشرعية ويتلقفها متدبرا واعيا ، فينصرف بها عن الهموم المهلكة ، والطامات الطاغية على قلوب من حوله الذين أشربوا فيها الدنيا ، فضاقت عليهم بما رحُبت ، واصطبغوا بصبغ المشركين ، وتشبهوا بالكافرين ، وكبرت في أعينهم مسالك الهالكين ، بل ازدادوا فى الخبال أن أطلق عليهم القوم أنهم متنورون ! فيا حسرتا على أبناء جلدتنا الذين ذُلوا لأذل الأمم وهووا إلى

دركات الظُّلَم ، وكان لابد لهم من الإفاقة إلى غياث الأمم ، دينهم القويم خير النعم ، فما لهم عن التذكرة معرضين ! تنمروا لسلف أمتهم المكين ، وابتعدوا عن سبيل الهداة المهديين فما لهم من ناصرين ، وما اكتسبوا بذلك سوى الصغار والهوان المهين ، فوقفة أيها التائهون ﴿ يا قوم إنما هـذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار ﴾ { غافر : ٣٩ } ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ { محمد : ٣٨ }

« يا أسفَى على ما فرطنا في جنب الله ، واتخذنا القرآن مهجورا ، وجانبنا سنة نبينا وهديه ﷺ ونفرنا عنهما نفورا ، وتركنا التدبر والتفكر في القرآن ، وأهملنا ما أمر الله به من النظر فيما أوتينا من الهدى والفرقان ، فكيف تفتح أقفال قلوبنا وتستنير أعمالنا بنور العلم والإيمان ، أو ليس هذا أوضح دليل على أنه لم يتمكن فى قلوبنا الإيمان ، ولم يستقر فى صدورنا شيء من الإيقان ولهذا لا تظهر فى أعمالنا آثار الانقياد وطاعة الرحمن ، وذهب عنا ما كان من كرامة الشهادة على الأمم عند الملك الديان ، ونرى النفوس تشمئز عن الدين وقد أمر الله أن لا نجد فى أنفسنا حرجا مما قضى الله ورسوله ، ونسلم برضى القلوب تسليما »[١] .

وإننى لما أمعنت النظر فى أحوالنا ، أحببت جمع ما قد يوقظ النيام من غفلتهم فينتبهون إلى دعوتهم وغايتهم ، فنظرت فى متناثر ما صنفه الأفذاذ وانتبهت إلى بعضه ، فوقع فى خاطرى جمع ما افترق من الرسائل اليسيرة الفهم ، الصغيرة الحجم ، الكثيرة العلم ، الفاذة النظم في مجلد واحد يجمع من العلوم فنونا ، يكون لقليل الهمة معينا ، ولطالب العلم عيونا ، يستقى منها مفاتيح العلوم ، وابتدأته بعلوم القرآن الكريم برسالة « القواعد الذهبية لحفظ القرآن الكريم ، وهى للشيخ الفاضل : « عبد الرحمن عبد الخالق » – حفظه الله تعالى – علّها تساعد فى شحذ الهمم إلى حفظ كتاب رب العالمين الذى تعبَّدنا بتلاوته وصح عن نبينا ﷺ أن خيرنا من تعلمه وعلمه فهنيئا له غايته .

ووقفت على كتاب « قبسة من أنوار الوحى » للشيخ الفاضل « محمد تقى الدين الهلالى » – رحمه الله تعالى –، وهو من أفاضل علماء المغرب السائرين على نهج السلف

(١) مقدمة شرح الأدب المفرد ص ٣٢ بتصرف يسير .

الصالح والذى كان له سبق التدريس فى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - حرسها الله بفضله ومَنِّه - فوجدت فى هذا الكتاب شذرات مسلوكة بالعلم النافع في علوم القرآن والسنة بطريقة السؤال والجواب ، والتى كان للمسلمين السبق في سن هذه الطريقة ذات النتائج الباهرة في التعليم بكافة مراحله ، ألا تتذكر كيف جاء أمين الوحى جبريل عليه السلام يعلِّم الصحابة رضوان الله عليهم بسؤالاته للنبي ﷺ . ورأيت أنه يلزم لصاحب القرآن ما يعينه على فهم ما قد يُغلق عليه حال تلاوته كما أنه فى حاجة أيضًا إلى معرفة علومه وكيفية نزوله ، مكيه ومدنيه ، وآداب تلاوته ، وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ، لذلك ضممت هذه إلى أختها الأولى فكانت الثانية .

ثم لا يخفى على مبصر حال أمتنا المتدني في البعد عن العقيدة الصحيحة ، والانخراط في غياهب الشرك الأثيمة من ظلمات المتكلمين وعقائد الزائغين ، فكانت الرسالة الثالثة التي جاءتنا من السلف الأول يسيرة سهلة بلا تعقيد مذموم تشرح وتقرر مسلك أهل السنة في مسائل العقيدة الصافية البعيدة عن شؤم الضلال وأهله ومؤلفها هو الإمام « الحسن بن علي بن خلف البربهاري » المتوفى سنة ٣٢٩ هـ [(١)] والتي صاغها نُصرة للسنة وأهلها ، وكان قد أورد معظمها الإمام أبو يعلي فى طبقات الحنابلة ، وكنت أظنه مصنفًا كبيراً إلى أن وقفت على طبعة حديثة أصدرتها « دار ابن القيم بالسعودية » وحققها الدكتور « محمد بن سعيد القحطاني » - جزاه الله خيرا - وهو أستاذ العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، على مخطوطة عثر على مصورة عنها من المكتبة المركزية بجامعة أم القرى (رقم ١٣ مجاميع) فتبين لي صغر حجمها وأن المخطوط لا يزيد عن الموجود فى الطبقات سوى الأربع فقرات الأولى من الكتاب فقط ، فحفزني يسر الرسالة ، وسهولتها ، وشمولها بالشرح والبيان على ما نحن في أمس الحاجة إليه في هذا الوقت المتشبع أهله بألوان شتى من البدع والمهلكات إلى ضمها للرسالة لهذا المجموع ، وأفدت من مطبوعة الدكتور « محمد بن سعيد » تقسيمه للرسالة ، وبعض تعليقاته التي تركتها وعزوتها إليه - جزاه الله خيرا - .

ثم رأيت - لضرورة الاهتمام بالعقيدة الصافية - ضم رسالة « الإيمان حقيقته

---

(١) ترجمته فى طبقات الحنابلة (٢ / ١٨) وسير أعلام النبلاء (١٥ / ٩) .

وعلاماته وثمراته » للدكتور « عبد الله بن محمد المطلق » الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهى أول رسالة أصدرتها الجامعة فى (سلسلة غذاء الروح) فى شهر صفر من سنة ١٤٠٧ هـ وفيها من اليسر والسهولة ما يُثلج صدر المؤمن ويُثبت فؤاده ، ويُقوي يقينه ، ولن يفلح قوم أضاعوا حقيقة الإيمان ، وفقدوا علاماته ، ومُنعوا ثمراته .

ولتوضيح وبيان محاسن الإسلام جاءت الرسالة الخامسة لفضيلة الشيخ صاحب المؤلفات الجامعة « عبد العزيز المحمد السلمان » ، وأصلها في كتابه الجامع « موارد الظمآن لدروس الزمان » وهى فريدة في بابها ، شاملة في موادها ، ترشد الحائرين ، وتثبت المؤمنين وتبين محاسن هذا الدين ، وتُخرس الغاوين الطاغين الشاردين عن سبيل المؤمنين .

ولمن يريد أن يعرف طبقات المؤمنين في الآخرة حتى يسعى في تبوُّء المراتب العلا عند رب العالمين ، ومن ثَم ينأى بنفسه عن مراتب الهالكين ، بعد أن تتبين له مواقعهم كان سرد الإمام « ابن قيم الجوزية » رحمه الله تعالى لمراتب المكلفين في الآخرة في أواخر كتابه القيم (طريق الهجرتين وباب السعادتين) مما انفرد به في هذا الباب ، وقد عمد إليه الشيخ « عبد الله بن جار الله » - حفظه الله تعالى - فاختصر كلام ابن القيم وقربها ميسرة للقراء محافظاً على أسلوب ابن القيم الممتع البديع ، وأصدرها مفردة عام (١٤٠٤هـ) ورأيت ضمها لهذه المجموعة لتكون السادسة وتركت مقدمة الشيخ «عبدالله » وكذا تعليقاته كما هي .

وفي عصرنا ازدادت الهجمات الشرسة على السنة وأهلها ، ويا ويلهم الذين أطلقوا العنان لأقلامهم للتشكيك في السنة ، وإنكار الأحاديث الصحيحة وردها دون برهان سوى غلبة الهوى وطاعة الشيطان ، وازدياد التشرذم والهوان ومحاربة أهل السنة عباد الرحمن .

وكان لا بد لمجموعنا شيء من حديث رسول الله ﷺ ، فكان اختيارى للأربعين النووية والتي كتب الله لها كثرة الانتشار بين الناس لتكون الرسالة السابعة ، وقد تخيرها الإمام النووى بدقة بالغة وحرص أن يكون كل حديث منها - كما قال فى مقدمتها - قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه أو هو نصف

الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك . وتخيرت لكل حديث عنوانا يترجم بعض ما يرشد إليه الحديث مع بعض التعليقات اليسيرة المستمدة من كلام العلماء ، ولتيسير مصطلح الحديث وعلوم السنة ، رأيت قبسة الدكتور « محمد تقي الدين الهلالي »السابقة الذكر مناسبة لهذا المجموع ، وقد علقت عليها بعض التعليقات اليسيرة ، وكانت هي الرسالة الثامنة .

ومما هو معلوم أن أحكام الطهارة ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، لا يستغنى عنها مؤمن ولتثبيت المفاهيم الصحيحة لهذه الأحكام ، وبيانها بأسلوب يسير يسهل فهمه واستيعابه لعامة الناس ، جعلت الرسالة التاسعة فى أحكام الوضوء ، والغسل ، والصلاة ، لفضيلة العلامة المعروف الشيخ « محمد بن صالح بن عثيمين »وكذلك الرسالة الحادية عشرة له فى أحكام الصيام ، والتراويح ، والزكاة ، وبينهما رسالة العلامة الورع سماحة « الشيخ عبد العزيز بن باز » فى أحكام تجهيز الميت والصلاة عليه ، أما أحكام الحج والعمرة فغالبا تكون الحاجة إليها فى رسالة منفصلة يصطحبها الحجاج معهم ، ويوجد الكثير من الرسائل الصغيرة المنفصلة في هذا الأمر أذكر منها بعضها إرشادًا لمن يريد الحج المبرور منها رسالة العلامة « محمد ناصر الدين الألبانى » « مناسك الحج والعمرة » ، ورسالة الشيخ العلامة « عبد العزيز بن باز » « دليل الحاج والمعتمر » أو « التحقيق والإيضاح » وكذلك « تذكرة الحج والعمرة » للشيخ « رجائى المكى المصرى » وغيرهم كثير

وليعرف الإنسان الشر فيتقيه كانت الرسالة الثانية عشرة « التبيان فيما يبطل عمل الإنسان » وهى رسالة كان قد أعدها مجموعة من شباب مسجد سعيد بن جبير فى كيفان بدولة الكويت – أعادها الله إلى أهلها ورفع كرب المسلمين – وكان الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق – حفظه الله تعالى – قد راجعها ، ورأيت فائدتها وسهولتها فأرفقتها بهذا المجموع

وحثا لأولياء الأمور فى تقوى الله عز وجل فى أولادهم وتيسير أمور الزواج ، وتصحيح أساليب الناس فى الزواج ، ولخطورة هذا الأمر كانت الرسالة الثالثة عشرة

وهى « دعوة الشباب إلى الزواج المبكر وفضله وعواقبه الحميدة » وهى لفضيلة الشيخ العلامة سليمان بن محمد الحميضى قاضى المحكمة المستعجلة الثانية بمكة المكرمة سابقاً ، وقد أتاح له عمله هذا الاطلاع عن قرب على مواطن الداء ووضع يده عليه فعالجه معالجة فائقة من نواحٍ شتى جزاه الله خيراً .

ولا يخفى على مبصرٍ ذلك الانحطاط الخلقى الذى نزل بساحتنا وانتشر بين بنى جلدتنا ، والذى أوردنا المهالك؛ وأنبت فينا المخازي ، فكان لابد من إعادة النظر وإرساله يمنة ويسرة لإصلاح هذا الخلل المدمر ، فوقفت على رسالة توقظ فينا بعضا من خلق سلفنا القويم الذين ضربوا فائق الأمثلة في الخلق المتين وهى رسالة « أخلاق الشباب المسلم » للشيخ الدكتور « محمد تقي الدين الهلالي » – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – ذكر فيها طرفا من الخلق الحسن الذي به تتفاوت الأمم ارتقاء وانحطاطا . ولم يقصد فيها السرد ولا التفصيل وإنما ضَربَ لبعض الأمثلة علَّها تُحيي فينا وتُذَكر بماضى أمتنا العريق ، ووجّهها – رحمة الله عليه – إلى الشباب الذي به تسعد الأمم ، وتقوم على سواعده ، لكن ذلك مشروط بأن يُعتنى به ويربى التربية الحقيقية المستمدة من شرعنا الحنيف . وكانت قد نُشرت فى مجلة الجامعة الإسلامية في ثاني عدد لها (عام ١٣٨٩ هـ) وتتمة لها رأيت وضع رسالة فضيلة الشيخ العلامة « حسنين مخلوف »[(١)] – رحمه الله تعالى - والتي كانت في الأصل محاضرة ألقيت في موسم الحج عام (١٣٨٨ هـ) بعنوان «المثل العليا في الإسلام » بين فيها فضيلته صفات عباد الرحمن ، بأسلوبه السهل الرصين ، فجاءت الرسالة مختصرة يسيرة جعلتها الخامسة عشرة فى هذا المجموع .

ثم إن أشنع الصفات الممقوتة والخلق الذميم هو النفاق ، الذي قد يؤدى بصاحبه إلى الخروج من الملة وبالتالى إلى الدرك الأسفل من النار ، وله دركات وعلامات ينبغى للمؤمن معرفتها حتى يفر منها فراره من الهلاك ، وحتى يتسنى له ذلك جعلت الرسالة السادسة عشرة فى « النفاق وأضراره وصفات المنافقين » لفضيلة الشيخ على الحذيفي المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية – حفظه الله تعالى – وكانت فى الأصل

---

(١) توفى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف يوم الأحد ١٩ من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ الموافق للخامس عشر من شهر إبريل ١٩٩٠ م – رحمه الله بمنه وكرمه .

محاضرة ألقاها الشيخ في موسم الجامعة الثقافي لعام (٩٨ / ١٣٩٩ هـ) وألقاها مساء (٢٣ / ٤ / ١٣٩٩ هـ)

ثم لمعرفة الصراع بين الشيطان ومحاولته المستميتة في إضلال الإنسان جعلت الرسالة السابعة عشرة ليتسنى للمسلم الواعي الانتصار على أعتى أعدائه لينال رضى الله عز وجل ، وهذه الرسالة هي للأخ الفاضل « وحيد عبد السلام بالى » - حفظه الله تعالى - وعنوانها « معركة الشيطان مع بني الإنسان » .

وكانت الرسالة الثامنة عشرة لمعالجة التصدع في صفوف الأمة المحمدية الناتج عن الفرقة والاختلاف وهي للشيخ الجليل « عبد الله بن محمد الغنيمان » رئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية - حفظه الله تعالى - بيَّن فيها هذا الداء العضال الذي استشرى فينا لِتَغَلُّب الأهواء والعصبيات الممقوتة وسماها - حفظه الله تعالى - « ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة » ، ونُشرت أولا في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٦٥ ، ٦٦ لعام ١٤٠٥ هـ)، وعلى صغر حجمها فقد جمعت فأوعت ، فسارعت بضمها لهذا المجموع ، وزاد في تخريجها الأخ الفاضل « عبد الرحمن فودة » ، وضعتها بين معكوفتين هكذا { } ، ثم كان معها وفي نفس العدد عنوان « الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها » للدكتور « أحمد بن سعد حمدان الغامدي » الأستاذ بالجامعة والذى أخرج كتاب العلامة اللالكائي « أصول اعتقاد أهل السنة » - جزاه الله خيراً - فنظرت فيها فرأيت فيها الدعوة الواعية لجمع شمل هذه الأمة حتى تكون أمة هادية رائدة ، تتغلب على عراقيل الأعداء وأهواء الأصدقاء ، وتكون غايتها رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نهج السلف الصالح الأمين مخلصين لها تاركين لكل العصبيات والتحزبات فاهمين لمقاصدها ، واعين بمتطلباتها عاملين بها ، وبهاتين الرسالتين نحاول شحذ همم المخلصين من هذه الأمة ، لتدارك الأمل في جمع شمل هذه الأمة التي تغط في سبات عميق وقد شملها عذاب الفرقة ، وفارقتها رحمة الجماعة فما طاب لها عيش ، ولا استكان لها أمر ، وصدق النبي ﷺ عندما قال : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » [1] . فهلموا إلى بحبوحة الجنة ودعوا

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد وابنه في زوائد المسند (٤/٢٧٨ . ٣٧٥) وغيرهما ، الصحيحة/٦٦٧.

الشيطان وحزبه .

« عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد ، ومن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة »[1] .

ورأيت ختام هذا المجموع المباركَ - إن شاء الله تعالى - في بيان كلمة التقوى والتوحيد « لا إله إلا الله » ورأيت رسالة العلامة الشيخ سعيد بن حجى - رحمة الله عليه - جامعة لذلك ، مبينة أصل التوحيد ونواقضه ، وفوائد كلمة التوحيد وفضلها وكان قد طبعها الشيخ « محمد رشيد رضا » - رحمه الله تعالى - وجعلها في مجموعة الرسائل النجدية وعليها كانت هذه الطبعة ، وتركت تعليقات الشيخ « رشيد رضا » كما هي ، إلا أننى زدت بعض التعليقات التى وجدتها مناسبة ، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ما قصدنا إليه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ولقد حرصت في الاختيار لهذا المجموع على انتقاء الرسائل المفيدة المختصرة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، حتى يخرج المجموع بستاناً يحوي ثمارًا يانعة متنوعة طيبة ينهل منها الراغب ما يريد ، متنقلا في روضاته ، متنعما بنتاجه . وهذا ما دعاني إلى جمع هذا المجموع ، والذي سيتلوه بعون الله تعالى مجموعات عدة للنساء والرجال، في سيرة النبي ﷺ والجهاد والسير والدعوة الإسلامية وغير ذلك . وقد توخيت قلة التعليقات ويُسرها وكل تعليقة بخلاف تعليقات المؤلف ميزتها بميزة ، وكانت هذه التعليقات والتحقيقات من رأس القلم ، وأسأل الله تعالى أن ييسر لى الوقت الذى أعطى فيه هذه المجاميع حقها ، إلا أننا نأمل أن لا نعدم نصيحة الناصحين ، وإرشاد ذوى العلم والفضل العاملين ، وأتوجه بالشكر إلى كل من أعانني في هذا المجموع من أهل الخير والفضل ، جعلنا الله وإياهم وجميع المسلمين فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، والله خير معين وخير مسئول .

جامع هذه الرسائل

عماد بن صابر بن المرسى فنجر البناوي

٢٧ من شهر رجب الفرد ١٤١١ هـ

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي والحاكم وغيرهما (السنة لابن أبي عاصم رقم ٨٨) .

الرسالة الأولى :

القواعد الذهبية لحفظ

القرآن الكريم

كتبها

عبد الرحمن بن عبد الخالق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

القرآن كتاب الله الخالد المعجِز المنزَّل على عبده ورسوله وخاتم رسله محمد ﷺ ، والذى أذن الله بحفظه من أن يغيَّر أو يُبَدَّل ، أو يُزاد فيه ، أو يُنقَص منه .

﴿ إنَّا نحن نَزَّلْنا الذِّكْر وإنَّا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩]

وهو الكتاب الذى بين أيدينا فى مشارق الأرض ومغاربها : الكتاب الذى تلقَّاه الرسول من جبريل ، وجبريل من رب العِزَّة تبارك وتعالى ، والذى بلَّغَه رسول الله ﷺ إلى أصحابه الأطهار ، وحملة الدين السَّفرة البررة الكرام ، والذى جمعه الصِّدِّيق بإشارة الفاروق ، ودوَّنه ذو النورين عثمان ، وأجمعت الأمة المسلمة عليه .

هذا الكتاب هو دستور المسلمين وشريعتهم ، وصراطهم المستقيم ، وحبل الله المتين ، وهدايته الدائمة ، وموعظته إلى عباده ، آية صدق رسوله الباقية إلى آخر الدنيا ، وهو سبيل عزِّ المسلمين فى كل العصور والدهور .

ولما كان القرآن كذلك تعبَّدَنا الله بتلاوته ، وجعل خيرنا من تَعَلَّمَهُ وعَلَّمَهُ ، وأخبر النبى أن من قرأ حرفًا واحدًا منه كان له به عشر حسنات ، وأن من قرأه وهو يتعتع فيه فله أجران ، ومن كان ماهرًا به كان من السفرة الكرام البررة من الملائكة يوم القيامة ، وأن قارىء القرآن الحافظ له يقال له يوم القيامة : اقرأ ورَتِّل ، وارْقَ كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

فلا يزال يرقى فى منازل الجنة حتى ينتهى آخر حفظه . وهذه منزلة عظيمة ليست لأحد إلا لحافظ القرآن .

ولما كان هذا فضل حفظ القرآن ، فإنى أحببت أن أضع بين يَدَىْ إخوانى بعض القواعد العامة التى تساعدهم فى حفظ القرآن ، ولينالوا هذه المنزلة العظيمة ، أو بعضًا منها ، وما لا يدرك كله فلا بأس بإدراك بعضه أو جُلّه . وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

القاعدة الأولى

الإخلاص :

وجوب إخلاص النية ، وإصلاح القصد ، وجعل حفظ القرآن والعناية به من أجل الله سبحانه وتعالى ، والفوز بجنّته ، وحصول مرضاته ، ونيل تلك الجوائز العظيمة لمن قرأ القرآن وحفظه . قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصًا له الدين ، ألا لله الدِّين الخالص ﴾ [الزمر : ٢ ، ٣] ، وقال تعالى : ﴿ قل إنى أُمِرْتُ أن أعبد الله مخلصًا له الدين ﴾ [الزمر : ١١] .

وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى :

(أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركْه) متفق عليه .

فلا أجر ولا ثواب لمن قرأ القرآن وحفظه رياء ، أو سمعة ، ولا شك أن من قرأ القرآن ، مريدًا الدنيا ، طالبًا به الأجر الدنيوى فهو آثم .

القاعدة الثانية

تصحيح النطق والقراءة :

أول خطوة فى طريق الحفظ بعد الإصلاح هى وجوب تصحيح النطق بالقرآن . ولا يكون ذلك إلا بالسماع من قارىء مجيد ، أو حافظ متقن ، والقرآن لا يؤخذ إلا بالتلقّى . فقد أخذه الرسول وهو أفصح العرب لسانًا من جبريل شفاها ، وكان الرسول نفسه يعرض القرآن على جبريل كل سنة مرة واحدة فى رمضان ، وعرضه ﷺ فى العام الذى توفى فيه عرضتين (رواه البخارى) ، وكذلك علمه الرسول ﷺ لأصحابه شفاها ، وسمعه منهم بعد أن أخذوه جيلا بعد جيل . وهذا هو الواجب الآن ، أخذ القرآن مشافهة من قارىء مجيد ، وتصحيح القراءة أولاً بأول ، وعدم الاعتماد على النفس فى قراءة

القرآن ، حتى ولو كان الشخص ملمًا بالعربية وعليمًا بقواعدها ، وذلك أن فى القرآن آيات كثيرة قد تأتى على خلاف المشهور من قواعد العربية .

القاعدة الثالثة

تحديد نسبة الحفظ كل يوم :

يجب على مريد حفظ القرآن أن يحدد ما يستطيع حفظه فى اليوم : عددًا من الآيات مثلا ، أو صفحة أو صفحتين من المصحف ، أو ثُمنًا للجزء وهكذا . فيبدأ بعد تحديد مقدار حفظه وتصحيح قراءته بالتكرار والترداد ، ويجب أن يكون هذا التكرار مع التَّغَنِّى . وذلك لِيَتْبَع أولاً ، وليثبت الحفظ ثانيًا ، وذلك أن التَّغَنِّى بإيقاع محبب إلى السمع يساعد على الحفظ ، ويعوِّد اللسان على نغمة معينة فيتعرَّف بذلك على الخطأ رأسًا عندما يختل وزن القراءة والنغمة المعتادة للآية ، فيشعر القارىء أن لسانه لا يطاوعه عند الخطأ ، وإن اختلَّت النغمة فيعاود التذكُّر . هذا إلى جانب أن التغنِّى بالقرآن أمر مطلوب لا يجوز مخالفته لقوله ﷺ : (من لم يتغَنَّ بالقرآن فليس منَّا) { رواه البخارى } .

القاعدة الرابعة

لا تجاوز مقررك اليومى حتى تجيد حفظه تمامًا :

لا يجوز للحافظ أن ينتقل إلى مقرَّر جديد فى الحفظ إلا إذا أتم تمامًا حفظ المقرر القديم ، وذلك ليثبت ما حفظه تمامًا فى الذِّهْن . ولا شك أن مما يعين على حفظ المقرر أن يجعله الحافظ شغله طيلة ساعات النهار والليل ، وذلك بقراءته فى الصلاة السريَّة ، وإن كان إمامًا ففى الجهريَّة ، وكذلك فى النوافل ، وكذلك فى أوقات انتظار الصلوات ، وفى ختام الصلاة ، وبهذه الطريقة يسهل الحفظ جدًا ، ويستطيع كل أحد أن يمارسه ولو كان مشغولاً بأشغال كثيرة ، لأنه لن يجلس وقتًا مخصوصًا لحفظ الآيات ، وإنما يكفى فقط تصحيح القراءة على قارىء ، ثم مزاولة الحفظ فى أوقات الصلوات ، وفى القراءة

فى النوافل والفرائض ، وبذلك لا يأتى الليل إلا وتكون الآيات المقرر حفظها قد ثبتت تماماً فى الذهن . وإن جاء ما يشغل فى هذا اليوم ، فعلى الحافظ ألا يأخذ مقرراً جديداً ، بل عليه أن يستمر يومه الثانى مع مقرره القديم حتى يتم حفظه تماماً .

القاعدة الخامسة

حافظ على رسم واحد لمصحف حفظك :

مما يعين تماماً على الحفظ أن يجعل الحافظ لنفسه مصحفاً خاصاً لا يغيّره مطلقاً ، وذلك أن الإنسان يحفظ بالنظر ، كما يحفظ بالسمع ، وذلك أن صور الآيات ومواضعها فى المصحف تنطبع فى الذهن مع كثرة القراءة والنظر فى المصحف ، فإذا غَيَّر الحافظ مصحفه الذى يحفظ فيه ، أو حفظ من مصاحف شتى متغيّرة مواضع الآيات ، فإن حفظه يتشتت ، ويصعب عليه الحفظ جداً ، ولذلك فالواجب أن يحافظ حافظ القرآن على رسم واحد للآيات لا يغيّره .

القاعدة السادسة

الفهم طريق الحفظ :

من أعظم ما يعين على الحفظ فهم الآيات المحفوظة ومعرفة وجه ارتباط بعضها ببعض . ولذلك يجب على الحافظ أن يقرأ تفسيراً للآيات التى يريد حفظها ، وأن يعلم وجه ارتباط بعضها ببعض ، وأن يكون حاضر الذهن عند القراءة ، وذلك ليسهل عليه استذكار الآيات . ومع ذلك فيجب أيضاً عدم الاعتماد فى الحفظ على الفهم وحده للآيات ، بل يجب أن يكون الترديد للآيات هو الأساس ، وذلك حتى ينطلق اللسان بالقراءة وإن شَتَّ الذهن أحياناً عن المعنى . وأما من اعتمد على الفهم وحده فإنه ينسى كثيراً ، وينقطع فى القراءة بمجرد شتات ذهنه وهذا يحدث كثيراً وبخاصة عند القراءة الطويلة .

القاعدة السابعة

لا تجاوز سورة حتى تربط أولها بآخرها :

بعد إتمام سورة ما من سور القرآن لا ينبغى للحافظ أن ينتقل إلى سورة أخرى إلا بعد إتمام حفظها تمامًا ، وربط أولها بآخرها ، وأن يجرى لسانه بها بسهولة ويُسر ، ودون إعنات فكر وكَدّ فى تذكّر الآيات ، ومتابعة القراءة ، بل يجب أن يكون الحفظ كالماء ، ويقرأ الحافظ السورة دون تَلَكُّؤ حتى ولو شَتَّ ذهنه عن متابعة المعانى أحيانًا . كما يقرأ القارىء منّا فاتحة الكتاب دون عناء واستحضار ، وذلك من كثرة تردادها وقراءتها . ولكن الحفظ لكل سور القرآن لن يكون مثل حفظ الفاتحة إلا نادرًا ، ولكن القصد هو التمثيل ، ثم إن السورة ينبغى أن تَثْبُت فى الذهن مترابطة متماسكة ، وألا يجاوزها الحافظ إلى غيرها إلا بعد إتقان حفظها .

القاعدة الثامنة

التسميع الدائم :

يجب على الحافظ ألا يعتمد على حفظه بمفرده ، بل يجب أن يعرض حِفْظَه دائمًا على آخر ، أو متابع فى المصحف . وحبَّذا لو كان هذا مع حافظ متقن ، وذلك حتى ينبه الحافظ لما يمكن أن يدخل فى القراءة من خطأ ، وما يمكن أن يكون مريد الحفظ قد نسيه من القراءة . أو ردَّده دون وعى ، فكثيرًا ما يحفظ الفرد منا السورة خطأ ، ولا ينتبه لذلك حتى مع النظر فى المصحف . لأن القراءة كثيرًا ما تسبق النظر ، فينظر مريد الحفظ فى المصحف ولا يرى بنفسه موضع الخطأ من قراءته . ولذلك فيكون تسميعه القرآن لغيره وسيلة لاستدراك هذه الأخطاء ، وتنبيهًا دائمًا لذهنه وحفظه .

القاعدة التاسعة

المتابعة الدائمة :

يختلف القرآن فى الحفظ عن أى محفوظ آخر من الشعر أو النثر . وذلك أن القرآن سريع الهروب من الذهن ، بل قال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده لهو أشدّ تَفَلُّتًا من الإبل فى عُقُلِهَا) . (متفق عليه) .

فلا يكاد حافظ القرآن يتركه قليلاً حتى يهرب منه القرآن وينساه سريعًا ، ولذلك فلابد من المتابعة الدائمة والسهر الدائم على المحفوظ من القرآن . وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقّلة . إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت) وقال أيضًا : (تعاهدوا القرآن ، والذى نفسى بيده لهو أشد تفصيًّا من الإبل فى عُقُلها) (أخرجهما البخارى ومسلم) ومعنى تفصيًّا : تفلتًا .

وهذا يعنى أنه يجب على حافظ القرآن أن يكون له وِرْدٌ دائم أقلّه جزء من الثلاثين جزءًا من القرآن كل يوم ، وأكثره قراءة عشرة أجزاء لقوله ﷺ : (من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه) . (متفق عليه) .

وبهذه المتابعة الدائمة ، والرعاية المستمرة يستمر الحفظ ، ويبقى ، وبدونه يتفلّت القرآن .

القاعدة العاشرة

العناية بالمتشابهات :

القرآن متشابه فى معانيه وألفاظه وآياته . قال تعالى :

﴿ الله نزَّلَ أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مَثَانِى تَقْشَعِرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ { الزمر : ٢٣ } .

وإذا كان القرآن فيه نحو من ستة آلاف آية ونَيِّف – فإن هناك نحوًا من ألفى آية فيها تشابه بوجه ما ، قد يصل أحيانًا حد التطابق أو الاختلاف فى حرف واحد ، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر .

لذلك يجب على قارىء القرآن المجيد أن يعتنى عناية خاصة بالمتشابهات من الآيات . ونعنى بالتشابه هنا التشابه اللفظى وعلى مدى العناية بهذا المتشابه تكون إجادة الحفظ ، ويمكن الاستعانة على ذلك بكثرة الاطلاع فى الكتب التى اهتمت بهذا النوع من الآيات المتشابهة ومن أشهرها :

١ – درة التنزيل وغرة التأويل ، فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز – للخطيب الإسكافى .

٢ - أسرار التكرار فى القرآن - لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى وغيرهما .

القاعدة الحادية عشرة

اغتنمْ سِنِىِّ الحفظ الذهبية :

الموفق حتمًا من اغتنم سنوات الحفظ الذهبية ، وهى من سن الخامسة إلى الثالثة والعشرين تقريبًا ، فالإنسان فى هذه السن تكون حافظته جيدة جدًا ، بل هى سنوات الحفظ الذهبية . فدون الخامسة يكون الإنسان دون ذلك ، وبعد الثالثة والعشرين تقريبًا يبدأ الخط البيانى للحفظ بالهبوط ، ويبدأ خط الفهم والاستيعاب فى الصعود . وعلى الإنسان أن يستغل سنوات الحفظ الذهبية فى حفظ كتاب الله أو ما استطاع من ذلك . والحفظ فى هـذه السن يكون سريعًا جدًا ، والنسيان يكون بطيئًا جدًا بعكس ما وراء ذلك ، حيث يحفظ الإنسان ببطء وصعوبة ، وينسى بسرعة كبيرة .

ولذلك صدق من قال : (الحفظ فى الصِّغَر كالنقش على الحجر ، والحفظ فى الكِبَر كالنقش على الماء) . فعلينا أن نغتنم سنوات الحفظ الذهبية ، إن لم يكن فى أنفسنا ففى أبنائنا وبناتنا . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

الرسالة الثانية:

علوم القرآن

في سين وجيم

تأليف
الدكتور الشيخ : محمد تقي الدين الهلالي
رحمه الله تعالى

الباب الأول

تعريف القرآن وتنزيله

س ١ : ما هو القرآن ؟

ج ١ : القرآن هو الكتاب الذى أُنْزِلَ على محمد ﷺ المعجز بأقصر سورة منه .

س ٢ : متى ابتدأ نزول القرآن على النبى ﷺ ؟

ج ٢ : ابتدأ نزول القرآن على النبى ﷺ فى ليلة السابع عشر من رمضان من السنة الحادية والأربعين لمولده ﷺ .

س ٣ : أين نزلت عليه أول آية من القرآن ؟

ج ٣ : فى غار حراء وكان يتحنّث فيه أى يتعبّد . وأول ما نَزَلَ عليه قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علَق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علَّمَ بالقلم . علَّمَ الإنسان ما لم يعلم ﴾ { العلق : ١ - ٥ } .

س ٤ : متى نزلت عليه آخر آية من القرآن وما هى ؟

ج ٤ : آخر ما نَزَلَ عليه من القرآن على المشهور من الأقوال هو قوله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ { المائدة : ٣ } وكان ذلك يوم عرفة فى السنة العاشرة للهجرة والثالثة والستين من عمره .

س ٥ : ما اسم الليلة التى ابتدأ فيها نزول القرآن على النبى ﷺ ؟

ج ٥ : الليلة التى ابتدأ فيها نزول القرآن على النبى ﷺ هى ليلة القدر التى قال الله فيها : ﴿ إنَّا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾ { سورة القدر } وقال فيها : ﴿ إنَّا أنزلناه فى ليلة مباركة

(*) هذه الرسالة هى نبذة استللناها من « قبسة من أنوار الوحى » لفضيلة الشيخ الهلالى - رحمه الله تعالى - وجدناها مناسبة لهذا المجموع ليسرها ونفاستها على صغرها .

إنَّا كنَّا مُنْذِرين . فيها يُفْرَقُ كل أمر حكيم ، أمرًا من عندنا إنَّا كُنَّا مرسلِين ﴾ { سورة الدخان : ٣ – ٥ } ولا نزاع أن هذه الليلة كانت فى شهر رمضان ، قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أُنْزِلَ فيه القرآن هدًى للناس وبَيِّنات من الهُدَى والفُرْقان ﴾ { سورة البقرة : ١٨٥ } .

س ٦ : هل كان النبى ﷺ يخصّ شهر رمضان بشىء من تعبُّده قبل نزول الوحى عليه ؟

ج ٦ : روى ابن إسحق عن أبى قتادة الليثى أن النبى ﷺ كان يجاور فى حراء من كل سنة شهرًا وكان ذلك مما تتحنَّث به قريش فى الجاهلية و (التَّحَنُّثُ : التَّعَبُّدُ) .

س ٧ : هل توجد إشارة فى القرآن إلى تاريخ نزوله ؟

ج ٧ : قد أشار القرآن إلى تاريخ نزوله بقوله تعالى فى { سورة الأنفال : ٤١ } : ﴿ واعلموا أنَّما غنمتم من شىء فأن لله خُمُسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ والمراد بالجَمْعَيْن الملتقيين جمع المسلمين وجمع المشركين فى غزوة بدر وكان ذلك على ما رواه أهل السِّيَر فى يوم السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة وهو اليوم الذى ابتدأ فيه ظهور الإسلام وانتصاره وعُلُوُّ شأنه وعِزَّة أهله وبزوغ شمسه ، ففى هذا اليوم وفى هذا الشهر ظهر فجر الإسلام بنزول الوحى على رسول الله ﷺ وفيه آذن الله بنصره كما قال تعالى فى { سورة آل عمران : ١٣ } ﴿ قد كان لكم آية فى فئتين التَقَتَا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيّد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴾ .

س ٨ : كيف كان ختام الوحى ؟

ج ٨ : تقدَّم أن آخر ما نزل على النبى ﷺ من القرآن آية المائدة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم .... ﴾ الآية . فى السنة العاشرة من الهجرة . قال ابن جرير الطبرى : لم ينزل على النبى ﷺ بعد هذه الآية تحريم شىء ولا تحليله ولم يَعِشِ النبى ﷺ بعدها إلا إحدى وثمانين ليلة (٨١) .

الباب الثانى

تنجيم القرآن

س ٩ : كيف تَلَقَّى المشركون تنجيم القرآن ؟

ج ٩ : تَلَقَّى المشركون تنجيم القرآن بالاعتراض والإنكار ، وقد قال الله تعالى فى { سورة الفرقان : ٣٢ } ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنُثَبِّتَ به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾ وقال تعالى فى { سورة الإسراء : ١٠٦ } ﴿ وقرآنًا فَرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْثٍ ونَزَّلْناه تنزيلاً ﴾ .

س ١٠ : هل يوجد فى القرآن ما يدل على أن الله تكفَّل بحفظه من الضياع ؟

ج ١٠ : نعم ، قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتَّبِع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ { القيامة : ١٦ - ١٩ } . وقال تعالى فى { سورة الحجر : ٩ } : ﴿ إنا نحن نَزَّلْنا الذكر وإنَّا له لحافظون ﴾ .

س ١١ : هل تحقق ما وعد الله به من حفظ القرآن من الضياع والزيد والنقص ؟

ج ١١ : نعم ، ولا يرتاب فى ذلك إلا جاهل أو معاند أو مكابر كاليهودى « جولديت تسيهر » وأمثاله من الأعداء المكاشحين . وقد كفانا مئونة الرد عليهم العلماء المنصفون من الأوربيين « كمرماديوك بكثول » و« دينى » وغيرهما . وهذا من معجزات القرآن ، فإن القرآن محفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان من عهد النبى ﷺ إلى يومنا هذا ، وهو موجود يدرس فى كل صقع ، وتحت كل نجم فى المعمورة أينما ذهبت تجده بحروفه لا يزيد حرفا ولا ينقص ، ولا يوجد كتاب فى الوقت الحاضر ولا فى الماضى يمتاز بهذه الفضيلة ويتحلَّى بهذه الصفة من الكتب المقدَّسة عند الأمم فكلها مختلفة

ومشكوك فى بعضها ، ولم يوجد كتاب وعد الله بحفظه فيما نعلم إلا هذا الكتاب والله لا يخلف الميعاد (*) .

الباب الثالث

المكىُّ والمدنىُّ

س ١٢ : إلى كم ينقسم عهد نزول القرآن ؟

ج ١٢ : ينقسم عهد نزول القرآن إلى مدَّتين متمايزتين .

س ١٣ : ما هى المدة الأولى ؟

ج ١٣ : هى من ١٧ رمضان سنة ٤١ من مولده ﷺ إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ من مولده ، وما نزل من القرآن فى هذه المدة يسمى مكيًا .

س ١٤ : ما هى المدة الثانية ؟

ج ١٤ : هى ما بعد الهجرة وهى تسع سنين وتسعة أشهر وتسعة أيام من أول ربيع

(*) ذكر الإمام البيهقى كما فى { الخصائص الكبرى ٣ / ١٢٨ } عن القاضى يحيى بن أكثم قال : دخل يهودى على المأمون فتكلم فأحسن الكلام ، فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا فتكلم فأحسن الكلام فقال له المأمون : ما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن الأديان فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت منى ، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البِيَعة (مكان عبادة اليهود) فاشتريت منى . وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فيها نقص وزيادة وأدخلتها الورّاقين فتصفّحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامى . قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الحديث . فقال : مصداق هذا فى كتاب الله تعالى . قلت : فى أى موضع ؟ قال : قال الله تعالى فى التوراة والإنجيل : ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظه فلم يضع . أفادنا بهذه الأخ الأستاذ عبد الرحمن فودة جزاه الله خيرًا . عماد .

الأول سنة ٥٤ إلى تاسع ذى الحجة سنة ٦٣ من مولده ﷺ وسنة عشر من الهجرة ، وما نزل من القرآن فيها يقال له المدنى .

س ١٥ : كم هو مقدار المكى وكم هو مقدار المدنى من القرآن ؟

ج ١٥ : مقدار المكى نحو تسعة عشر من ثلاثين جزءًا ، ومقدار المدنى نحو أحد عشر من ثلاثين جزءًا .

س ١٦ : ما هى السور المدنية ؟

ج ١٦ : ثلاث وعشرون سورة هى كما يلى :

(١) البقرة (٢) آل عمران (٣) النساء (٤) المائدة (٥) الأنفال (٦) التوبة (٧) الحج (٨) النور (٩) الأحزاب (١٠) القتال [1] (١١) الفتح (١٢) الحجرات (١٣) الحديد (١٤) المجادلة (١٥) الحشر (١٦) الممتحنة (١٧) الصف (١٨) الجمعة (١٩) المنافقون (٢٠) التغابن (٢١) الطلاق (٢٢) التحريم (٢٣) إذا جاء نصر الله والفتح ....

وما عدا ما ذكر فهو مكى .

س ١٧ : كم هو عدد سور القرآن ؟

ج ١٧ : مائة وأربع عشرة سورة . أولها الفاتحة وآخرها الناس . (والسورة فى اللغة المنزلة من منازل الارتفاع) :

قال الشاعر :

ألم تَرَ أن الله أعطاك سورة ترى كُلَّ مُلْك دونها يتذبذبُ
كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب

س ١٨ : كيف أُخِذَت أسماء سور القرآن ؟

ج ١٨ : لكل سورة من سور القرآن اسم خاص ، أو أكثر من اسم ، فمنها ما أُخِذَ اسمها من مطلعها وهو أكثر سور القرآن كسورة الأنفال فاتحتها : ﴿ يسألونك عن

---

(١) أى سورة (محمد) ﷺ .

الأنفال ﴾ وسورة الإسراء ، فاتحتها : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً ﴾ وسورة طه ، فاتحتها : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ومنها ما أخذ اسمها من وسطها كسورة البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام .

س ١٩ : كيف كان ينزل القرآن على النبى ﷺ من حيث الكثرة والقلة ؟

ج ١٩ : كان ينزل على النبى ﷺ خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل ، وقد صَحَّ نزول الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنين دفعة واحدة . وصَحَّ نزول ﴿ غير أولى الضرر ﴾ وحدها فى { سورة النساء : ٩٥ } فى قوله تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله ﴾ وصَحَّ نزول ﴿ من الفجر ﴾ وحدها فى { سورة البقرة : ١٨٣ } فى قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ ثم أتموا الصيامَ إلى الليلِ ﴾ وصَحَّ نزول سورة الأنعام دفعة واحدة .

س ٢٠ : هل تعلَّمَ النبى ﷺ القراءة والكتابة فى مدرسة أو عند مُعَلِّم ؟

ج ٢٠ : لا ، لم يتعلَّم النبى ﷺ القراءة والكتابة لا فى مدرسة ولا عند معلم والدليل على ذلك قوله تعالى فى { سورة الأعراف : ١٥٧ } : ﴿ الذين يتَّبِعون الرسول النبى الأمىّ الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ... ﴾ الآية . وفى { سورة العنكبوت : ٤٨ } قوله تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون ﴾ .

س ٢١ : كيف كان النبى ﷺ يحفظ ما ينزل عليه من القرآن مع كثرته أحيانًا ؟

ج ٢١ : كان النبى ﷺ يتحمَّل شدة ويخاف أن يتفلَّت منه حتى نزل قوله تعالى فى { سورة القيامة : ١٧ } : ﴿ لا تحرِّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ .

س ٢٢ : هل كان النبى ﷺ يعتمد على قوة حفظه وحدها فى المحافظة على القرآن أم كان يأمر بكتابة ما يوحى إليه به فور نزوله زيادة على حفظه وحفظ أصحابه ؟

ج ٢٢ : كان إذا تفهَّمَ الآيات وحفظها بلغها الناس فأمر كاتبا من كتَّابه أن يكتبها

إمّا على عسيب (وهو جريدة النخل) وإما على لخفة (واللخفة حجر رقيق) وإما على رقعة .

س ٢٣ : هل كان له كُتّاب معروفون وكم عددهم ؟

ج ٢٣ : كان له كُتّاب معروفون يكتبون له ، وذكر بعضهم أن عددهم ستة وعشرون .

س ٢٤ : مَن هم أشهر هؤلاء الكُتّاب ؟

ج ٢٤ : أشهر هؤلاء الكُتّاب الخلفاء الأربعة وعامر بن فهيرة وأُبَىُّ بن كعب وهو أول من كتب له من الأنصار فى المدينة وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية ابن أبى سفيان وأخوه يزيد والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوّام وكثير غيرهم .

س ٢٥ : أين كان يُحفظ ما كُتِبَ من القرآن ؟

ج ٢٥ : كان ذلك يوضع فى بيت رسول الله ﷺ ويكتب الكُتّاب لأنفسهم صورة منه .

س ٢٦ : هل كانت الآيات التى تنزل توضع فى سورة خاصة وفى موضع خاص بها أم كانت تُضَمُّ إلى ما كُتِبَ كيفما اتفق ؟

ج ٢٦ : كان رسول الله ﷺ يَدُلُّهم على موضع كل ما ينزل من الآيات ليضعوها فى موضعها وفى سورتها .

س ٢٧ : ما هى أسباب حفظ القرآن حتى لم يضِع شىء منه ؟

ج ٢٧ : كانت حافظة [1] الأميين وصحف الكاتبين والقرآن المكتوب فى بيت رسول الله ﷺ كلها تتعاون على حفظ القرآن .

س ٢٨ : هل كان ترتيب الآيات توقيفيًا لا توضع آية فى موضع إلا بأمر من النبى ﷺ ، وهل اتفق العلماء على ذلك ؟

ج ٢٨ : نعم لا نزاع بين العلماء فى أن ترتيب الآيات توقيفى بأمر رسول الله ﷺ .

س ٢٩ : هل جمع القرآن كله فى كتاب واحد قبل وفاة النبى ﷺ ؟

---

(١) أى ذاكرتهم .

ج ٢٩ : لا ، كان القرآن مكتوبًا فيما ذكر ومجموعًا فى بيت النبى ﷺ ولم يكن مجموعًا فى كتاب واحد [١] .

س ٣٠ : هل وجد من الصحابة من يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب أم كان ذلك للنبى ﷺ وحده ؟

ج ٣٠ : نعم ، كان من القُرَّاء فى العهد النبوى من جمع القرآن كله حفظًا عن ظهر قلب منهم عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الأولين وقد رافق النبى ﷺ فى جميع زمن النبوة ، وسالم بن معقل وهو مولى أبى حذيفة وهو مثل عبد الله بن مسعود فى تقدم الإسلام والمرافقة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبَيٍّ بن كعب ، وزيد بن ثابت – وهؤلاء الأربعة من الأنصار – وأبو الدرداء ، وغيرهم .

الباب الرابع

نزول القرآن

س ٣١ : كيف كان ينزل القرآن على النبى ﷺ ، وهل لنزول القرآن أسباب ظاهرة؟

ج ٣١ : كان القرآن ينزل على النبى ﷺ جوابًا لسؤال أو حلاً لمشكلة توقف فيها وانتظر الحكم من الله تعالى .

س ٣٢ : هل نستطيع أن نجد دليلاً فى القرآن على ذلك ؟

ج ٣٢ : فى القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ { البقرة : ٢١٩ } وقوله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ { البقرة : ٢١٩ } وقال تعالى فى آخر { سورة النساء : ١٧٦ } : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم

---

(١) ولم يجمع فى كتاب واحد إلا فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه . وانظر ص ٣١ من هذه الرسالة .

فى الكلالة ، إن امرؤٌ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ .

وأما الحكم فى مشكلة وقعت للنبى ﷺ فانتظر نزول الوحى فيها فهو كثير ، فمن ذلك قوله تعالى فى أول { سورة النور : ٤ } : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ وسبب نزولها أن بعض الناس اتهم بعض النساء فنزلت وثبت بها الحكم ، وهو جلد القاذف ، وكون شهود القذف أربعة .

س ٣٣ : هل كل آية فى القرآن لها سبب معلوم يقينًا ؟

ج ٣٣ : لا ، بعض الآيات سببها معلوم يقينًا كما تقدَّم وبعضها مشكوك فيه وفيه اختلاف بين العلماء وبعضها لا يعلم سببه إلا الله . ولا توجد آية إلا ومراد الله بإنزالها هداية الخلق إلى مصالح دينهم ودنياهم .

الباب الخامس

مميزات المكى والمدنى

س ٣٤ : هل هناك علامات يجدها الباحث تميز المكى من المدنى ، والمدنى من المكى ، أو تمييز ذلك مقصور على الرواية ؟

ج ٣٤ : هنالك مميزات يعرف بها المكى والمدنى غير الرواية .

س ٣٥ : ما هى مميزات السور المكية ؟

ج ٣٥ : الآيات المكية فى الغالب قصيرة قد روعيت فيها الفواصل بخلاف المدنى فى الغالب ، ومن ذلك أن المكى خالٍ من الأحكام فى الغالب وإنما هو تسبيح وتمجيد لله ومواعظ وتزهيد فى الدنيا وترغيب فى تزكية النفس وأمر بالصبر على أذى المشركين ، وبيان لقبح الشرك ومحاربة للمشركين وضرب الأمثال فى ذلك ففى { سورة العنكبوت : ٤١ }

قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا ، وإن أوهَنَ البيوت لَبَيْتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ وفى { سورة النحل : ٧٥ } : ﴿ ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شىء ، ومن رزقناه منا رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًا وجهرًا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ . وبيان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق كقوله تعالى فى { سورة يونس : ١٠١ } : ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنُّذُر عن قوم لا يؤمنون ﴾ وفى { سورة ق : ٦ - ٨ } : ﴿ أفَلَمْ ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزَيَّنَّاها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ ومن ذلك قياس الشاهد على الغائب فى الاستدلال على قدرة الله تعالى كما فى آخر هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وأحيينا به بلدة ميتًا كذلك الخروج ﴾ { سورة ق : ١١ } ومن ذلك ذكر الرسل السابقين وأممهم وما أصابها من العذاب بسبب تكذيبها الرسل .

وليس فى السور المكية أمر بالجهاد وما يتبعه من مسالمة ومهادنة ، وأسر ، وفدية ، وصلح وجزية ، وليس فيها ذكر للهجرة ولا للقصاص والميراث أى بيان فرائضه ولا لإقامة الحدود .

الباب السادس

مميزات السور المدنية

س ٣٦ : ما هى ميزات السور المدنية ؟

ج ٣٦ : السور المدنية آياتها فى الغالب طويلة قليلة الفواصل مملوءة بالأحكام والشرائع ففى { سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٨٠ } : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأْذَنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ، وإن كان ذو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَة ، وأن تصدَّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ وفيها

أيضًا { ٢٨٢ } : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يَأْبَ كاتب أن يكتب كما عَلَّمَه الله فليكتب ، وليُمْلِلِ الذى عليه الحق ولْيَتَّقِ الله ربه ولا يبخس منه شيئًا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يُمِلَّ هو فَلْيُمْلِل وليُّهُ بالعدل ..... ﴾ الآية . وفى { سورة التوبة : ٥ } : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلُّوا سبيلهم . إن الله غفور رحيم ﴾ . وفى { سورة النساء : ٩٧ - ٩٩ } : ﴿ إن الذين توفَّاهُمُ الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيمَ كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفورًا ﴾ .

س ٣٧ : هل يختلف أسلوب السور المكية والسور المدنية من حيث البلاغة والإعجاز ؟

ج ٣٧ : زعم بعض الأوربيين الذين ينظرون إلى القرآن بعينين إحداهما أوهنها الجهل باللغة العربية وأساليبها وبلاغتها ، والأخرى أعماها التعصّب الدينى والسياسى والجنسى ، زعم أن آيات السور المكية فى غاية البلاغة والجمال ، وأما آيات السور المدنية فهى ناقصة البلاغة . وحاول أن يعلل ذلك حسب عقيدته الفاسدة ، بأن النبى ﷺ كان فى مكة رائق البال ، صافى القريحة ، غير مشغول بالحروب وتدبير شؤون الدولة . أما فى المدينة فإن اشتغاله بأعباء تدبير الدولة جعل إنشاءه ناقصا فى البلاغة ، فهذا من الهذيان السخيف .

س ٣٨ : ما هو التعليل الصحيح لاختلاف أسلوب المكى وأسلوب المدنى ؟

ج ٣٨ : من المعلوم عند علماء البلاغة أن هناك مواضيع يحسن فيها السجع والتأنُّق فى الألفاظ كالمقامات والخطب ، وهناك مواضيع يحسن فيها التَّرَسُّل كإنشاء القوانين ، وفصل الخصومات وذكر الواجبات . ففى هذه المواضيع وأمثالها لا يحسن أسلوب الخطب . بل ينبغى توفر السهولة والوضوح . ونحن نرى كتاب الرسائل عند الملوك والوزراء يسلكون مثل ذلك ، إذا كانوا حُذَّاقًا قد أُوتُوا شيئًا من البيان وفصل الخطاب .

الباب السابع

جمع القرآن

س ٣٩ : مَنْ جَمَعَ القرآن ، ومتى جُمِعَ ، وما هو سبب جمعه ؟

ج ٣٩ : روى البخارى فى كتاب فضائل القرآن من صحيحه بسنده إلى زيد بن ثابت قال أرسل إلىَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرّاء القرآن وإنى أخشى أن يستمر القتل بالقرّاء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى بنقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خُزَيْمَةَ الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفّاه الله ، ثم عند عمر فى حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر .

س ٤٠ : إذا كان أبو بكر هو الذى جمع القرآن بعد وفاة النبى ﷺ فى كتاب واحد ، فماذا صنع عثمان بالقرآن ؟

ج ٤٠ : روى البخارى بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرِك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا

بالصحف ، فننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا الصحف فى المصاحف وردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

الباب الثامن

كيف كان نزول الوحى على النبى ﷺ

س ٤١ : ما معنى الوحى لغة واصطلاحًا ، وكيف كان يوحى إلى النبى ﷺ ؟

الوحى فى اللغة له معانٍ ، منها : الإلهام ، والرسالة . وفى الاصطلاح : إنزال الله ما شاء من كلامه إلى رسله .

قال البخارىّ فى أول صحيحه : « باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ » وقوله : ﴿ إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ سورة النساء ثم روى بسنده إلى عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىَّ فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثّل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعِى ما يقول ، قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصّد عرقًا .

س ٤٢ : كيف كان أول الوحى إلى النبى ﷺ ؟

ج ٤٢ : روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أيضًا قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

فلق الصبح ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه وهو التعبُّد فى الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها حتى جاءه الحقّ وهو فى غار حراء فجاءه المَلَك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسَلَنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطّنى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خَلَق . خَلَقَ الإنسان من عَلَق . إقرأ وربك الأكرم . الذى عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خُوَيْلِد فقال : زمِّلونى زَمِّلونى ، فزملُّوه حتى ذهب عنه الرَّوْع فقال لخديجة وأخبرها الخبر . لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يُخْزِيكَ الله أبدًا ، إنك لتَصِلُ الرَّحِم وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتَقْرِى الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة وكان امرأً قد تَنَصَّرَ فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزله الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أوَمُخْرِجِىَّ هم ؟ قال : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِىَ وكُذِّبَ وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤَزَّرًا ، فلم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

الباب التاسع

باب آداب قارىء القرآن

س ٤٣ : هل يجوز أن يتخذ القرآن وسيلة لغرض دنيوى ؟

ج ٤٣ : لا يراد بالقرآن إلا وجه الله ومن أراد به غير ذلك فقد حُرِمَ التوفيق . قال البخارى فى كتاب « فضائل القرآن » من صحيحه باب : « من تَأَكَّلَ بالقرآن أو فَخر به

أو رايا به » ثم روى بسنده إلى على قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « يأتى فى آخر الزمان قوم حُدَثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » .

وروى بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج فيكم قوم ، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية » .

وروى بسنده عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجَّة طعمها طَيِّب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرّ أو خبيث وريحها مرّ » .

الباب العاشر

أسباب نزول القرآن

س ٤٤ : ما المراد بأسباب النزول ؟

ج ٤٤ : تقدَّمَ فى جواب السؤال الحادى والثلاثين والثانى والثلاثين ما يوضح معنى أسباب نزول القرآن فراجعه .

س ٤٥ : من هو أول من ألَّفَ فى علم أسباب نزول القرآن ؟

ج ٤٥ : قال السيوطى فى كتاب الإتقان أول من ألَّف فى هذا العلم على بن المدينى شيخ البخارى ثم تتابع الناس فى التصنيف فيه ثم قال : وقد ألَّفْتُ فيه كتابًا سَمَّيْتُهُ : « لباب النقول فى أسباب النزول » .

س ٤٦ : ما فائدة هذا العلم ؟

ج ٤٦ : قال السيوطى : زعم زاعم أن هذا العلم لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ فى ذلك ، فله فوائد منها : معرفة حكمة التشريع ، ومنها : تخصيص الحكم به عند من يقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومنها : أن اللفظ قد يكون عامًا ويقوم الدليل على تخصيصه ، فإذا عُرِفَ السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعى وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال .

قال الواحدى : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها . وكذلك قال ابن دقيق العيد وابن تيمية .

وحُكِيَ عن عثمان بن مظعون وعمرو بن مَعدْ يَكْرِب أنهما كانا يقولان : الخمر مباحة ويحتجَّان بقوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا .. ﴾ الآية { المائدة : ٩٣ } . ولو عَلِمَا سبب نزولها لم يقولا ذلك . وهو أن ناسًا قالوا : حُرِّمَت الخمر فكيف بمن قُتِلُوا فى سبيل الله أو ماتوا وكانوا يشربون الخمر وهى رجس ؟ فنزلت . أخرجه أحمد والنسائى وغيرهما .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فَثَمَّ وجه الله ﴾ { سورة البقرة : ١١٥ } ، فإنَّا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرًا ولا حَضَرًا ، وهو خلاف الإجماع ، فلما عُرِفَ سبب نزولها عُلِمَ أنها فى نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حَجَّ البيت أو اعْتَمَرَ فلا جُنَاحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهما ﴾ { البقرة : ١٥٨ } فإن ظاهر لفظها لا يقتضى أن السعى فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيّته تمسكًا بذلك ، وقد ردّت عائشة على عروة فى فهمه بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثَّموا من السعى بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت .

س ٤٧ : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ؟

ج ٤٧ : اختلفوا فى ذلك والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . يعنى إذا نزلت آية لسبب خاص هل يكون الحكم خاصًا بذلك السبب أم يتعدى إلى كل ما دلّ عليه اللفظ ، الثانى هو الصحيح والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن آية الظِّهار نزلت فى سلمة بن صخر . ولم تقتصر عليه بل تعدَّت إلى غيره .

س ٤٨ : ما هى آية الظِّهار ؟

ج ٤٨ : هى الآية الثالثة والتى بعدها من سورة المجادلة قوله تعالى : ﴿ والذين يُظَاهِرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسَّا . ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسَّا فمن لم يستطع فإطعام ستّين مسكينًا ﴾ .

س ٤٩ : ما هو الظِّهار وما معنى هاتين الآيتين ؟

ج ٤٩ : الظِّهار أن يقول الرجل لزوجته أنت علىَّ كَظَهْرِ أُمِّى ، يعنى فى الحرمة ، مبالغة فى تحريمها على نفسه ، وكانت العرب تقول ذلك إذا غضب أحدهم على زوجته ، فأنزل الله الآيات الثلاث ، هاتين الآيتين والتى قبلهما ، وقوله ﴿ ثم يعودون لما قالوا ﴾ أى يريدون العودة إلى ما حرَّموا على أنفسهم .

فتحرير رقبة : أى عتق رقيق مملوك .

من قبل أن يتماسَّا : أى قبل أن يستمتع كل منهما بالآخر . فمن لم يجد ما يحرر به رقبة فعليه أن يصوم شهرين صياما متتابعًا بدون انقطاع فإن كان عاجزًا عن الصيام فعليه إطعام ستّين مسكينًا .

س ٥٠ : من هو سلمة بن صخر الذى نزلت بسببه هذه الآيات وما قصَّته ؟

ج ٥٠ : روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بإسناده إلى سلمة بن صخر الأنصارى قال سلمة :

لما دخل رمضان تظَهَّرْتُ من امرأتى حتى ينسلخ رمضان فَرَقًا من أن أصيب منها – ما يؤدِّى إلى المحظور فلم أملك نفسى أن أصبت ما حرم – فغدوت على قومى وأخبرتهم

خبرى وقلت انطلقوا معى إلى النبى ﷺ فأخبره بأمرى ، فقالوا لا والله لا نفعل نتخوّف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى عارها ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك قال : فخرجت حتى أتيت النبى ﷺ فأخبرته خبرى فقال : أنت بذاك ؟ فقلت أنا بذاك ، فقال لى : أنت بذاك ؟ فقلت : أنا بذاك ، قال : أنت بذاك ؟ قلت : نعم ها أنذا فامضٍ فى حكم الله فإنى صابر له ، قال : اعتِقْ رقبة . قال : فضربت صفحة رقبتى بيدى وقلت : لا والذى بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها ، قال : فَصُمْ شهرين متتابعين ، قلت : يا رسول الله وهل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام . قال : فتصدَّق فقلت : والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء . قال : اذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك وَسْقًا من تمر ستين مسكينًا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك . قال : فرجعت إلى قومى فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند رسول الله السعة والبركة وقد أمر لى بصدقتكم فادفعوها إلىّ فدفعوها إلىّ .

الباب الحادى عشر

حفــظ القــرآن

س ٥١ : ما هو حكم حفظ القرآن عن ظهر قلب ؟

ج ٥١ : حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة الإسلامية . صرّح بذلك جماعة من العلماء . نقل صاحب الإتقان عن الجوينى أنه قال : والمراد بذلك أن لا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف والزيادة والنقص ، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين وإلا أثم الكل والظاهر أن هذا الفرض على أهل كل قُطر من الأقطار المأهولة بالمسلمين .

س ٥٢ : ما حكم تعليم القرآن ؟

ج ٥٢ : تعليم القرآن فرض كفاية أيضا على أهل كل قُطر يسكنه جماعة من المسلمين . لأن ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض . وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه

قال : خيركم من تعلم القرآن وعلّمه .

ولذلك لا يجوز طلب الأجرة على تعليم القرآن .

س ٥٣ : كيف يكون تَعَلُّم القرآن ؟

ج ٥٣ : يكون بالسماع من المعلم والقراءة عليه وهو يسمع إلى أن يشهد المعلم للقارىء بأنه مجوِّد حَسَن التلاوة .

س ٥٤ : هل يتوقف الكمال فى الأدب العربى على حفظ القرآن ومعرفة تجويده ؟

ج ٥٤ : نعم لا ريب أن الأديب لا يكون كاملا فى الأدب العربى إلا إذا حفظ القرآن وجوَّدَه . لأن كتب الأدب تستشهد بألفاظ من القرآن فلا يستطيع الأستاذ ولا المتأدِّب أن يعرف وجه الاستشهاد إلا بمعرفة ما قبلها وما بعدها . وذلك ظاهر فى شروح الألفية مثلاً وفى غيرها من كتب علوم اللسان العربى . وقد بلغنى أن لليسوعيين فى لبنان شهادة لا يُمْنَحها إلا من حفظ القرآن . ولا يخلو منهاج تعلم اللغة العربية فى الجامعات الجرمانية من نصيب لا بأس به من القرآن .

س ٥٥ : لماذا جعلتم كل هذه الأهمية للقرآن من حيث الأدب العربى ؟

ج ٥٥ : لا يخفى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى بلغنا من كلام العرب بيقين . فلابد لمتعلِّم هذه اللغة من تعلّمه كله أو بعضه للاطّلاع على الأسلوب العربى وتذوُّق بلاغته وإلا كان ناقص الأدب .

س ٥٦ : لماذا قلتم إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى بلغنا من كلام العرب يقينًا ؟ فماذا تقولون فى حديث النبى ﷺ وفى أشعار العرب الجاهليين والإسلاميين ؟

ج ٥٦ : أما الحديث فقد اختلف علماء اللغة والقواعد فى الاحتجاج به لأن بعض الرواة يروونه بالمعنى لعدم حفظهم الألفاظ التى سُمِعَت من النبى ﷺ ولأن الحديث لم يُكْتَب ويُدَوَّن فى كتب محفوظة إلا فى العهد العبّاسى الذى لا يحتج بكلام أهله . وقد ذهب ابن مالك وجماعة إلى الاحتجاج به ، وأما الشعر العربى ففيه شك لأنه لم يكتب ويجمع إلا بعد انقراض العرب الذين يحتجّ بكلامهم وأما ما قيل إن المعلقات السبع كانت مكتوبة

ومعلّقة فى الكعبة فحديث خرافة وبذلك ترى صحّة ما قلناه .

ثم إن القرآن هو أصل الأدب العربى لبلوغه حدّ الإعجاز فى البلاغة ولِمَا يشتمل عليه من العلوم والحكم والأمثال التى لا ينبغى للأديب أن يجهلها ، وقد اشتغل الأجانب بمباحث القرآن فألّفوا فيها كتبًا كثيرة إذا أردت الاطّلاع عليها فاقرأ ما كتب فى الموسوعات عند لفظة « قرآن » فهو العار على أبناء العرب أن يكونوا أبعد عن هذا الكتاب وأجهل به من الأجانب .

الباب الثانى عشر

الناسخ والمنسوخ فى القرآن

س ٥٧ : ما معنى النسخ لغةً واصطلاحًا ، وما مقدار عناية المسلمين به ؟

ج ٥٧ : قال فى الإتقان أفرده بالتصنيف جماعة نذكر بعضهم ثم قال : « قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يُفَسِّر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ » .

والنسخ فى اللغة يَرِدُ بمعنى الإزالة ومنه قوله تعالى فى { سورة الحج : ٥٢ } : ﴿ فينسخ الله ما يُلْقِى الشيطان ثم يُحْكِم الله آياته ﴾ إشارة إلى قصة الغرانيق [1] ، وذلك أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم حتى بلغ ﴿ أفرأيتم اللات والعُزَّى ومَنَاةَ الثالثة الأخرى ﴾ ، صاح أحد الشياطين تلك الغرانيق العلَى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظَنَّ المشركون أن النبى ﷺ هو الذى قال ذلك ففرحوا به فلما فرغ النبى ﷺ من قراءة السورة سجد فسجد معه المسلمون والمشركون جميعًا ، فلما عَلِمَ النبى ﷺ أن ذلك الشيطان قال على لسانه ذلك الكلام المتضمن لمدح الأصنام اغتَمَّ لذلك فأنزل الله تعالى فى { سورة الحج : ٥٢ ، ٥٣ } : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تَمَنَّى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يُلقِى الشيطان

(١) قصة الغرانيق قصة مكذوبة على رسول الله ﷺ وقد ردها جمع غفير من العلماء ونسفوها وكان آخرهم الشيخ العلامة الألبانى ألّف (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) . { عماد بن صابر }

ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يُلقِى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ﴾ . ويأتى النسخ بمعنى التحويل ومنه التناسخ فى الفرائض بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى آخر .

والنسخ فى الاصطلاح إزالة الحكم كنسخ التوجّه إلى بيت المقدِس بالتوجّه فى الصلاة إلى الكعبة .

س ٥٨ : هل أجمع علماء المسلمين كلهم على وجود النسخ فى القرآن ؟

ج ٥٨ : جمهور علماء الإسلام يقولون بوجود النسخ فى القرآن وأنكره أبو مسلم الخراسانى ، وزعمت اليهود أن النسخ لا يجوز لأنه بِدَاء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له أنه باطل فيرجع عنه وذلك محال على الله وهو باطل لأنه بيان لمدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه ، والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بِدَاء فكذا الأمر والنهى . وقد جنح كثير من أهل هذا العصر إلى قول أبى مسلم فرارًا من اعتراض اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام قال بعضهم : لا توجد آية فى القرآن قيل بنسخها إلا وهناك برهان قائم على إبطال القول بنسخها . قال السيوطى وقال ابن الحصار إنما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابى يقول آية كذا نَسَخَتْ كذا . قال مؤلفه إذا رفع الصحابى ذلك إلى النبى ﷺ فهو حجة وأما إذا قاله برأيه ولم يجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ فليس بحجة . ثم قال : ولا يعتمد فى النسخ قول عَوَامّ المفسِّرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بيِّنة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهد النبى ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد .

س ٥٩ : ما هى أشهر الآيات التى قيل بنسخها ؟

ج ٥٩ : هى فى سبعة مواضع من القرآن ، وهى :

الأولى : من [سورة البقرة : ١٨٠] قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدَكم الموتُ إن ترك خيرًا الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين ﴾ قيل نسخت بآية المواريث فى [سورة النساء : ١١] : ﴿ يوصيكم الله فى

أولادكم ... ﴾ إلى آخرها .

الثانية : من { سورة البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ } قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أيامًا معدودات ، فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أُخَر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ . نسخها قوله تعالى بعدها : ﴿ شهر رمضان الذى أُنْزِلَ فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهُدَى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ { ١٨٥ } .

الثالثة : من { سورة البقرة : ٢٤٠ } : ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج ﴾ الوصية . منسوخة بآية المواريث.

الرابعة : من { سورة النساء : ٣٢ } : ﴿ والذين عَقَدَتْ أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴾ . منسوخة بقوله تعالى فى آخر سورة الأنفال : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ﴾ .

الخامسة : من { سورة النساء : ١٥ } : ﴿ واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفّاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ منسوخة بآية { النور : ٢ } : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

السادسة : من { الأنفال : ٦٥ } : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ قيل نسختها الآية التى بعدها : ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ .

السابعة : من { المجادلة : ١٢ ، ١٣ } قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ، أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات

فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ﴾ قيل إن الآية الثانية نسخت الأولى .

وقد تركنا ذكر الآيات التى نسخت حكمًا لم يثبت بالقرآن كآية التوجّه فى الصلاة إلى الكعبة نسخت استقبال بيت المقدس وهو ظاهر فى آيات البقرة كقوله تعالى { آية : ١٤٣ } ﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ ولا ينبغى أن يحكم بالنسخ إلا بعد قيام البرهان القاطع والنقل الصحيح والتَّثبُّت .

(فائدة) فى ذكر أسماء بعض الكتب المؤلفة فى علوم القرآن وتفسيره :

١ – الإتقان فى علوم القرآن – للسيوطى .

٢ – مباحث فى علوم القرآن – صبحى الصالح .

٣ – التذكار فى أفضل الأذكار – للقرطبى .

٤ – التبيان فى آداب حملة القرآن – للنووى .

٥ – تفسير ابن كثير .

٦ – تفسير عبد الرحمن بن ناصر السعدى .

٧ – القواعد الحسان لتفسير القرآن – لعبد الرحمن بن ناصر السعدى .

٨ – أيسر التفاسير – لأبى بكر الجزائرى .

٩ – البرهان فى علوم القرآن – للزركشى .

١٠ – ومن التفاسير الجامعة : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبى .

١١ – تفسير الإمام الطبرى .

١٢ – أضواء البيان – للشيخ الشنقيطى .

الرسالة الثالثة :

كتاب شرح السنّة

تاليف

إمام اهل السنّة والجماعة في عصره

أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري

المتوفى سنة ٣٢٩ هـ

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ، ومَنَّ علينا به ، وأخرجنا فى خير أمة فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى ، والحفظ مما يكره ويسخط .

١ - اعلم أن الإسلام هو السنة ، والسنة هى الإسلام ، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر ، فمن السنة لزوم الجماعة (و) من رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وكان ضالاً مُضلاً .

٢ - والأساس الذى بيَّنا عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ رحمهم الله أجمعين ، وهم أهل السنة والجماعة ، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلّ وابتدع ، وكل بدعة ضلالة ، والضلال وأهله فى النار ، قال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : لا عذر لأحد فى ضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا فى هدى تركه حسبه ضلالة ، فقد بُيِّنَت الأمور ، وثبتت الحجة ، وانقطع العذر ، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله ، وتبيَّن للناس ، فعلى الناس الاتباع .

٣ - واعلم رحمك الله : أن الدين إنما جاء من قِبَل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم ، وعلمه عند الله وعند رسوله ﷺ ، فلا تتبع شيئًا بهواك ، فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام فإنه لا حجة لك فقد بيَّنَ رسول الله ﷺ لأمته السنّة وأوضحها لأصحابه ، وهم الجماعة ، وهم السواد الأعظم ، والسواد الأعظم : الحق وأهله . فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ فى شىء من أمر الدين فقد كفر [1] .

(*) هذه الرسالة على صغرها فقد جمعت بين دفّتَيْها ما ينبغى للمسلم الواعى أن يعض عليه بالنواجذ ، وهى نفيسة فى بابها .

وهذه الطبعة على طبعة الدكتور محمد بن سعيد القحطانى والتى أصدرتها دار ابن القيم فى الدمام بالسعودية والتى اعتمد فيها على نسخة مخطوطة والأخرى المطبوعة ضمن طبقات الحنابلة ، وأثبت حفظه الله الفروق بين النسختين ، وعلق عليها وخرّج أحاديثها جزاه الله خيرا .

واكتفينا فى هذه الطبعة بنص المؤلف واقتبسنا بعض التعليقات اليسيرة من الدكتور محمد ابن سعيد ، حتى تناسب هذه المجموعة ، وما تركناه من الأحاديث دون تعليق فهو مما يحتج به .

(١) كلامه محمول على من أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومتابعة أصحاب رسول الله ﷺ واجبة فقد قال فيما صح عنه : « عليكم بسنّتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عَضُّوا عليها بالنواجذ » وقال ﷺ : « اقتدوا بالَّذين من بعدى أبو بكر وعمر » المسند ٥ /٣٨٢ والسنة لعبد الله رقم ١٣٦٦ وإسناده صحيح ، والترمذى فى المناقب ٦٠٩/٥ وقال حديث حسن . تعليق د. محمد بن سعيد

٤ – واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة – قط – حتى تركوا من السنة مثلها ، فاحذر المحرمات من الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وأهلها فى النار .

٥ – [١] واحذر صغار المحدثات (من الأمور) فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارًا ، وكذلك كل بدعة أُحدِثت فى هذه الأمة ، كان أولها صغيرًا ، يشبه الحق فاغترّ بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع المخرج منها ، فعظمت وصارت دِينًا يُدان (بها) فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام [٢] .

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك (خاصة) فلا تعجلن ولا تدخلن فى شىء منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أو (أحد من العلماء) فإن أصبت فيه أثرًا عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشىء ، ولا تختر (عليه) شيئًا فتسقط فى النار .

٦ – واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين : أما أحدهما : فرجل (قد) زَلَّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يقتدى بزلله ، فإنه هالك . ورجل عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضال مُضِلّ ، شيطان (مريد) فى هذه الأمة ، حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه ، ويبيّن لهم قصته ، لئلا يقع فى بدعته أحد فيهلك .

٧ – واعلم رحمك الله : أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعًا مصدقًا مسلمًا ، فمن زعم أنه (قد) بقى شىء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذّبهم ، وكفى بهذا فرقة (وطعنًا) عليهم ، فهو مبتدع ضال مضل ، مُحْدِث فى الإسلام ما ليس منه .

٨ – واعلم رحمك الله : أنه ليس فى السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء (بل) [٣] هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح ولا يقال :

(١) من هنا بداية ما ذكر فى طبقات الحنابلة (١٨/٢) من هذه الرسالة المباركة .

تعليق د. محمد بن سعيد

(٢) لأهل العلم تفصيل فى مسألة البدعة المكفرة وغير المكفّرة فليس الأمر على إطلاقه هنا .

(٣) إضافة يقتضيها السياق / د. محمد بن سعيد .

لِمَ ؟ ولا كيف ؟ فالكلام والخصومة والجدال والمراء محدث ، يقدح الشك فى القلب ، وإن أصاب صاحبه الحق والسنة .

٩ - واعلم رحمك الله : أن الكلام فى الرب تعالى محدث ، وهو بدعة وضلالة ، ولا يتكلم الرب إلا بما وصف به نفسه عزّ وجلّ فى القرآن ، وما بيّن رسول الله ﷺ لأصحابه ، فهو جلّ ثناؤه واحد : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ { الشورى : ١١ } . ربُّنا أولٌ بلا متى ، وآخرٌ بلا منتهى ، يعلم السر وأخفى ، وهو على عرشه استوى ، وعلمه بكل مكان ، ولا يخلو من علمه مكان .

ولا يقول فى صفات الرب تعالى لِمَ ؟ إلا شاكّ فى الله تبارك وتعالى ، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره ، وليس مخلوقًا ، لأن القرآن من الله ، وما كان من الله فليس بمخلوق . وهكذا قال مالك بن أنس { وأحمد بن حنبل } والفقهاء قبلهما وبعدهما ، والمراء فيه كفر .

١٠ - والإيمان بالرؤية يوم القيامة ، يرون [1] الله عز وجل بأعين رؤوسهم وهو يحاسبهم بلا حاجب ولا ترجمان .

١١ - والإيمان بالميزان يوم القيامة ، يوزن فيه الخير والشر ، له كفتان وله لسان .

١٢ - والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير .

١٣ - والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ، ولكل نبى حوض ، إلا صالح عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته .

١٤ - والإيمان بشفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين الخاطئين يوم القيامة ، وعلى الصراط ، ويخرجهم من جوف جهنم ، وما من نبى إلا وله شفاعة ، وكذلك الصدِّيقون والشهداء والصالحون ، ولله بعد ذلك تفضل كثير على من يشاء ، والخروج من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا .

١٥ - والإيمان بالصراط على جهنم ، يأخذ الصراط من شاء الله ، ويجوز [2] من شاء الله ، ويسقط فى جهنم من شاء الله . ولهم أنوار على قدر إيمانهم .

---

(١) أى المؤمنون .　　(٢) أى يَمُرُّ على الصراط .

١٦ – والإيمان بالأنبياء والملائكة .

١٧ – والإيمان (بأن الجنة حق والنار حق) وأنهما مخلوقتان ، الجنة فى السماء السابعة ، وسقفها العرش ، والنار تحت الأرض السابعة السفلى ، وهما مخلوقتان ، قد علم الله تعالى عدد أهل الجنة ومن يدخلها ، وعدد أهل النار ومن يدخلها ، لا تفنيان أبدًا ، بقاؤهما مع بقاء الله أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

١٨ – وآدم عليه السلام كان فى الجنة الباقية المخلوقة ، فأُخْرِجَ منها بعدما عصى الله عزّ وجلّ .

١٩ – والإيمان بالمسيح الدجّال .

٢٠ – والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ينزل فيقتل الدّجال ويتزوج ويصلى خلف القائم من آل محمد ﷺ ، ويموت ويدفنه المسلمون .

٢١ – والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونيّة ، يزيد وينقص ، يزيد ما شاء الله ، وينقص حتى لا يبقى منه شيء .

٢٢ – وأفضل هذه الأمة والأمم كلها – بعد الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان (هكذا روى لنا عن ابن عمر قال : كنّا نقول ورسول الله ﷺ بين أظهرنا : إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان) ويسمع بذلك النبى ﷺ فلا ينكره . ثم أفضل الناس بعد هؤلاء على وطلحة والزبير ، وسعد بن أبى وقّاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح ، وكلهم يصلح للخلافة ، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ، القرن (الأول) الذى بعث فيهم ، المهاجرون الأولون والأنصار ، وهم من صلى القبلتين ، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله ﷺ يومًا أو شهرًا أو سنة ، أو أقلّ من ذلك أو أكثر ، نترحّم عليهم ، ونذكر فضلهم ، ونكفّ عن زللهم ، ولا نذكر أحدًا منهم إلا بالخير ، لقول رسول الله ﷺ : « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا » ، وقال سفيان ابن عيينة : من نطق فى أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى [1] .

---

(١) بعد كلمة سفيان ورد فى المطبوعة ما يلى : قال النبى ﷺ : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ومعلوم أنه حديث موضوع انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٥٨ .

تعليق : د. محمد ابن سعيد

٢٣ – والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى ومن وَلِىَ الخلافة بإجماع (الناس) عليه ورضاهم به : فهو أمير المؤمنين ، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام ، بَرًّا كان أو فاجرًا ، والحج والغزو مع الإمام ماضٍ وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ، ويصلى بعدها ست ركعات ، يفصل بين كل ركعتين هكذا قال أحمد بن حنبل .

٢٤ – والخلافة فى قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين ، فهو خارجى ، قد شق عصا المسلمين ، وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية .

٢٥ – ولا يحل قتال السلطان ، ولا الخروج عليه وإن جار [١] ، وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبى ذر الغفارى : « اصبر وإن كان عبدًا حبشيًا » وقوله للأنصار : « اصبروا حتى تلقونى على الحوض » وليس فى السُنَّة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدنيا والدين .

٢٦ – ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم . وليس له [٢] إذا فارقوه أن يطلبهم ، ولا يجهز على جريحهم ، ولا يأخذ فيهم ، (ولا يقتل أسيرهم) ولا يتبع مُدْبِرَهم .

٢٧ – واعلم أنه لا طاعة لبشر فى معصية الله عزّ وجلّ .

٢٨ – ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر ، فإنك لا تدرى بِمَ يختم له عند الموت ، ترجو له رحمة الله ، وتخاف عليه ذنوبه ، لا تدرى ما سبق له عند الموت إلى الله من الندم ، وما أحدث الله فى ذلك الوقت إذا مات على الإسلام ، ترجو له الرحمة ، وتخاف عليه ذنوبه ، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة .

٢٩ – والرجم حق ، والمسح على الخفّين سُنّة ، وتقصير الصلاة فى السفر سُنّة ، والصوم فى السفر : من شاء صام ، ومن شاء أفطر ، ولا بأس بالصلاة فى السراويل .

٣٠ – والنفاق : أن يظهر الإسلام باللسان ويخفى الكفر بالضمير .

---

(١) أى وإن ظلم .

(٢) أى للإمام الحاكم .

٣١ - واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام [١] وأمة محمد ﷺ فيها [٢] مؤمنون مسلمون فى أحكامهم ومواريثهم (وذبائحهم) والصلاة عليهم ، ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتى بجميع شرائع الإسلام ، فإن قصّر فى شىء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب ، واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى ، تام الإيمان أو ناقص الإيمان ، إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام .

٣٢ - والصلاة على من مات من أهل القبلة سُنّة ، والمرجوم والزانى والزانية ، والذى يقتل نفسه ، وغيره من أهل القبلة ، والسكران وغيرهم : الصلاة عليهم سُنّة ، ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله عزّ وجلّ ، أو يردّ شيئًا من آثار رسول الله ﷺ ، أو يصلى لغير الله أو يذبح لغير الله ، (وإذا فعل شيئًا من ذلك) فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئًا من ذلك فهو مؤمن ومسلم بالاسم لا بالحقيقة .

٣٣ - وكل ما سمعت من الآثار شيئًا (مما) لم يبلغه عقلك ، نحو قول رسول الله ﷺ : « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عزّ وجلّ » وقوله : « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا » و « ينزل يوم عرفة » و « ينزل يوم القيامة » و « إن جهنم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جلّ ثناؤه » وقول الله تعالى للعبد : « إن مشيت إلىّ هرولت إليك » وقوله : « خلق الله آدم على صورته » وقول رسول الله ﷺ : « رأيت ربى فى أحسن صورة » وأشباه هذه الأحاديث : فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض [٣] والرضا ، ولا تفسّر شيئًا من هذه بهواك ، فإن الإيمان بهذا واجب ، فمن فسَّرَ شيئًا من

---

(١) هذا فيه نظر إذ مذهب جمهور الأمة على أن الدنيا فيها دار إسلام ودار كفر .

تعليق : د. محمد ابن سعيد

(٢) أى فى الدنيا .

(٣) التفويض عند السلف فى باب الصفات هو فى الكيفية فقط ، فلا يعلم كنه الصفات إلا الله لذلك يفوضون علم الكيفية للخالق سبحانه ، وأما عند الأشاعرة وغيرهم فالتفويض عندهم فى اللفظ والمعنى إذ يعتقدون أن ظاهر الصفة غير مراد ويلزم من هذا أن آيات الصفات من المتشابه ، ومن ثم لم يعلم ذلك رسول الله ﷺ ولا صحابته . وهذا منكر بيِّن . انظر - إن شئت - رسالة علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور رضا معطى . ا . هـ . تعليق : د . محمد بن سعيد .

هــذا بهواه وردّه فهو جهمى ، ومن زعم أنه يرى ربه فى دار الدنيا فهو كافر بالله عزّ وجلّ .

٣٤ – والفكرة فى الله بدعة ، لقول رسول الله ﷺ : « تفكّروا فى الخَلْق ولا تفكّروا فى الله » [١] فإن الفكرة فى الرب تقدح الشك فى القلب .

٣٥ – واعلم أن الهوام والسباع والدواب نحو الذر و (الذباب) والنمل كلها مأمورة ، ولا يعملون شيئًا إلا بإذن الله تعالى .

٣٦ – والإيمان بأن الله قد علم ما كان من أول الدهر ، وما لم يكن ، وما هو كائن أحصاه وعدّه عدًا ، ومن قال : إنه لا يعلم (إلا) ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم .

٣٧ – ولا نكاح إلا بولىّ وشاهدَىْ عَدْلٍ وصَدَاق ، قلّ أو كَثُرَ ، ومن لم يكن لها ولىٌّ فالسلطان ولىُّ مَنْ لا ولىَّ له ، وإذا طلّق الرجل امرأته ثلاثًا فقد حرمت عليه ، لا تحل به حتى تنكح زوجًا غيره .

٣٨ – ولا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، ويشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان ، أو مرتد بعد إيمان ، أو قتل نفس مؤمنة بغير حق ، فيُقْتَل به ، وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام (أبدًا) حتى تقوم الساعة .

٣٩ – وكل شىء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى ، إلا الجنّة والنار ، والعرش والكرسى ، والصُوْرَ ، والقلم ، واللوح ، ليس يفنى شىء من هذا أبدًا ، ثم يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة ، ويحاسبهم بما شاء ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، ويقول لسائر الخلق (ممن لم يخلق للبقاء) كونوا ترابًا .

٤٠ – والإيمان بالقصاص يوم القيامة (بين) الخلق كلهم ، بنى آدم والسباع والهوام ، حتى للذرة من الذرة ، حتى يأخذ الله عزّ وجلّ لبعضهم من بعض ، لأهل الجنة من أهل النار ، ولأهل النار من أهل الجنة ، ولأهل الجنة بعضهم من بعض ، ولأهل النار

---

(١) أورده الشيخ الألبانى فى صحيحته وحسنه بمجموع طرقه (رقم : ١٧٨٨) .

بعضهم من بعض .

٤١ – وإخلاص العمل لله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على حكم الله ، والإيمان بأقدار الله كلها خيرها وشرها ، حلوها ومرّها .

٤٢ – والإيمان بما قال الله ، قد علم الله ما العباد عاملون ، وإلى ما هم صائرون ، لا يخرجون من علم الله ، ولا يكون فى الأرضين والسموات إلا ما علم الله تعالى . وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا خالق مع الله عزّ وجلّ .

٤٣ – والتكبير على الجنائز أربع ، وهو قول مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، والحسن بن صالح ، وأحمد بن حنبل ، والفقهاء وهكذا قال رسول الله ﷺ .

٤٤ – والإيمان بأن مع كل قطرة ملكًا ينزل من السماء ، حتى يضعها حيث أمره الله عزّ وجلّ .

٤٥ – والإيمان بأن رسول الله ﷺ حين كلّم أهل القليب يوم بدر – أى المشركين [١]– كانوا يسمعون كلامه .

٤٦ – والإيمان بأن الرجل إذا مرض أجره الله على مرضه والشهيد يأجره الله على شهادته .

٤٧ – والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شىء فى دار الدنيا يألمون ، وذلك أن بكر ابن أخت عبد الوهاب قال : لا يألمون ، وكذب .

٤٨ – واعلم أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ، ولا يعذب الله أحدًا إلا (بقدر) ذنوبه ولو عذب أهل السموات والأرض برهم وفاجرهم عذبهم غير ظالم لهم .

لا يجوز أن يقال لله عزّ وجلّ إنه ظالم ، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له ، والله له الخلق والأمر ، والخلق خلقه ، والدار داره ، لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يُسْأَلُون ولا يقال : لِمَ ؟ وكيف ؟ ولا يدخل أحد بين الله وبين خلقه .

---

(١) أى قتلى المشركين .

٤٩ – وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار { ولا يقبلها أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ } فاتهمه على الإسلام ، فإنه رجل ردىء المذهب والقول . { ولا } يُطْعَن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه ، لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله ﷺ وعرفنا القرآن ، وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار ، فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن .

٥٠ – والكلام والجدل والخصومة فى القدر (خاصة) منهى عنه عند جميع الفرق لأن القدر سرّ الله ، ونهى الرب جلّ اسمه الأنبياء عن الكلام فى القدر ، ونهى النبى ﷺ عن الخصومة فى القدر (وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون) وكرهه العلماء وأهل الورع ، ونهوا عن الجدال فى القدر ، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان ، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ فى جملة الأشياء ، واسكت عما سوى ذلك .

٥١ – والإيمان بأن رسول الله ﷺ أُسْرِىَ به إلى السماء ، وصار إلى العرش ، وسمع كلام الله ، ودخل الجنة ، واطّلع فى النار ، ورأى الملائكة ، وسمع كلام الله عزّ وجلّ ، وبشرت بـه الأنبياء ، ورأى سرادقات العرش والكرسى ، وجميع ما فى السموات (فى اليقظة ، حمله جبريل على البراق حتى أداره فى السموات) ، وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة ، ورجع إلى مكة ليلته ، وذلك قبل الهجرة .

٥٢ – واعلم أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة ، وتأوى إلى قناديل تحت العرش ، وأرواح الفجّار والكفّار فى بئر برهوت [١] ، وهى فى سِجِّين .

٥٣ – والإيمان بأن الميت يقعد فى قبره ، وترسل فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه ، ثم تسل روحه بلا ألم ، ويعرف الميت الزائر إذا زاره ، ويتنعّم المؤمن فى القبر ، ويعذّب الفاجر كيف شاء الله .

٥٤ – والإيمان بأن الله هو الذى كلَّمَ موسى بن عمران يوم الطور ، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع فى مسامعه منه لا من غيره ، فمن قال غير هذا : فقد كفر بالله العظيم .

---

(١) أورد ابن القيم عدة آثار عن جمع فى كتابه الروح فى بئر برهوت ، وليس فيها ما يثبت إسناده . انظر (الروح ص ١٥٣ ، ١٥٤) تحقيق عبد الفتاح عمر (والآيات البينات فى عدم سماع الأموات للألوسى) تحقيق العلامة الألبانى (ص ١٠٠) تعليق (رقم / ٢) . { عماد بن صابر } .

٥٥ – والعقل مولود ، أُعطى كل إنسان من العقل ما أراد الله ، يتفاوتون فى العقول مثل الذرة فى السموات ، ويطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه الله من العقل ، وليس العقل باكتساب ، إنما هو فضل (من) الله .

٥٦ – واعلم أن الله فضَّلَ العباد بعضهم على بعض فى الدين والدنيا ، عدلاً منه لا يقال : جارَ ولا حابَى ، فمن قال : إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة ، (بل) فضّل الله المؤمن على الكافر ، والطائع على العاصى ، والمعصوم على المخذول ، عدلاً منه ، هو فضله يعطيه من يشاء ، ويمنعه من يشاء .

٥٧ – ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدًا من المسلمين – برّهم وفاجرهم – فى أمر الدين فمن كتم فقد غشّ المسلمين ، ومن غشّ المسلمين فقد غشّ الدين ، ومن غشّ الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

٥٨ – والله سميع بصير عليم ، يداه مبسوطتان ، قد علم أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم ، علمه نافذ فيهم ، فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ، ومنَّ به عليهم كرمًا وجودًا وتفَضُّلاً ، فله الحمد .

٥٩ – واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات ، يقال : أبشر يا حبيب الله برضا الله والجنة ، ويقال : أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام ، ويقال : أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار ، هذا قول ابن عباس .

٦٠ – واعلم أن أول من ينظر إلى الله تعالى فى الجنة الأضرَّاء [1] ، ثم الرجال ، ثم النساء ، بأعين رؤوسهم ، كما قال رسول الله ﷺ : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون فى رؤيته » والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر .

٦١ – واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ، ولا شكوك ولا بدعة ، ولا ضلالة ولا حيرة فى الدين : إلا من الكلام ، وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة و (العجب) .

---

(١) لم أجد على هذه المسألة دليلاً . تعليق : د. محمد بن سعيد . والأضرَّاء : جمع ضرير وهو غير المبصر .

وكيف يجترىء الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول : ﴿ ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ [غافر : ٤] ، فعليك بالتسليم والرضا بالآثار ، والكف والسكوت.

٦٢ - والإيمان بأن الله يعذب الخلق فى النار فى الأغلال والأنكال والسلاسل والنار فى أجوافهم وفوقهم وتحتهم ، وذلك أن الجهمية - منهم هشام الفوطى - قال : إنما يعذب الله عند النار ، ردًا على الله ورسوله ﷺ .

٦٣ - واعلم أن صلاة الفريضة خمس صلوات لا يزاد فيهن ولا ينقص ، فى مواقيتها. وفى السفر ركعتان إلا المغرب ، فمن قال أكثر من خمس فقد ابتدع [١] ، ومن قال : أقل من خمس فقد ابتدع ، لا يقبل الله شيئًا منها إلا لوقتها ، إلا أن يكون نسيانًا فإنه معذور يأتى بها إذا ذكرها . أو يكون مسافرًا فيجمع بين الصلاتين إن شاء .

٦٤ - والزكاة من الذهب والفضة (والتمر) والحبوب والدواب على ما قال رسول الله ﷺ ، فإن قسمها [٢] فجائز ، وإن دفعها إلى الإمام فجائز . والله أعلم .

٦٥ - واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن ما قال الله كما قال ، ولا خلف لما قال ، وهو عند ما قال .

٦٦ - والإيمان بالشرائع كلها .

٦٧ - واعلم أن الشراء والبيع حلال إذا بيع فى أسواق المسلمين على حكم الكتاب والسنة ، من غير أن يدخله (تغرير) أو ظلم أو غدر ، أو خلاف للقرآن ، أو خلاف للعلم .

٦٨ - واعلم أنه ينبغى للعبد أن تصحبه الشفقة أبدًا ما صحب الدنيا ، لأنه لا يدرى عَلامَ يموت ، وبِمَ يختم له ، وعَلامَ يلقى الله عزّ وجلّ ، وإن عمل كل عمل من الخير ، وينبغى للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه عند الموت ، ويحسن ظنه بالله ، ويخاف ذنوبه ، فإن رحمه الله فبفضل ، وإن عذبه فبذنب .

---

(٢) إن كان يريد المصنف البدعة الكفرية فمسلّم . وكان الأولى أن يبين أن من زاد فى الصلاة مثلاً صلاة سادسة فهذا تشريع والتشريع حق الله وحده فمن نازعه فى ذلك فهو كافر بإجماع أهل العلم . تعليق : د . محمد بن سعيد .

(٢) أى إن قسّمها بنفسه على مستحقيها .

٦٩ – والإيمان بأن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون فى أمته إلى يوم القيامة.

٧٠ – واعلم أن رسول الله ﷺ قال : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » وهى الجماعة ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابى » . هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب الجماعة كلها ، وهكذا فى زمن عثمان ، فلما قُتِلَ عثمان رضى الله عنه جاء الاختلاف والبدع ، وصار الناس فرقًا ، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير وقال به وعمل به ، ودعا إليه .

وكان الأمر مستقيمًا حتى كانت الطبقة الرابعة (فى خلافة فلان) انقلب الزمان ، وتغيّر الناس جدًا ، وفشت البدع ، وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة ، ووقعت المحنة فى كل شىء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ، ولا أحد من الصحابة ، ودعوا إلى الفرقة ، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن الفرقة ، وكفّر بعضهم بعضًا ، وكلٌّ دعا إلى رأيه ، وإلى تكفير من خالفه ، فضَلَّ الجُهَّال والرِّعاع ومن لا علم له ، وأطمعوا الناس فى شىء من أمر الدنيا ، وخوفوهم عقاب الدنيا ، فاتبعهم الخلق على خوف فى (دينهم) ورغبة فى دنياهم فصارت السنة وأهل السنة الأُلى مكتوفَيْن ، وظهرت البدعة وفشت ، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى ، ووضعوا القياس ، وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم ، فما وافق عقولهم قبلوه ، وما خالف عقولهم ردّوه ، فصار الإسلام غريبًا ، والسُّنَّة غريبة ، وأهل السنّة غرباء فى جوف ديارهم .

٧١ – واعلم أن المتعة – متعة النساء [١] – والاستحلال : حرام إلى يوم القيامة .

٧٢ – واعرف لبنى هاشم فضلهم ، لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، واعرف فضل قريش والعرب ، وجميع الأفخاذ ، فاعرف قدرهم وحقوقهم فى الإسلام .

٧٣ – ومولى القوم منهم ، واعرف فضل الأنصار ، ووصية رسول الله ﷺ فيهم ، وآل الرسول فلا تسبّهم واعرف فضلهم ، وجيرانه من أهل المدينة (فاعرف فضلهم) .

٧٤ – واعلم أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية ، حتى كان فى خلافة بنى

---

(١) يعنى نكاح المتعة المجمع على تحريمه عند أهل السنة . وانظر تحريم نكاح المتعة لأبى الفتح المقدسى ، وكتاب الشيعة والمتعة لمحمد مال الله . { عماد بن صابر } .

العباس تكلمت الرويبضة [1] فى أمر العامة ، وطعنوا فى آثار رسول الله ﷺ ، وأخذوا بالقياس والرأى ، وكفروا من خالفهم ، فدخل فى قولهم الجاهل والمغفل ، والذى لا علم له ، حتى كفروا من حيث لا يعلمون ، فهلكت الأمة من وجوه ، وكفرت من وجوه ، (وتزندقت من وجوه وضلّت من وجوه) وابتدعت من وجوه ، إلا من ثبت على قول رسول الله ﷺ (وأمره ونهيه) وأصحابه (ولم يتخطَّ أحدًا منهم) ولم يجاوز أمرهم ، ووسعه ما وسعهم ، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم (وعلم) أنهم (كانوا) على الإسلام الصحيح ، والإيمان الصحيح ، فقلّدهم دينه واستراح .

٧٥ - واعلم أن الدين إنما هو التقليد ، والتقليد [2] لأصحاب رسول الله ﷺ .

٧٦ - ومن قال : لفظه القرآن مخلوق فهو جهمى ، ومن سكت ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمى ، هكذا قال أحمد بن حنبل ، وقال رسول الله ﷺ : « إنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا فإياكم ومحدثات الأمور . فإنها ضلالة ، وعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ » .

٧٧ - واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية من أنهم فكّروا فى الرب عزّ وجلّ فأدخلوا : لِمَ ؟ وكيف ؟ وتركوا الأثر ، ووضعوا القياس ، وقاسوا الدين على رأيهم فجاءوا بالكفر عيانًا لا يخفى (فـ) كفروا وكفّروا الخلق ، واضطرهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل .

٧٨ - قال بعض العلماء - منهم أحمد بن حنبل - : الجهمى كافر ، ليس من أهل القبلة ، حلال الدم ، لا يرث ولا يورث ، لأنه قال : لا جمعة ولا جماعة (ولا عيدين) ولا صدقة ، وقالوا : من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر ، واستحلوا السيف على أمة محمد ﷺ ، وخالفوا من كان قبلهم ، وامتحنوا الناس بشىء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ ، ولا أحد من أصحابه ، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع ، وأوهنوا الإسلام وعطّلوا الجهاد ، وعملوا فى الفرقة وخالفوا الآثار ، وتكلموا بالمنسوخ ، واحتجوا بالمتشابه ، فشككوا الناس فى أديانهم ، واختصموا فى ربهم ، وقالوا : ليس هناك عذاب قبر ، ولا حوضٌ ولا شفاعة ، والجنة والنار لم يخلقا ، وأنكروا كثيرًا مما قال رسول الله ﷺ ،

---

(١) الرويبضة : الرجل التافه .

(٢) يريد الاتباع للصحابة والسلف على هدى وبصيرة كما قال الله فى { سورة يوسف : ١٠٨ } : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) لا التقليد الأعمى على غير علم ولا نور - الذى عليه المتأخرون - هداهم الله . { من هامش الطبقات } .

فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه ، لأنه من ردّ آية من كتاب الله فقد ردّ الكتاب كله ، ومن ردّ حديثًا عن رسول الله ﷺ فقد ردّ الأثر كله ، وهو كافر بالله العظيم ، فدامت لهم المدة ، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك ، ووضعوا السيف والسوط على (من دون) ذلك ، فدرّس علم السنة والجماعة وأوهنوها ، (فصاروا) مكتومين ، لإظهار البدع والكلام فيها ، ولكثرتهم ، فاتخذوا المجالس وأظهروا آراءهم ووضعوا فيها الكتب ، وأطمعوا الناس ، وطلبوا لهم الرياسة ، فكانت فتنة عظيمة ، لم ينج منها إلا من عصم الله ، فأدنى ما كان يصيب الرجل (من) مجالستهم : أن يشك فى دينه ، أو يتابعهم ، أو يرى رأيهم على الحق ، ولا يدرى أنهم على حق أو على باطل فصار شاكًا ، فهلك الخلق ، حتى كانت أيام جعفر - الذى يقال له المتوكّل - فأطفأ الله به البدع ، وأظهر به الحق ، وأظهر (به) أهل السنة ، وطالت ألسنتهم [1] مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا .

فالرسم والبدع وأهل الضلالة قد بقى منهم قوم يعملون بها ، ويدعون إليها ، لا مانع يمنعهم ، ولا حاجز يحجزهم عما يقولون ويعملون .

٧٩ - واعلم أنه لم تجىء زندقة قط إلا من الهمج الرعاع ، وأتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، فمن كان هكذا فلا دين له ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴾ { الجاثية : ١٧ } . وهم علماء السوء ، أصحاب الطمع .

٨٠ - واعلم أنه لا يزال الناس فى عصابة من أهل الحق والسنة ، يهديهم الله ويهدى بهم (غيرهم) ويحيى بهم السنن ، وهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف فقال : ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم ﴾ { البقرة : ٢١٣ } . ثم استثناهم فقال : ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لِمَا اختلَفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال عصابة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون » .

٨١ - واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية (والكتب) ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة

---

(١) أى علَتْ كلمتهم .

وإن كان قليل العلم (والكتب) ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية (والكتب) .

٨٢ – واعلم أنه من قال فى دين الله برأيه وقياسه ، وتأوّله من غير حجة من السنّة والجماعة : فقد قال على الله ما لا يعلم ، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين ، والحق ما جاء من عند الله عزّ وجلّ ، والسنّة ما سَنَّهُ رسول الله ﷺ ، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى خلافة أبى بكر وعمر (وعثمان) ، ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه الجماعة فَلَجَ [1] على أهل البدعة كلهم ، واستراح بدنه ، وسلم له دينه إن شاء الله . لأن رسول الله ﷺ قال : « ستفترق أمتى » وبيّن (لنا) رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال : « ما أنا عليه وأصحابى » فهذا هو الشفاء والبيان ، والأمر الواضح ، والمنار المستقيم ، وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والتنطّع ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بدينكم العتيق » [2] .

٨٣ – واعلم أن الدين العتيق : ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفّان رضى الله عنه وكان قتله : أول الفرقة ، وأول الاختلاف ، فتحاربت الأمة ، وافترقت واتبعت الطمع والهوى ، والميل إلى الدنيا .

٨٤ – وليس لأحد رخصة فى شىء أخذ به مما لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ : أو يكون رجل يدعو إلى شىء أحدثه مَنْ قبله من أهل البدع فهو كمن أحدثه فمن زعم ذلك أو قال به ، فقد ردّ السنّة وخالف الحق والجماعة ، وأباح الهوى ، وهو أشرّ على هذه الأمة من إبليس ، ومن عرف ما ترك أهل البدع من السنة وما فارقوا منها فتمسك به فهو صاحب سنة (وصاحب) جماعة وحقيق أن يتبع ، وأن يعاون وأن يحفظ ، وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ .

٨٥ – واعلم أن أصول البدع أربعة أبواب ، يتشعّب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى ، ثم يصير كل واحد من البدع يتشعّب ، حتى تصير كلها إلى ألفين وثمانمائة كلها ضلالة ، وكلها فى النار ، إلا واحدة . وهو من آمن بما فى هذا الكتاب ، واعتقده من غير

---

(١) أى غَلَبَ وانتصر وظَفِرَ .

(٢) تخريجه : ليس هذا بحديث مرفوع بل هو من كلام ابن مسعود رضى الله عنه كما أخرجه الدارمى فى سننه جـ ١/٥٠ ح ١٤٤ و ١٤٥ تحقيق اليمانى . تعليق : د. محمد بن سعيد .

ريبة فى قلبه ، ولا شكوك ، فهو صاحب سنّة ، وهو الناجى إن شاء الله .

٨٦ – واعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور ، ولم يجاوزوها بشىء ، ولم يولدوا كلامًا مما لم يجىء فيه أثر عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أصحابه : لم تكن بدعة.

٨٧ – واعلم أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمنًا حتى (يصير) كافرًا : إلا أن يجحد شيئًا مما أنزل الله ، أو يزيد فى كلام الله أو ينقص ، أو ينكر شيئًا مما قال الله عزّ وجلّ أو شيئًا مما تكلم به رسول الله ﷺ ، فاتّقِ الله وانظر لنفسك ، وإياك والغلو فى الدين فإنه ليس من (طريق) الحق فى شىء .

٨٨ – وجميع ما وصفت لك فى هذا الكتاب : فهو عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ وعن أصحابه ، وعن التابعين ، وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع . فاتقِ الله يا عبد الله وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضا بما فى هذا الكتاب ، ولا تكتم هذا الكتاب أحدًا من أهل القبلة ، فعسى الله أن يرد به حيرانَ من حيرته ، أو صاحب بدعة من بدعته ، أو ضالاً عن ضلالته فينجو به ، فاتّقِ الله ، وعليك بالأمر الأول العتيق ، وهو ما وصفت لك فى هذا الكتاب ، فرحم الله عبدًا – ورحم والديه – قرأ هذا الكتاب وبثّه وعمل به ، ودعا إليه ، واحتجّ به فإنه دين الله ودين رسوله ﷺ [١] ، وأنه من استحلّ شيئًا خلافًا لما فى هذا الكتاب فإنه ليس يدين لله بدين ، وقد ردّه كله ، كما لو أن عبدًا آمن بجميع ما قال الله عزّ وجلّ إلا أنه شك فى حرف فَقَدَ جميع ما قال الله وهو كافر ، كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تُقْبَل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين ، وكذلك لا يقبل الله شيئًا من السنّة فى ترك بعض ، ومن خالف ورد من السنة شيئًا فقد ردّ السنّة كلها ، فعليك بالقبول ودع المحال واللجاجة ، فإنه ليس من دين الله فى شىء ، وزمانك – خاصة – زمان سوء فاتّقِ الله [٢] .

---

(١) هذا إطراء زائد من المصنف غفر الله له ، فإن دين الله هو الكتاب والسنة وأما كلام الناس فكلٌ يؤخذ من كلامه ويُرَدُّ إلا المعصوم ﷺ وكان الأولى أن يقول فإنه يدعو إلى دين الله ودين رسوله ﷺ .

(٢) جعلنا الله من المتقين ، ورحم الله المؤلف ، فإذا كان زمانه – وهو القرن الرابع الهجرى – زمان سوء ، فكيف لو عاش إلى القرن الخامس عشر ورأى ما رأيناه ؟ ! .

٨٩ – فإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك ، وفرّ من جوار الفتنة وإياك والعصبية ، وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة ، فاتّقِ الله وحده لا شريك له ، ولا تخرج فيها ، ولا تقاتل فيها ، ولا تهوى ولا تشايع ولا تمايل ، ولا تحب شيئًا من أمورهم فإنه يقال : من أحب فِعال قوم – خيرًا كان أو شرًا – كان كمن عمله ، وفقنا الله وإياكم لمرضاته وجنّبَنا وإياكم معاصيه .

٩٠ – وأقلّ من النظر فى النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة ، وَالْهُ [١] عما سوى ذلك ، فإنه يدعو إلى الزندقة .

٩١ – وإياك والنظر فى الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام ، وعليك بالآثار وأهل الآثار ، وإياهم فاسأل ، ومعهم فاجلس ، ومنهم فاقتبس .

٩٢ – واعلم أنه ما عُبِدَ الله بمثل الخوف من الله ، وطريق الخوف والحذر والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى ، واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ، ويخلو مع النساء ، وطريق المذهب ، فإن هؤلاء كلهم على ضلالة .

٩٣ – واعلم أن الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته ، ومَنّ مِنْ بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضلاً منه .

٩٤ – والكف عن حرب على ومعاوية ، وعائشة وطلحة والزبير ، رحمهم الله أجمعين ومن كان معهم ، لا تخاصم فيهم ، وكِلْ أمرهم إلى الله تعالى ، فإن رسـول الله ﷺ قال : « إياكم وذكر أصحابى وأصهارى وأختانى » [٢] . وقال : « إن الله تعالى نظر إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

٩٥ – واعلم أنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه ، وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه ، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئًا إلا بإذنه ، فإنه عسى أن يتوب هذا

---

(١) فعل أمر من اللهو ، والمقصود الانصراف .

(٢) اللفظ المحفوظ عن النبى ﷺ فيما اطلعت عليه هو « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضًا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » أحمد ٥/ ٥٤ ، ٥٧ ، والترمذى فى المناقب ح ٣٨٦١ وحسّنَه وابن حبّان ٢٢٨٤ موارد . غير أن الشيخ الألبانى ضعّف رواية الترمذى . انظر ضعيف الجامع رقم ١٢٥٩ . تعليق : د . محمد بن سعيد .

فيريد أن يردّه على أربابه ، فأخذت حرامًا .

٩٦ – والمكاسب ما بان لك صحته فهو مطلق ، إلا ما ظهر فساده ، فإن كان فاسدًا يأخذ من الفاسد ممسكة نفسه ، ولا تقول : أترك المكاسب وآخذ ما أعطونى ، لم يفعل هذا الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس » (١) .

٩٧ – والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت إلا أن يكون جهميًا ، فإنه معطّل وإن صليت خلفه فأعدْ صلاتك ، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميًا وهو سلطان فصلِّ خلفه ، وأعد صلاتك ، وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سُنَّة فصلِّ خلفه ولا تعد صلاتك .

٩٨ – والإيمان بأن أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما فى حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ ، قد دفنا هنالك معه ، فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما بعد رسول الله ﷺ واجب .

٩٩ – والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب إلا من خِفْتَ سيفه وعصاه ، والتسليم على عباد الله أجمعين .

١٠٠ – ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة فى المسجد من غير عذر فهو مبتدع ، والعذر : كمرض لا طاقة له { معه } بالخروج إلى المسجد ، أو خوف من سلطان ظالم ، وما سوى ذلك فلا عذر لك ، ومن صلى خلف إمام فلم يقتَدِ به فلا صلاة له .

١٠١ – والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف ، والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة .

١٠٢ – وكل علم ادّعاه العباد من علم الباطن لم يوجد فى الكتاب ولا فى السُّنَّة فهو بدعة وضلالة لا ينبغى لأحد أن يعمل به ، ولا يدعو إليه .

١٠٣ – وأى امرأة وهبت نفسها لرجل : فإنها لا تحل له ، يعاقبان إن نال منها

---

(١) جاء فى كنز العمال (رقم / ٩٨٥٤) بلفظ « مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس » وعزاه إلى وكيع . { عماد بن صابر } .

شيئًا ، إلا بولى وشاهدَى عدل وصَدَاق .

١٠٤ – وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبى ﷺ فاعلم أنه صاحب (قول سوء) وهوى ، لقول رسول الله ﷺ : « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا » فقد علم النبى ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته ، فلم يقل فيهم إلا خيرًا وقال : « ذروا أصحابى ، لا تقولوا فيهم إلا خيرًا » ولا تحدث بشىء من زللهم ولا حربهم ، ولا ما غاب عنك علمه ، ولا تسمعه من أحد يحدّث به فإنه لا يسلم (لك) قلبك إن سمعته .

١٠٥ – وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، أو يردّ الآثار ، أو يريد غير الآثار ، فاتّهمه على الإسلام ، ولا تشكّ أنه صاحب هوى مبتدع .

١٠٦ – واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التى افترضها على لسان نبيه ﷺ ، جوره على نفسه ، وتطوّعك وبرّك معه تامّ إن شاء الله تعالى .

يعنى – الجماعة والجمعة – والجهاد معهم ، وكل شىء من الطاعات فشاركهم فيه (فَلَكَ نيَّتُك له) .

١٠٧ – وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح ، فاعلم أنه صاحب سُنَّة إن شاء الله . يقول فضيل ابن عياض : لو كان لى دعوة (مستجابة) ما جعلتها إلا فى السلطان (قيل له : يا أبا علىّ فسّر لنا هذا ، قال : إذا جعلتها فى نفسى لم تَعْدُنى [1] ، وإذا جعلتها فى السلطان صلح ، فصلح بصلاحه العباد والبلاد) فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا ، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم ، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين .

١٠٨ – ولا تذكر أحدًا من أمهات (المؤمنين) إلا بخير .

١٠٩ – وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض فى جماعة مع السلطان وغيره ، فاعلم أنه صاحب سنّة إن شاء الله تعالى ، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض فى جماعة وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى .

---

(١) أى تجاوزنى .

١١٠ - والحلال : ما شهدتَ عليه وحلفتَ عليه أنه حلال ، وكذلك الحرام ما حاك في صدرك فهو شبهة .

١١١ - والمستور من بان ستره ، والمهتوك من بان هتكه ، وإذا سمعت الرجل يقول : فلان ناصبي فاعلم أنه رافضي ، وإذا سمعت الرجل يقول : فلان مشبه أو فلان يتكلم بالتشبيه فاعلم أنه جهمي ، وإذا سمعت الرجل يقول : تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي ، أو يقول : فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار ، أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري ، لأن هذه الأسماء محدثة ، أحدثها أهل البدع .

وقال عبد الله بن المبارك : لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا ، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا ، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا ، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا ، ولا عن أهل مكة في الصرف ، ولا عن أهل المدينة في الغناء ، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء (شيئًا) .

١١٢ - وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد (بن حضير) فاعلم أنه صاحب سُنّة إن شاء الله ، وإذا رأيت الرجل يحب أيّوب وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ ووهب ابن جرير وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة . فاعلم أنه صاحب سُنّة ، وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن نصر وذكرهم بخير وقال قولهم فاعلم أنه صاحب سُنّة .

١١٣ - وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره وأعْرِفه (١) ، فإن جلس معه بعدما علم فاتَّقِه ، فإنه صاحب هوى .

١١٤ - وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ، ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة ، فقم من عنده ودَعْهُ .

١١٥ - واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعو إلى السيف ، وأردؤها وأكفرها : الرافضة

(١) كذا بالأصل والسياق يقتضي وعرِّفه . أي يجب أن تُعْلِمَه أنه يجالس أصحاب الأهواء ، وينبغي أن يعتزلهم ، فإن أصرَّ على مجالستهم فالواجب اجتنابه وهَجْرُه .

والمعتزلة والجهمية ، فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة .

١١٦ - واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه (إنما) أراد محمدًا ﷺ وقد آذاه فى قبره ، وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره ، فإن الذى أخفى عنك أكثر مما أظهر ، وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب ، فاسقًا فاجرًا صاحب معاصٍ ، ظالمًا وهو من أهل السنّة فاصحبه واجلس معه ، فإنه ليس تضرك معصيته [1] ، وإذا رأيت الرجل عابدًا مجتهدًا متقشفًا ، محترقًا بالعبادة صاحب هوىً ، فلا تجلس معه ، ولا تسمع كلامه ، ولا تمشِ معه فى طريق ، فإنى لا آمن أن تستحلى طريقه فتهلك معه . رأى يونس بن عبيد ابنه - وقد خرج من عند صاحب هـوى - فقال : يا بنى من أين خرجت ؟ قال : من عند عمرو بن عبيد ، قال : يا بنى : لأن أراك خرجت من بيت هيتى أحبّ إلىّ من أن أراك خرجت من بيت فلان وفلان ، ولأن تلقى الله زانيًا سارقًا (فاسقًا) خائنًا أحبّ إلىّ من أن تلقاه بقول أهل الأهواء .

أفلا تعلم أن يونس قد علم أن الهيتى لا يضل ابنه عن دينه ، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره ؟ .

١١٧ - فاحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة ، وانظر من تجالس ، وممن تسمع وممن تصحب ، فإن الخلق (كأنهم فى ردة) كلهم فى ضلالة إلا من عصم الله منهم ، وإذا رأيت الرجل يذكر (ابن أبى دؤاد) والمريسى أو ثمامة وأبا الهذيل ، وهشام الفوطى ، أو واحدًا من أتباعهم وأشياعهم فاحذره ، فإنه صاحب بدعة ، وإن هؤلاء كانوا على الردة ، واترك هذا الرجل الذى ذكرهم بخير .

١١٨ - والمحنة فى الإسلام بدعة ، وأما اليوم فيمتحن بالسنّة لقوله : « إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم » ، « ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته » فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة ، صدوق ، كتبت عنه ، وإلا تركته .

١١٩ - وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام

---

(١) هذا القول فيه نظر فإن المجالس لصاحب المعاصى يخشى عليه أن يستحليها ويزينها له الشيطان فيقترف الموبقات ، وإنما يجالسه إذا كان على نية دعوته للتوبة وتذكيره بالله ويعلم من نفسه أنه لن يتأثر بفسق ذلك الرجل وإلا فلا . تعليق : د. محمد بن سعيد .

وأصحاب الكلام ، والجدال والمراء والقياس والمناظرة فى الدين ، فإن استماعك منهم – وإن لم تقبل منهم – يقدح الشك فى القلب ، وكفى به قبولا فتهلك ، وما كانت قط زندقة ، ولا بدعة ، ولا هوى ، ولا ضلالة إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس وهى : أبواب البدع والشكوك والزندقة .

١٢٠ – فالله الله فى نفسك وعليك بالآثار وأصحاب الأثر والتقليد ، فإن الدين إنما هو التقليد [١] ، يعنى للنبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن قبلنا لم يَدَعُونا فى لَبْس فقلِّدْهُم واسترح ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر ، وقف عند متشابه القرآن والحديث ولا تقس شيئًا ، ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع ، فإنك أُمِرْتَ بالسكوت عنهم ، فلا تمكنهم من نفسك ، أما علمت أن محمد بن سيرين – مع فضله – لم يجب رجلاً من أهل البدع فى مسألة واحدة ولا سمع منه آية من كتاب الله عزّ وجلّ فقيل له ، فقال : أخاف أن يحرِّفها فيقع فى قلبى شىء .

١٢١ – وإذا سمعت الرجل يقول : إنا نحن نعظم الله – إذا سمع آثار رسول الله ﷺ – فاعلم أنه جهمى ، يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ ويدفعه بهذه الكلمة ، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية وحديث النزول وغيره ، أفليس قد رد أثر رسول الله ﷺ إذ قال : إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع ، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره ، فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال ، وحذِّر الناس منهم ، وإذا سألك الرجل عن مسألة فى هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشده ، وإذا جاءك يناظرك فاحذره ، فإن فى المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب ، وقد نهيت عن جميع هذا ، وهو يزيل عن طريق الحق ، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا وعلمائنا أنه جادل ، أو ناظر أو خاصم .

قال الحسن : الحكيم لا يمارى ولا يدارى ، حكمته ينشرها ، إن قُبِلَتْ حمد الله وإن ردّت حمد الله . وجاء رجل إلى الحسن فقال : أنا أناظرك فى الدين ، فقال الحسن : أنا قد عرفت دينى ، فإن كان دينك قد ضلّ منك فاذهب فاطلبه ، وسمع رسول الله ﷺ قومًا على باب حجرته يقول أحدهم : ألم يقل الله كذا ؟ ويقول الآخر : ألم يقل الله كذا ؟

---

(١) مراده بالتقليد الاتباع والاقتداء . تعليق : د. محمد بن سعيد . وانظر (رقم ٧٥) الماضى .

فخرج مغضبًا فقال : « أبهذا أمرتكم أم بهذا بعثت إليكم ، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ » [(١)] فنهاهم عن الجدال .

وكان ابن عمر يكره المناظرة ، ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا [(٢)] وقول الله عزّ وجلّ أكبر من قول الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ { غافر : ٤ } . وسأل رجل عمر بن الخطاب فقال : ما الناشطات نشطا ؟ فقال : لو كنت محلوقًا [(٣)] لضربت عنقك . وقال النبى ﷺ : « المؤمن لا يمارى ، ولا أشفع للممارى يوم القيامة ، ودعوا المراء لقلة خيره » [(٤)].

١٢٢ – ولا يحلّ لرجل أن يقول : فلان صاحب سنّة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنّة ، فلا يقال له : صاحب سنّة حتى تجتمع فيه السنّة كلها . قال عبد الله بن المبارك : أصل اثنين وسبعين هوى : أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعّبت الاثنان وسبعون هوى : القدرية ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج ، فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا – على أصحاب رسول الله ﷺ – ولم يتكلم فى الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيّع أوله وآخره ، ومن قال : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره ، ومن قال : الصلاة خلف كل برّ وفاجر ، والجهاد مع كل خليفة ، ولم يَرَ الخروج على السلطان بالسيف ، ودعا لهم بالصلاح ، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره ، ومن قال : المقادير كلها من الله عزّ وجلّ ، خيرها وشرّها ، يُضِلُّ من يشاء ويهدى من يشاء ، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره ، وهو صاحب سنّة .

١٢٣ – وبدعة ظهرت هى كفر بالله العظيم ، ومن قال بها فهو كافر بالله لا شك فيه : من يؤمن بالرجعة ، ويقول : على بن أبى طالب حىٌّ ، وسيرجع قبل يوم القيامة ، ومحمد ابن على ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، ويتكلمون فى الإمامة ، وأنهم يعلمون الغيب ، فاحذرهم فإنهم كفار بالله العظيم .

---

(١) صححه الشيخ الألبانى فى صحيح ابن ماجه (رقم ٦٩) .

(٢) أى يكرهون المناظرة كذلك .

(٣) يعنى لو كنت من الخوارج ، ذلك أن سيما الخوارج التحليق .

(٤) ضعيف ، رواه الطبراني في الكبير (٧٦٦٠) وذكره الهيثمي في المجمع (١/١٠٦، ١٥٦، ٧/٢٥٩) وانظر للاستزادة في موضوع النهي عن المراء (شرح السنة ج ١/٢٦٠) .

قال طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة : من وقف عند عثمان وعلى فهو شيعى ، لا يعدّل ولا يكلم ولا يجالس ومن قدم عليًا على عثمان فهو رافضى قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن قدم الأربعة على جميعهم ، وترحم على الباقين ، وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى فى هذا الباب .

١٢٤ – والسنة أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أنهم من أهل الجنة لا شك فيه ، ولا (تفرد بالصلاة) على أحد إلا رسول الله ﷺ وعلى آله فقط ، وتعلم أن عثمان قتل مظلومًا ، ومن قتله كان ظالمًا ، فمن أقر بما فى هذا الكتاب وآمن به ، واتخذه إمامًا ، ولم يشك فى حرف منه ، ولم يجحد حرفًا منه ، فهو صاحب سنّة وجماعة كامل قد كملت فيه الجماعة ، ومن جحد حرفًا مما فى هذا الكتاب أو شك فى حرف منه ، أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى [1] ، ومن جحد أو شك فى حرف من القرآن ، أو فى شىء جاء عن رسول الله ﷺ : لقى الله مكذّبًا ، فاتقِ الله واحذر وتعاهد إيمانك .

١٢٥ – ومن السنة أن لا تطيع أحدًا فى معصية الله ، ولا الوالدين والخلق جميعًا ، ولا طاعة لبشر فى معصية الله . ولا يحب عليه أحدًا ، واكره ذلك كله لله .

١٢٦ – والإيمان بأن التوبة فرض على العباد ، أن يتوبوا إلى الله عز وجل من كبير المعاصى وصغيرها .

١٢٧ – ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فهو صاحب بدعة وضلالة ، شاكّ فيما قال رسول الله ﷺ . قال مالك بن أنس : من لزم السنّة وسلم منه (أصحاب) رسول الله ﷺ ثم مات : كان مع (النبيين) والصديقين والشهداء والصالحين ، وإن قصر فى العمل . وقال بشر بن الحارث : السنة هى الإسلام ، والإسلام هو السنّة . وقال الفضيل بن عياض : إذا رأيت رجلاً من أهل السنة فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ، وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع فكأنما رأيت رجلاً من المنافقين . وقال يونس بن عبيد : العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة وأعجب

(١) هذا من الإطراء الذى لا نقرّ المؤلف عليه ، إذ المعهود عن السلف أنهم يكرهون الإطراء من الآخرين ، فكيف إذا كان من الإنسان نفسه لنفسه ؟ ! .

منه المجيب إلى السنة . وكان ابن عون يقول عند الموت : السنّة ، السنّة وإياكم والبدع حتى مات .

١٢٨ – وقال أحمد بن حنبل : مات رجل من أصحابى ، فرئى فى المنام فقال : قولوا لأبى عبد الله : عليك بالسنّة ، فإن أول ما سألنى ربى عزّ وجلّ عن السنة . وقال أبو العالية : من مات على السنة مستورًا فهو صدّيق ، والاعتصام بالسنّة نجاة .

وقال سفيان الثورى : من أصغى بأُذُنِهِ إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ، ووكل إليها يعنى إلى البدع .

١٢٩ – وقال داود بن أبى هند : أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران : لا تجالس أهل البدع فإن جالستهم فحاك فى صدرك شىء مما يقولون أكببتك فى نار جهنم .

١٣٠ – وقال الفضيل بن عياض [1] : من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة .

وقال الفضيل بن عياض : لا تجلس مع صاحب بدعة فإنى أخاف أن تنزل عليك اللعنة . وقال الفضيل بن عياض : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . وقال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة فى طريق فَجُزْ فى طريق غيره .

وقال الفضيل بن عياض : من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ، ومن تبسّم فى وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عزّ وجلّ على محمد ﷺ ، ومن زوّج كريمته مبتدعًا فقد قطع رحمها ، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل فى سخط الله حتى يرجع .

وقال الفضيل بن عياض : آكل مع يهودى ونصرانى ولا آكل مع مبتدع ، وأحب أن يكون بينى وبين صاحب بدعة حصن من حديد .

---

(١) هذه الآثار الواردة عن الفضيل معظمها أورده الحافظ أبو نعيم فى كتاب الحلية ج ٨ فى ترجمة الفضيل رحمه الله . على أن كثيرًا من هذه الآثار لم يرد عليه دليل صحيح فليتأمل . تعليق : د. محمد بن سعيد .

وقال الفضيل بن عياض : إذا علم الله عز وجلّ من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قلّ عمله ، ولا يكن صاحب سنة يمالىء صاحب بدعة إلا نفاقًا ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانًا ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة ، فلا تكن صاحب بدعة فى الله أبدًا .

انتهى

ننصحك يا أخى الكريم بقراءة الكتب الآتية حتى تتسلح بالعلم النافع والعقيدة الصحيحة التى تثبت بها فى وجه التحديات المعاصرة :

١ – شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبى العز الحنفى . تحقيق العلامة الألبانى .

٢ – السنة . للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل . تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطانى .

٣ – مختصر العلو للعلى الغفار . للإمام الذهبى . اختصار وتحقيق الألبانى .

٤ – تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد . للعلامة الألبانى .

٥ – قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة . للإمام ابن تيمية .

٦ – تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات . للشيخ ابن حجر آل بوطامى .

٧ – السنن والمبتدعات . للشيخ محمد عبد السلام الشقيرى .

٨ – الثمرات الزكية فى العقائد السلفية . للشيخ أحمد فريد .

٩ – معجم المناهى اللفظية . للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد .

الرسالة الرابعة :

الإيمان

حقيقته - علاماته - ثمراته

تاليف

الدكتور عبد الله بن محمد المطلق

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...... وبعد :

أخى فى الله أرجو أن تتدبّر معى هذه الآية من كتاب الله الذى أنزله نورًا وهدًى للناس وشفاء لأمراض القلوب والأبدان منقذا للبشرية من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان فإن تدبُّر القرآن هو سبيل الاستفادة منه ، إن هذه الآية هى قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكم واعلموا أن الله يَحُول بين المرء وقلبه وأنه إليه تُحْشَرون ﴾ { الأنفال : ٢٤ } .

إن هذه الآية تؤكد أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحياة الحقيقية المثمرة المباركة فكل إنسان تخلّى عن منهج النبى ﷺ فهو ميت وإن كان يسير فى الطرقات ويبيع ويشترى ويصول ويجول .

كما دلّت عليه هذه الآية وكما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كان مَيْتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشى به فى الناس كمن مثَلُه فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ { الأنعام : ١٢٢ } .

أخى فى الله :

إن هذه الحياة التى جاء بها محمد ﷺ هى الإيمان بالله الذى دعا الناس إليه فأخرج الله به المسلمين من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وسنتكلّم هنا بإيجاز عن تعريف الإيمان وعلاماته وثمراته ، ونماذج من الذين أنار الإيمان قلوبهم - فاستجابوا لله وللرسول حين دعاهم إلى الهدى .

فما هو الإيمان ؟

جاء جبريل إلى النبى ﷺ فى صورة أعرابى فسأله عن الإيمان ، فقال النبى ﷺ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . « رواه مسلم »[1] .

---

(١) مسلم برقم ٨ .

والإيمان فى لغة العرب التصديق فيكون معنى الحديث أن يصدق الإنسان تصديقًا جازمًا بأن الله وحده هو المستحق للعبادة الذى بيده ملكوت كل شىء وهو الموصوف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص ، ويؤمن بأن الملائكة عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم بالنسبة لما هيأهم الله له أقسام : « منهم حَمَلَة العرش ، ومنهم الكروبيون الذين حول العرش وهم أشرف الملائكة ، ومنهم سكّان السموات السبع يعمرونها بالعبادة ، ومنهم الموكلون بالجنة ، ومنهم الموكلون بالنار ، ومنهم الموكل بالوحى ، ومنهم الموكل بالموت ، ومنهم صاحب الصور ، ومنهم من يقوم بتدبير أمور الكون كما قدّرها الله .

قال الله تعالى : ﴿ فالمُدَبِّرات أمرًا ﴾ { النازعات : ٥ } .

فمنهم من وكل بالمطر ، ومنهم من وكل بالرياح ومنهم الموكل بنفخ الأرواح فى الأرحام ، ومنهم الموكل بإنبات النبات ومنهم من وكل بملازمة الإنسان وكتابة عمله ، ومنهم الموكل بالجبال ومنهم السيّاحون فى الأرض الذين يتبعون مجالس الذِّكْر وغير ذلك مما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة .

ويؤمن [١] بجميع الكتب المنزلة من عند الله ما سمّاه الله لنا منها فى القرآن وهى : التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى ، وما لم يُسَمِّهِ منها ، ويصدِّق بما ذكره القرآن من وجود التحريف والتبديل فى النسخ الموجودة منها الآن وأن وجوب اتباعها منسوخ بالقرآن الكريم فهو الكتاب الذى يجب على جميع الإنس والجن تطبيقه والعمل به .

ويؤمن بجميع الرسل الذين أرسلهم الله وقد ذكر الله منهم فى كتابه خمسة وعشرين وورد فى حديث « ضعيف » [٢] أن عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً وقد أخبر الله أنه بعث فى كل أمة رسولاً بالتوحيد وأنه لم تكن أمة من الأمم إلا جاءها نذير :

﴿ وإنْ مِنْ أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ { فاطر : ٢٤ } .

---

(١) معطوف على قوله : « ويؤمن بأن الملائكة عباد مكرمون .... » .

(٢) انظر سياق ابن كثير للحديث بإسناده فى البداية والنهاية ٢/١٥٢ .

ويؤمن باليوم الآخر يوم الجزاء والحساب يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين يوم تُبَدَّلُ الأرض غيرَ الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار فمن كانت أعماله فى الدنيا صالحة كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا .

ومن كانت سجلات أعماله مملوءة بالشرك والسيئات فخفّت موازينه فهو مع رفقة السوء وأئمة الضلال فى نارٍ ، حرُّها شديد وقعرها بعيد مملوءة بالسلاسل والأغلال يدعو فيها فلا يُسْتَجاب له ويستغيث فلا يغيثه أحد .

ويؤمن بأن الله يعلم أمور الكون كله وأفعال العباد قبل وقوعها وقد كتبها سبحانه كما علمها وقد شاء سبحانه وتعالى وقوعها لأنه جعل الدنيا دار امتحان وابتلاء ولا يقع فى ملكه سبحانه ما لا يريد .

ويؤمن بأنه سبحانه خلق العباد وأعمالهم وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ...

وما يقع على العبد من المصائب والأحزان فهو مما كتبه الله عليه وقدّره بسبب عمله كما قال الله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ { الشورى : ٣٠ } .

فعلى العبد الرضا بالقدر والاجتهاد فى إحسان العمل فإن عدم الرضا بالمصيبة لا يردها ويضيع أجرها كما قيل : إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور .

ومع الإيمان بكل ما تقدّم لابد أن يُصَدِّق ذلك بالعمل الصالح ، فإن الإيمان تصديق بالقلب ونطق بالشهادتين باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فمن لا يصلى لا إيمان له عند المحققين من العلماء ، وقد قال الله : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدِّين ﴾ { التوبة : ١١ } .

وقال الله عن أهل النار حينما يسألهم أهل الجنة لماذا دخلتم النار :

﴿ قالوا لم نَكُ من المُصَلِّين * ولم نَكُ نُطْعِمُ المسكين * وكنا نخوض مع

الخائضين * وكنا نُكَذِّبُ بيوم الدِّين ﴾ { المدثر : ٤٣ - ٤٦ } .

وقد يُرى بعض الناس مصرًا على كبيرة من كبائر الذنوب فإذا نصحته أن يتوب إلى الله منها قال يا أخى أنا قلبى نظيف ليس فيه حسد ولا غش والرسول ﷺ يقول التقوى هاهنا [1] ويشير إلى صدره وهو يقصد فى استدلاله بهذا الحديث أن يثبت أنه مؤمن كامل الإيمان وأنه لا يضرّه إصراره على هذه المعصية ، وهذا خطأ واضح وجهل كبير فإن الأعمال هى التى تكشف للناس ما فى القلب فإذا ادّعى الشخص أنه مؤمن قوى الإيمان محبّ لله ولرسوله ﷺ فلابد أن ترى آثار طاعة الله ورسوله عليه أما أن تظهر عليه آثار المعصية ويدّعى محبة الله فهو كما قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تعلن حبه	هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

ومع ذلك فإنّا لا نسلبه وصف الإيمان ولكن المعاصى بريد الكفر ، ومن مات موحِّدًا وهو مُصرّ على كبيرة فهو تحت المشيئة يوم القيامة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذّبه بذَنْبه ثم أدخله الجنة .

علامات الإيمان :

لكل شىء علامة تدل عليه ويُعْرَف بها ، والإيمان الصادق الذى وَقَرَ فى القلب وصَدَّقته الأعمال له علامات تدل عليه ، كما تدل أشعة الشمس عليها وقد أرشد إلى بعضها القرآن ونبّه إلى بعضها الآخر النبى ﷺ وإليك طائفة منها :

١ - أن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان من كل شىء وأن يظهر ذلك على الشخص فى جميع تصرفاته ، قال ﷺ : ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان :

(أ) أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

(ب) وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

---

(١) جزء من حديث طويل فى مسلم برقم ٤٥٦٤ .

(جـ) وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُلْقَى فى النار [1] .

وجاء عمر إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : والذى بعثك بالحق لأنت أحب إلى من نفسى ، فقال ﷺ : الآن يا عمر [2] . أى الآن تم إيمانك . وتظهر هذه المحبة فى العمل ، فقد قال تعالى لأناسٍ ادَّعوا محبة الله :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبِعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ { آل عمران : ٣١ } .

ولقد ضرب الصحابة أروع المثل فى محبة النبى ﷺ وفدائه بأنفسهم وأموالهم فقد ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعد المعركة فى أُحُد قال : مَنْ رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ . فقال رجل من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ، فقال : أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ سلامى وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى به نبيًا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات [3] .

وروى البخارى عن جابر قال : لما حضر أُحُد دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقْتَل من أصحاب رسول الله ﷺ وأنى لا أترك بعدى أعزَّ علىَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن علىَّ دَيْنًا فاقْضِ واستوصِ بأخواتك خيرًا [4] .

٢ - الاستجابة التامة لأوامر الله ورسوله :

فيقبل كل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ ويسارع فى تطبيقه أمرًا ونهيًا مع الرضا التام به والاعتقاد الجازم بصوابه .

---

(١) البخارى ١٢/١ ، ومسلم برقم ٤٣ . (٢) انظر عمدة القارى ١٤٤/١ .

(٣) البداية والنهاية ٣٩/٤ وأصله فى الموطأ باب الترغيب فى الجهاد .

(٤) البخارى ١٧٢/٣ - ١٧٣ .

﴿ إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يُطِعِ الله ورسوله ويَخْشَ الله ويَتَّقْهِ فأولئك هم الفائزون ﴾ { النور : ٥١ – ٥٢ } .

وقال تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلِّموا تسليمًا ﴾ { النساء : ٦٥ } .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، فقال : لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ (١) .

ولقد دخل عيينة بن حصن وهو من سادات العرب على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال : هِيْ يابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر وهَمَّ أن يبطش به ، فقال له الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين : إن الله تعالى قال لرسوله ﷺ :

﴿ خذ العفو وَأْمُر بالعُرْفِ وأعرض عن الجاهلين ﴾ { الأعراف : ١٩٩ } .

وإن هذا من الجاهلين ، فما جاوزها عمر حين تلاها وكان وقّافًا عند كتاب الله (٢) .

٣ – الحب فى الله والبغض فى الله :

ومعنى ذلك أن يحب المؤمنين الذين يطبِّقون منهج الله فى الأرض من أجل ما عندهم من الطاعات ويبغض العصاة والفسقة والكفّار بسبب ما عندهم من المعاصى .

قال الله تعالى :

﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو

---

(١) مسلم برقم ٢٠٩٠ .

(٢) البخارى ٨/٢٢٩ .

كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ { المجادلة : ٢٢ } .

وروى أحمد بسنده عن البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » (١) .

وعند أبى داود عن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » (٢) .

وبعد أن انتهت معركة بدر مرّ مصعب بن عمير على أخيه أبى عزيز بن عمير ورجل من الأنصار يأسره فقال مصعب للأنصارى : شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديك منه فقال له : يا أخى هذه وصاتك لى ، فقال مصعب : إنه أخى دونك .

٤ – إيثار الآخرة على الدنيا :

الدنيا ضرة الآخرة فمن تعلّق قلبه بالدنيا هانت عنده الآخرة ومن تعلّق قلبه بالآخرة جعل الدنيا مزرعة ووسيلة لها ، قال تعالى :

﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾ { النازعات : ٣٧ – ٤١ } .

وروى البزار عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لقى حارثة الأنصارى رضى الله عنه فسلّم عليه ، وقال له : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقًا ، فقال ﷺ : انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزًا وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاوون فيها ، فقال ﷺ : عَرَفْتَ فالزَمْ.

---

(١) المسند ٢٨٦/٤ . { وأخرجه الطبرانى والطيالسى وغيرهما وهو حسن بمجموع طرقه . أفاده العلامة الألبانى فى صحيحته رقم ١٧٢٨ } .

(٢) أبو داود برقم ٤٦٨١ وإسناده حسن وهو فى مسند أحمد ٤٣٨/٣ ، ٤٤٠ ، { الصحيحة / ٣٨٠ } .

عبد نور الإيمان فى قلبه (١) .

٥ - عمارة المساجد :

وتكون بإقامة الصلوات المفروضة فيها جماعة كما تكون ببنائها ليجتمع فيها عباد الله ويؤدوا فيها الشعائر التى أمرهم الله بها جماعة فى أوقات معينة ، فالذى تجب عليه الجماعة ويصلى فى بيته ليس من الذين يعمرون مساجد الله وإن ساهم فى بنائها ، قال تعالى :

﴿ إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يَخْشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ { التوبة : ١٨ } .

وقال تعالى :

﴿ فى بيوت أذنَ الله أن تُرْفَع ويُذْكَر فيها اسمه يُسَبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلّب فيه القلوب والأبصار ﴾ { النور : ٣٦ ، ٣٧ } .

وروى أحمد والترمذى وابن ماجة عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان (٢) .

٦ - محبة الطاعات وبغض المعاصى :

ذلك أن المؤمن قد رسم خطة سيره فى الدنيا وفق ما شرعه الله ورسوله فما أباحه الدين فهو الحلال الطيب وما حرمه فهو الخبيث الذى ينبغى الابتعاد عنه ، فإذا عمل

---

(١) رواه الطبرانى والبزار بسندين « ضعيفين » العراقى على الإحياء ٤/ ٢٢٠ .

(٢) وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم « انظر كشف الخفا » للعجلونى ١/٩٣ . { وهو من طريق دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد ، ودراج عن أبى الهيثم فيه ضعف ، وتعقب الذهبى الحاكم قائلا : (قلت : دراج كثير المناكير) . { عماد بن صابر } .

الحسنة أو رآها فرح بها وإذا عمل السيئة أو رآها أو سمع بها ساءته وحزن لها ، قال ﷺ : « إذا سرّتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن » [1] .

لذلك فإن المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قال تعالى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧١] .

ولذلك أيضًا فإن المؤمن يحبّ الجهاد لأن فيه إعلاء كلمة الله ومحاربة الكفار والإلحاد والمعاصى ، فالجهاد بالمال والنفس من أهم صفات المؤمنين الصادقين .

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] .

٧ - الرضا بالقضاء والقدر :

على المؤمن أن يرضى بأقدار الله ويصبر لما ينزل عليه من المصائب طمعًا فيما عند الله من الأجر . قال الله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقد يبتلى الله عبده بالمصائب ليرفع درجته ويكفّر سيئته ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من شىء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة وحطّت عنه بها خطيئة » [2] .

وعن أبى سعيد وأبى هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : « ما يصيب المؤمن من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا سقم ولا حزن حتى الهمّ يهمّه إلا كفّر به من سيئاته » [3] .

---

(١) المستدرك ١/١٤ وقال على شرطهما ووافقه الذهبى .

(٢) مسلم ٤/١٩٩٢ .

ثمرات الإيمان

وبعد أن استعرضنا بعض علامات الإيمان بإيجاز يحسن بنا أن نلم إلمامة سريعة ببعض ثمرات الإيمان التى يقطفها يانعة طيبة من التزم بالإيمان اعتقادًا وقولاً وسلوكًا فنقول :

حب الله لعبده المؤمن :

إن الله يحب عبده المؤمن ويتولاه ويدافع عنه وينصره . قال الله تعالى :

﴿ الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

وقال تعالى :﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خَوَّان كفور ﴾ [الحج : ٣٨] .

وإذا أحب الله عبده وضع له القبول فى الأرض فأحبه عباد الله وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحب الله تعالى عبدًا نادى جبريل أن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض فذلك قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] . وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل أنى قد أبغضت فلانًا فأبغضه فيبغضه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ثم ينزل له البغضاء فى الأرض » . متفق عليه .

---

(٣) مسلم ٤/١٩٩٣ .

استغفار الملائكة ودعاء المؤمنين :

ذلك أن الملائكة تستغفر للمؤمنين . قال تعالى :

﴿ الذين يحملون العرش ومَنْ حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كل شىء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهِمْ عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرِّيَّاتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقِهِمُ السيئات ومن تَقِ السيئات يؤمئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ { غافر : ٧ - ٩ } .

وكذلك المؤمنون يدعو بعضهم لبعض فى الصلوات وغيرها فهو فى كل تشهد يسلّم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين ويجتهد العُبَّاد من المؤمنين فى الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ونحو ذلك .

وقد ذكر الله فى القرآن عن نبيه نوح وإبراهيم عليهما السلام أنهما دَعَوا للمؤمنين والمؤمنات [1] .

النجاة من العذاب فى الدنيا والآخرة :

أما فى الدنيا فقد قال الله تعالى :

﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين * ثم ننجّى رسلنا والذين آمنـوا كذلك حقًا علينا نُنْجِ المؤمنين ﴾ { يونس : ١٠٢ - ١٠٣ } .

وفى الآخرة ينجّيهم الله من أهوال يوم القيامة وينجيهم من النار . قال الله تعالى :

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضـل الله يؤتيه من يشـاء والله ذو الفضـل العظيم ﴾ { الحديد : ٢١ } .

---

(١) كما فى سورة إبراهيم آية ٤١ ، وسورة نوح آية ٢٨ .

السعادة التى يجدها المسلم فى لذة العبادة :

وهى الحياة الطيبة التى وعد الله بها عباده المؤمنين . قال تعالى :

﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيبةً ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ { النحل : ٩٧ } .

ومن اتقى الله يسّر له أموره وهيّأ له أسباب معيشته . قال تعالى :

﴿ ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ { الطلاق : ٢ - ٣ } .

وقال تعالى :

﴿ ولو أن أهـل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ { الأعراف : ٩٦ } .

وقد عبّر عنها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » [1] .

السلامة من سلطان الشيطان :

ذلك أن الشيطان يوسوس إلى كل أحد ويدلّه إلى ما يهلكه وقد جعل الله لعباده المؤمنين حصونًا يمتنعون فيها منه وجعل لهم أسلحة يطاردونه بها ، قال تعالى :

﴿ وإما ينزغنّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنـه هـو السميـع العلـيم ﴾ { فصلت : ٣٦ } .

وقال ابن عباس : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله انخنس » .

أخى فى الله احرص على المحافظة على إيمانك بأداء الواجبات والابتعاد عن المحرمات وأكثِر من زيارة الصالحين الذين يخوّفونك من النار ويبعثون فى نفسك الشوق

---

(١) الوابل الصيّب ، الفائدة الرابعة والثلاثون من فوائد الذكر .

إلى الجنة ويذكّرونك بما يزيدك إيمانًا ويقينًا واحفظ جوارحك عن إيذاء المؤمنين فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن المؤمنون غوائله ، وطهّر قلبك من رذائل الحسد والكبر والعجب بالنفس فإن المؤمن هيّن ليّن متواضع يحب لإخوانه ما يحب لنفسه وكن من ﴿ الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكّرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ وإيّاك وبذاءة اللسان والفحش فى الكلام والعمل فإن الحياء شعبة من الإيمان واعلم أن رأس مالك فى الآخرة هو ما جمعته من الأعمال الصالحة فى الدنيا فاستعن بالله على تأمين مستقبلك فى تلك الدار وأكثِر من الدعاء المأثور عقب كل صلاة « اللهم أعنِّى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] .

اللهم سَهِّل لنا أسباب رضاك وأعِنّا على طاعتك وتقواك واجعلنا ممن آثر آخرته على دنياه وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قارئى الكريم : ننصحك بقراءة الكتب الآتية يأتيك خير الدنيا والآخرة :

١ – براءة أهل السنة من الوقيعة فى علماء الأمة . تأليف الشيخ بكر أبو زيد .

٢ – أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين . لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٣ – تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإسلام . للشيخ محمد إبراهيم شقرة .

٤ – جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية كثيرة . للدكتور عاصم القريوتى .

٥ – الردة وخطرها على المجتمع المسلم . للشيخ عبد الله قادرى .

٦ – زاد المهاجر إلى ربه . للإمام ابن القيم الجوزية .

٧ – العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية . للإمام ابن تيمية .

(٢) رواه أبو داود والنسائى عن معاذ وصحح النووى إسناده فى كتاب الأذكار ص ٦٠ .

الرسالة الخامسة :

من محاسن الدين الإسلامي

تاليف

عبد العزيز المحمد السلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرّد بالجلال والعظمة والعزّ والكبرياء والجمال ، وأشكره شكر عبدٍ معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أوليه من الإنعام والإفضال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا .

وبعد .. فقد جمعت جملة من محاسن الدين الإسلامى أودعتها فى ضمن موارد الظمآن لدروس الزمان رأى بعض المحسنين أن تُفْرَد وحدها وتطبع وتوزّع على المسلمين وغيرهم لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ويجعلها سببًا لهداية من أراد الله هدايته وتوفيقه ، والله المسؤول أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم وأن يأجر من طبعها ومن ساعد على نشرها ومن قرأها ومن سمعها إنه سميع قريب مجيب اللهم صلِّ على محمد وآله وسلم .

فى ذكر بعض محاسن الدين الإسلامى نصره الله

عباد الله قال الله تعالى – وهو أصدق القائلين : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ أكمل الدين ، بالنصر ، والإظهار على الأديان كلها ، فنصر عبده ورسوله ، وخذل أهل الشرك انخذالاً عظيمًا ، بعد ما كانوا حريصين على صدّ المؤمنين عن دينهم ، طامعين فى ذلك ، فلما رأوا عزّ الإسلام وانتصاره يئسوا كل اليأس من المؤمنين ، أن يرجعوا إلى دينهم ، وصاروا يخافون منهم ويخشون : وأتم جل وعلا على عباده نعمته بالهداية والتوفيق ، والعز والتأييد ، ورضى الإسلام لنا دينًا ، اختاره لنا من بين الأديان ، فهو الدين عند الله لا غير ، قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ عباد الله نظر أصحاب الأفكار البريئة السليمة فى أحكام الإسلام ، فاعتنقوه ، وتأملوا فى حكمه الجليلة فأحبُّوه وملكت قلوبهم مبادئه الحكيمة فعظموه ، وكلما كان المرء سليم العقل ، نير البصيرة ، مستقيم الفكر ، اشتد تعلقه به ، لما فيه من جميل المحاسن ، وجليل

الفضائل ، جاء الدين الإسلامى بعقائد التوحيد ، التى يرتاح لها العقل السليم ويقرها الطبع المستقيم ، يدعو إلى اعتقاد أن للعالم إلهًا واحدًا لا شريك له ، أولاً لا ابتداء له ، وآخرًا لا انتهاء له ، ﴿ ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ﴾ له القدرة التامة ، والإرادة المطلقة ، والعلم المحيط ، يلزم الخلق الخضوع له والانقياد ، والعمل على مرضاته ، بامتثال أمره سبحانه ، واجتناب نهيه نصب الأدلة والبراهين ، فى الأنفس والآفاق ، وحث العقول على النظر والاستدلال ، لتصل بالبرهان إلى معرفته وتعظيمه ، والقيام بحقوقه ، فتراه تارة يلفت نظرك إلى أنه لا يمكن أن توجِد نفسك ، ولا أن توجَد من دون موجِد ﴿ أم خُلِقُوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ ﴾ أما كون الإنسان موجدًا لنفسه فهذا أمر ما ادّعاه الخلق ، وأما وجود الإنسان هكذا من غير موجد ، فأمر ينكره منطق الفطرة ابتداءً ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل ، وإذا كان هذان الفرضان باطلين ، فإنه لا يبقى إلا الحقيقة ، التى يقولها القرآن ، وهى أن الخلق خلقه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى ﴿ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ ، وتارة يلفت النظر إلى السموات والأرض ، فهل هم خلقوها ، فإنها لم تخلق نفسها ، كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم ، وتارة يفتح أمام العقل والبصر صحيفة السماء ، وما حوت من شمس مشرقة ، وقمر منير ، ونجم مضىء ، فيقول : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجًا ، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا ﴾ وفى الآية الأخرى يقول : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءًا والقمر نورًا ، وقدّره منازل ، لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ ويقول : ﴿ فالق الإصباح ، وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ ويقول : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم ، كيف بنيناها وزيّناها ، وما لها من فروج ﴾ ويقول : ﴿ أفلم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء ﴾ ويقول : ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقًا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ ثم ارجِعِ البصر كرّتين ، ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير ﴾ ومرة يلفت النظر إلى الأرض ، وما فيها من أشجار متنوعة ، ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنّات من أعناب ، وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ، ونفضّل بعضها على بعض فى الأُكُل ﴾ فتشاهد شجر العنب ،

بجوار شجر الحنظل ، فى قطعة واحدة ، تسقى بماء واحد ، وقد جعل لكل شجرة جذورًا ، تمتص بها من الأرض ما يناسبها من الغذاء الذى به قوامها وحياتها ، وتتفتح كل واحدة عن ثمرة تخالف الأخرى فى اللون والطعم والرائحة ، وكذلك باقى الأشجار المتجاورة التى أرضها واحدة وماؤها واحد ، ألا يدل هذا على وجود صانع حكيم قادر ﴿ إن فى ذلك لآية ﴾ ومرة يلفت النظر إلى ما ينزّله من السماء ، من الماء الذى به قوام الحياة ، ولو شاء لجعله أجاجًا ، لا نفع فيه ، ومرة يتحدّث عن وحدانيته وانفراده بالملك والتدبير ، ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ﴾ الآية ، وفى الآية الأخرى يقول فى جزالة لفظ ، وفخامة معنى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ إلى غير ذلك من الأدلة ، وشرع لعباده من العبادات ما يهذّب النفوس ويصفّيها وينظم العلاقات ويقوّيها ، ويجمع القلوب ويزكّيها ، وهذا الذى جاء به الإسلام اتفقت فى الدعوة إليه كل الرسل ، قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ﴾ .

اللهم نَوِّرْ قلوبنا بنور الإيمان وأعِذْنا من شر نفوسنا والشيطان ووفقنا لطاعتك وجنبنا العصيان واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصــل

فقد اعترف المحققون المنصفون : أن كل علم نافع دينى أو دنيوى أو سياسى قد دلّ عليه القرآن دلالة لا شك فيها ، فليس فى شريعة الإسلام ما تحيله العقول ، وإنما فيه ما تشهد العقول السليمة الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه ، وكذلك أوامره كلها عدل ، لا حَيْفَ فيها ولا ظلم ، فما أمر بشىء إلا وهو خير خالص ، أو راجح ، وما نهى عن شىء إلا وهو شرّ خالص ، أو ما تزيد مفسدته على مصلحته ، وكلما تدبر العاقل اللبيب أحكام الإسلام قوى إيمانه وإخلاصه ، وعندما يتأمل ما يدعو إليه هذا الدين القويم يجده يدعو إلى مكارم الأخلاق ، يدعو إلى الصدق والعفاف والعدل ، وحفظ العهود ، وأداء

الأمانات ، والإحسان إلى اليتيم والمسكين ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، والتحلى بمكارم الأخلاق ، يدعو إلى تحصيل التمتع بلذائذ الحياة فى قصد واعتدال ، يدعو إلى البر والتقوى وينهى عن الفحشاء والمنكر ، والإثم والعدوان ، لا يأمر إلا بما يعود على العالم بالسعادة والفلاح ، ولا ينهى إلا عما يجلب الشقاء والمضرة للعباد .

وتأمل محاسن شرائع الإسلام الكبار ، التى هى إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، فعندما تأمل الصلاة التى هى صلة بين العبد وبين ربه ، تجد فيها الإخلاص لله ، والإقبال عليه ، والأدب والاحترام ، والثناء والدعاء ، والخضوع له ، ومظهر الإجلال من العبد لربه ، يؤدى واجب الإكبار والتعظيم والتقديس لسيده ومولاه ، شأن العبد بين يدى سيده ، يقف المرء بين يدى ربه ، فيبتدىء بالاعتراف لله بأنه أكبر من كل شىء ، وأنه مستحق لأن يُعَظَّم ويجل ويقدّر (الله أكبر) ، ثم يأخذ فى الثناء على الله بما هو أهله ، ويخصه بالعبادة ، وطلب المعونة ضارعًا إليه بأن يهديه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بالتوفيق والهداية ، وأن يجنّبه عن طريق المغضوب عليهم ، لانحرافهم عن سواء السبيل ، بعد أن عرفوه ، وأن يبعده عن طريق الضالّين ، المنحرفين الذين عبدوا أهواءهم وشياطينهم .

وعندئذ تمتلىء النفس من عظمة الله وهيبته وجلاله ، فيخرّ المرء ساجدًا لله على أشرف أعضائه ، مظهرًا للذِّلَّة والمسكنة إلى من بيده مقاليد السموات والأرض ، فمزايا الصلاة من ناحية الدين ، خضوع لرب العالمين ، وخشوع واعتراف بعظمة القاهر القادر ، ومتى استشعر القلب ذلك ، وامتلأت النفس من هيبة الله ، كف عن المحرمات ، ولا عجب من ذلك ، فإن الله يقول عن الصلاة : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولَذِكر الله أكبر ﴾ وهى أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه ، قال الله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

أما عونها على مصالح دينه ، فلأن العبد إذا داوم على الصلاة ، وحافظ عليها ، قويت رغبته فى الخير ، وسهلت عليه الطاعات ، وبذل الإحسان ، بطمأنينة نفس ، واحتساب ، ورجاء للثواب ، وأما عونها على مصالح الدنيا ، فإنها تهوِّن المشاقّ ، وتسلِّى عن المصائب ، والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، فيجازيه بتيسير أموره ،

ويبارك فى ماله وأعماله .

وفى تأديتها جماعة يحصل التعارف والتواصل ، والتوادد والتعاطف والتراحم ، ويسود الوقار والمحبة بين الصغير والكبير ، ويحصل بذلك تعليم فِعْلى لصفة الصلاة .

وانظر إلى ما أوجبه الله من الزكاة ، ترى محاسن جمّة ، منها إصلاح حال الفقراء ، وسد حاجة المسكين ، وقضاء دَيْن المَدين ، ومنها التخلّق بأخلاق الكرام ، من السخاء والجود ، والبعد عن أخلاق اللئام ، ومنها أنها تطهّر القلب من حب الدنيا ببذل اليسير ، ومنها حفظ المال من المكدّرات والمنغّصات الحسيّة والمعنوية ، ومنها الاستعانة بها على الجهاد فى سبيل الله . والمصالح الكلية ، التى لا يستغنى عنها المسلمون ، ومنها دفع صولة الفقراء ، ومنها أنها دواء للمجتمع ، وطب للنفوس ، بها يطهر المرء من رذيلة الشحّ ، قال تعالى : ﴿ ومن يوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ومنها أنها لو أخرجها الأغنياء لانقطع دابر الاشتراكية المتطرفة ، والشيوعية المسرفة ، ومنها أنها لو أدِّيَت تمامًا لحصل بذلك : راحة الحكام ، وصرف مجهوداتهم إلى ما يعود على الأمم بالفلاح ورغد العيش .

قصيدة تتضمن التضرع لله جلّ وعلا :

يا فاطر الخلقِ البديعِ وكافلاً ... أرزاق مَنْ هو صامتٌ أو سائلُ
أوسعتهم جودًا فيا من عنده ... رزقُ الجميع سحابُ جودِك هاطلُ
يا مسبغَ البِرِّ الجزيل ومسبلَ ... العفو العظيم عظيمُ فضلِك وابِلُ
يا صاحبَ الإحسانِ يا مُرْخٍ لنا ... السِّتْرَ الجميلَ عميمُ طَوْلِك طائلُ
يا عالمَ السر الخفىّ ومنجزَ الـ ... ميعادِ صدقٌ قد حكاه الفاصلُ
يا مَنْ على العرش استوى يا صادقَ الـ ... وعدِ الوفىّ قضاءُ حكمك عادلُ
عظمتْ صفاتُك يا عظيمُ فجلّ أن ... يأتى المشبِّهُ ظالمًا ويُشاكلُ
جلّت فضائلُك العِظامُ فلم نجد ... يحصى الثناءَ عليك فيها قائلُ
الذنب أنت له بمَنِّكَ غافرٌ ... ما لم يكن شركًا ففضلُك حاصلُ
يعصيك جَمٌّ ثم تصفح عنهمُ ... ولِتوبةِ العاصى بحلمك قابلُ
ربٌّ يُرَبِّى العالمين ببرِّهِ ... ويزيدُهم من فضلِهِ ويواصِلُ
يعطيهموا ما أمّلوا من جوده ... ونوالُه أبدًا إليهم واصِلُ

تعصيه وهو يسوقُ نحوَك دائمًا   نعمًا وعن شكر لها تتغافَلُ
ستر الذنوب وزاد فى بذل العطا   ما لا تكون لبعضه تستاهل
متفضّل أبدًا وأنت لجوده   تنسى وتغفل هل تعى يا غافل
يدنو وتبعد ثم أنت لفضله   بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجى ليل الخطوب وأظلمت   طرق السلامة بل قلاك النازل
وعلمت أن لا منجى ثم تلاحمت   سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأيست من وجه النجاة فما لها   طرق وقد عَظُمَ البلا المتنازِلُ
وقنطتَ من ضعف اليقين ولم يكن   سبب ولا يدنو لها متناولُ
يأتيك من ألطافه الفرج الذى   فيه نجاتُك ليس يشغل شاغِلُ
فى لحظة يأتيك لطف فارج   لم تحتسبه وأنت عنه غافِلُ
يا موجد الأشياء من ألقى إلى   أحد سواك فإن ذلك باقلُ
يا طيّب الأسماء من يقصد إلى   أبواب غيرك فهو غِرٌّ جاهلُ
ومن استراح بغير ذكرك أو رجا   من غيركم فضلاً فذاك المائلُ
ومن استظل بغير ظلّك راجيًا   أحدًا سواك فذاك ظلٌّ زائلُ
ومن استعاذ إذا عَرَتْهُ ملمّةٌ   بجلالكم ذا الرأى رأىٌ باسلُ
والرائى فى عكس الذى حبّرته   بسوى جنابك فهو رأىٌ مائلُ
عمل أريد به سواك فإنه   عمل يُردُّ على الذى هو عاملُ
لو صلى ذاك وصام حج فإن ذا   عمل وإن زعم المرائى باطلُ
وإذا رضيتَ فكلٌّ شىء هيِّن   حسبى رضاك فكل شىء زائلُ
أنت المنى ورضاك سؤلى فى الدُّجى   وإذا حصلت فكل شىء حاصِلُ
أنا عبد سوء آبقٌ كَلٌّ على   معبوده يا بئسَ ما أنا فاعلُ
ولقد أتى العبد المسىء ميممًا   مولاه أوزارَ الكبائرِ حاملُ
قد أثقلت ظهرى الذنوبُ وسوّدت   وجهى المعاصى ثم ذا أنا سائلُ
ما لى سواك ولستُ أرجو غافرًا   صحفُ العيوب وسترُ عفوك شاملُ
ها قد أتيت وحسن ظنى شافعى   إذ لم يكن عمل لدىّ يقابلُ
ولبست ثوب الخوف منك مع الرجا   ووسائلى ندمٌ ودمعٌ سائلُ
فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو   بة مقلع فيها الشروطُ كواملُ
وارزقه علمًا نافعًا وارزقه تو   فيقًا لما ترضى ففضلُك كامِلُ
وافعل به ما أنت أهلُ جميلِهِ   يا من له أسما حِسَان فواضلُ

فـــإذا فعلـــت فحســـن ظـــنى صـــائب والظـــنُّ كـــلُّ الظـــن أنـــك فـــاعـلُ

اللهم اجعلنا لك شاكرين واجعلنا لك من الذاكرين واجعلنا من عبادك الصابرين المحسنين المتقين الذين أهلّتهُم لخدمتك ووفقتهم لمحبتك وطاعتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل ١٠٣ »

وتأمل الصيام وما فيه من المحاسن التى منها أنه يبعث فى الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء ، والعطف على البائسين فإن الإنسان إذا جاع تذكر الفقير الجائع ، ومنها أنه بامتناعه عن الأكل يعرف فضل نعمة الله عليه فيشكرها ، ومنها أن الصيام يقوّى النفس على الصبر والحلم ، وهما تجنّب كل ما من شأنه إثارة الغضب ، لأن الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الإيمان ، ومنها أنه ينقى الجسم من الأخلاط الرديئة ، ومنها أنه مهذب للنفوس ، ومصفّى للأرواح ، ومطهّر للأجسام ، فله الأثر العجيب فى حفظ القوى الباطنة ، وحمايتها مما يضرها ، ثم هو عبادة وامتثال لأمر الله سبحانه ، والمشقّة الحاصلة من الصوم ليست بشىء فى جانب رضا الله ، طمعًا فى الثواب ، والزلفى والأجر العظيم ، إلى غير ذلك من المحاسن .

وتأمل ما فى حج بيت الله من المحاسن ، التى منها أنه مجمع لسراة المسلمين ، يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها فى صعيد واحد ، يعبدون إلهًا واحدًا ، قلوبهم متحدة ، وأرواحهم مؤتلفة فى الحج ، يتذكر المسلمون الرابطة الدينية ، وقوة الوحدة الإسلامية ، وفى الحج تذكر لحال الأنبياء والمرسلين ومقامات الأصفياء المخلصين ، كما قال تعالى : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ﴾ وتذكير بحال سيد المرسلين وإمامهم ، ومقاماته فى الحج التى هى أجلّ المقامات ، وهذا التذكير أعلى أنواع التذكيرات ، فإنه تذكير بأحوال عظماء الرسل ، إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومآثرهم الجليلة ، وتعبّداتهم الجميلة ، والمتذكّر بذلك مؤمن بالرسل ، معظم لهم ، متأثّر

بمقاماتهم السامية ، مقتدٍ بهم ، وبآثارهم الحميدة ، ذاكر لمناقبهم وفضائلهم ، فيزداد به العبد إيمانًا ويقينًا .

ومن محاسن الحج تصفية النفس ، وتعويدها البذل والإنفاق ، وتحمّل المشاق ، وترك الزينة والخيلاء ، ومنها شعور المرء بمساواته لغيره ، فلا ملك ولا مملوك ، ولا غنى ولا فقير ، بل الكل هناك سواء ، ومن محاسن الحج التنقل فى البلاد لمعرفة أحوالها ، وعادات سكانها ، وزيارة مهبط الوحى ، والرسل الكرام ، ومن محاسن الحج تذكّر المجمع العظيم فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وذلك فى المحشر ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ حفاة عراة غُرْلاً ، ومن محاسنه توطين النفس على فراق الأهـل والولد ، إذ لابد من مفارقتهم ، فلو فارقهم فجأة حصل صدمة عظيمة عند الفراق ، ومن محاسن الحج أنه متى قصده يتزوّد لسفره بكل ما يحتاج إليه ، مدة ذهابه وإيابه ، فيتزوّد للعقبى ، وهى السفرة الطويلة ، التى لا رجوع بعدها ، حتى يبعث الله الأولين والآخرين .

وفى سفر الحج قد يجد ما يحتاج إليه فى غير بلده ، ولا يجد فى العقبى ما يحتاج إليه للدار الآخرة ، إلا إذا تزوده فى الدنيا ، قال تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقْوى ﴾ .

ومن محاسنه أن الإنسان يعتاد التوكل على الله ، لأنه لا يمكنه أن يحمل كل ما يحتاج إليه فى سفره للحج ، فلابد من التوكل على الله تعالى فيما حمله ، وفيما لم يحمله مع نفسه ، فيعتاد توكّله إلى كل ما يحتاج إليه ، ومن محاسنه أنه إذا أحرم نزع المخيط الذى هو لباس الأحياء ، ويلبس غيره مما هو أشبه بلباس الأموات ، فيجدّ ويجتهد فى الاستعداد لما أمامه إلى غير ذلك من المحاسن التى يصعب حصرها .

ثم تأمّل محاسن الجهاد فى سبيل الله ، إذ فيه قمع أعداء الله ، ونصر أوليائه ، وإعلاء كلمة الإسلام ، وحمل الكافر على ترك الكفر الذى هو أقبح الأشياء ، والإقبال على ما هو أحسن الأشياء ، وفيه إخراج البشر عن درجة الأنعام ، قال تعالى فى حق الكفرة : ﴿ إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضَلّ ﴾ ومن محاسنه اكتساب حياة الأبد ، فإنه إن قَتَلَ فقد أعلى دين الله ، وإن قُتِلَ فقد أحيا نفسه ، قال تعالى : ﴿ ولا تحسبنّ الذين

قُتِلُوا فى سبيل الله أمواتًا ، بل أحياء عند ربهم يُرْزَقون ﴾ .

ومنها ما يحصل للمجاهد فى سبيل الله من الثواب الجزيل ومنها تكثير المسلمين وتقليل الكفرة ، ومنها وهو أعلاها امتثال أمر الله حيث يقول : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفّار ﴾ .

ومن محاسن الجهاد أنهم فى الانتصار يغنمون ويشكرون ويقتوون ، وإن أديل عليهم الكفّار عرفوا أن ذلك بسبب معصيتهم وذنوبهم ، وفشلهم وتنازعهم ، فيلجأون إلى الله متضرّعين تائبين ، ومن محاسنه أن ترك الجهاد سبب للذل ، لما ورد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم بأذناب البقر ، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » رواه أبو داود ، ومن محاسن الجهاد السلامة من النفاق ، لحديث : « من مات ولم يَغْزُ ، ولم يحدّث نفسه به مات على شعبة من النفاق » رواه أبو داود والنسائى ، وفى الحديث الآخر : « من لَقِىَ الله بغير أثر جهاد ، لقى الله وفيه ثُلْمَة » وفى الحديث الآخر : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » ومن محاسنه استخراج عبودية أولياء الله ، فى السرّاء والضرّاء ، وفيما يحبون ويكرهون ، إلى غير ذلك من الأدلة الدالّة على محاسن الجهاد فى سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله .

ثم تأمل ما جاءت به الشريعة من المعاملات ، فمن محاسن البيع والشراء وصول الإنسان إلى ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، ومن محاسنه قطع مسافة الطلب ، فإن من طلب الشىء من معدنه يحتاج إلى الأسفار ، وركوب المركوب ، وتحمّل الأخطار ، ومتى وجده بالبيع سلم من الأخطار وسقط عنه مؤنة الأسفار ، فانظر إلى العود والمسك ، والسيّارات والمكائن والأقمشة والهيل والسكّر ونحو ذلك ، معادنها بعيدة ، فمن لطف الله بعباده أن سخّر بعض الناس لبعض ، وجاءت الشريعة الكاملة بحلّ أنواع المعاملات ، كالإجارات والشركات ، إلا ما دلّ الدليل على تحريمه ، مما فيه ضرر أو ظلم أو جهالة أو نحو ذلك ، فمن تأمّل المعاملات الشرعية ، رأى ارتباطها بصلاح الدين والدنيا ، وشهد لله بسعة رحمته ، ولطفه بعباده ، وحكمته حيث أباح لعباده جميع الطيبات ، ولم يمنع من ذلك إلا كل خبيث ، ضارّ على الدين أو العقل أو البدن أو المال .

فمن محاسن الإجارة دفع حاجات العباد ، بقليل من الإبدال ويسير من الأموال ، فلا كل أحد يملك دارًا يسكنها ، ولا سيّارة يركبها ، ولا طائرة يركبها ، ولا طاحونة يطحن فيها ، ولا مخزنًا لأمواله ، ونحو ذلك مما يطول تعداده ، فجوزت الإجارة ، ولا حاجة إلى ذكر محاسن الصلح ، فهو كما ذكره الله خير ، قال الله تعالى : ﴿ والصلح خير ﴾ .

وأما الوكالة والكفالة ففيهما من الإحسان ما لا يخفى على أحد ممن اعتقد الشرع ، ومن لم يعتقد ، وعقل الشرائع ، أو لم يعقل ، احتاج إلى الوكالة والكفالة ، فإن الله تعالى خلق الخلائق ، وجعلهم مختلفين فى القصد والهمم ، فليس كل أحد يرغب أن يباشر الأعمال بنفسه ، ولا كل يهتدى إلى المعاملات فمن لطف الله بخلقه إباحتها ، فلا يليق بأصحاب المروءات ، وأولياء الأمور ، مباشرة البياعات كلها بأنفسهم ، فالنبى ﷺ باشر بعض الأمور بنفسه ، تعليمًا لسنّة التواضع ، وبيانًا لجوازه ، وأضاف بعض الأمور إلى غيره ، وباشر ذبح الأضْحية بنفسه ، وفوّض إلى علىّ ذبح قسم من هديه ﷺ .

وأما الحسن فى الكفالة ، فإن فيها إظهار الشفقة والرحمة ومراعاة الأخوّة ، يبذل الذّمّة ليضمها إلى الذّمّة ، فينفسح وجه المطالبة ، ويسكن قلب المطالب بسبب السّعة ، قال الله تعالى : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ إلى أن جعل كافلها زكريا ، كما قال تعالى : ﴿ وكفلها زكريا ﴾ وإذا علمت محاسن الوكالة والكفالة ، فالحوالة [1] واضحة محاسنها ففى الحوالة كفالة ووكالة ، وزيادة فراغ ذمة الأصيل ، عن الحزن الطويل ، فإذا قبلت حوالته أدخلت على قلب أخيك – بفراغ ذمته – سرورًا ، ولا يخفى ما فى إدخال السرور على المسلم من الأجر .

ومن محاسن الشّفعة أن الجار ربما يكون فى حاجة إلى هذه الحصّة المبيعة ، كأن يكون بيته ضيّقًا ، ويريد اتّساعه ، أو تكون الأرض المشتركة بجوار مزارعه ، ويحتاج إليها ، ومن محاسنها التنبيه على عظم حق الجار والشريك ، حيث إن له الحق فى التقدّم على غيره فى الشراء ، إلا إذا أسقط حقّه بامتناعه عن الشراء ، ومنها دفع ضرر الجار ، وهو مادة الضرر .

وقال ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » ولا شك عند أحد فى حسن دفع

---

(١) الحوالة : عقد يقتضى نقل الدّيْن من ذمة إلى أخرى (القاموس الفقهى) – عماد .

ضرر التأذّى بسبب المجاورة على الدوام ، من إيقاد نيران ، وإعلاء جدار ، وإثارة غبار ودخان ، وأعظم من ذلك سماع التليفزيون والمذياع ، وإحداث أشياء تضرّ بملكه ، ونحو ذلك من أنواع الضرر .

وأما الوديعة فمحاسنها ظاهرة ، إذ فيها إعانة عباد الله فى حفظ أموالهم ، ووفاء الأمانة ، وهو من أشرف الخصال عقلاً وشرعًا ، ومن محاسنها أنها إحسان إلى عباد الله ، والله يحب المحسنين ، ومنها أنها سبب للتآلف والتآخى بين المسلمين ، وسبب لمحبة بعضهم لبعض .

ومن محاسن الإسلام النهى عن سوء الزوج لزوجته ، وأن عليه أن يقارن بين المحاسن والمساوىء ، فإذا كان منصفًا غضّ بصره عن المساوىء ، إذا كانت محاسنها تغمرها ، لاضمحلالها فيها ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضى منها آخر » رواه مسلم .

وأما الفرائض وتوزيع المال على الورثة فقد وضعه الله بنفسه ، بحسب ما يعلمه من قرب وبعد ونفع ، وما هو أولى ببرّ العبد ، ورتّبه ترتيبًا تشهد له العقول الصحيحة بالحسن وأنه لو وُكّل الأمر إلى آراء الناس وأهوائهم وإراداتهم ، لحصل بسبب ذلك من الخلل والاختلال ، وزوال الانتظام ، وسوء الاختيار فوضى ، ومن جملة المحاسن أن ألحق السبب بالنَّسَب ، فالسبب المناكحة والولاء ، ولما جعل الله سبحانه عقد النكاح ذريعة المحبة والألفة ، والازدواج ، والاستئناس بين الناس ، فلا يحسن أن يلحقها عند موت أحدهما مضاضة ألم الفراق ومن غير أن يرتفق أحدهما بما فضل عنه نوع ارتفاق ، ثم جعل للزوج ضِعْف ما للمرأة من الزوج .

ومن جملة المحاسن أنه لم يورِّث عند اختلاف الدِّين ، إذا مات المسلم فالكافر لا يورِّث منه ، لأن الكافر وإن كان قريبًا نَسَبًا ، فهو بعيد دينًا ، لأن الكافر ميّت لا يرث الميت ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كان مَيْتًا فأحييناه ، وجعلنا له نورًا يمشى به فى الناس ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ يُخرِج الحى من الميت ، ويُخرِج الميّت من الحى ﴾ ، وأما الكافر فيرث الكافر ، لاستواء حاليهما وماليهما .

وأما الهبة فمستحبة ، إذا أريد بها وجه الله ، والأصل فيها قبل الإجماع قوله تعالى : ﴿ فإن طِبْنَ لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ وقوله : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ والله سبحانه كريم جَوَاد وَهَّاب ، ومن محاسنها أنها سبب للتَّحابِّ والتَّوادِّ ، كما في الحديث : « تهادوا تحابُّوا » ، ومن محاسنها أنها تسلُّ السخيمة ، وفي الحديث : « تهادوا فإن الهدية تَسِل السَّخيمة » ، وقد أهدَى ﷺ للنجاشيِّ حُلَّة ، وأواقي من مسك ، وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ، ومن محاسنها أنها تُقَوِّي الصلة ، ومتى قويت الصلة سارت الأمة بقدم ثابت ، فحسن الصِّلة بين أفراد الأمة سرّ نجاحها ، ومن محاسنها وفرة الثقة بين المتهادين ، إلى غير ذلك من المحاسن .

وأما النكاح فمستحبّ ، ومحاسنه كثيرة ، منها تحصين الفرج ، ومنها تحصين الزوجة ، ومنه حفظها والقيام بها ، ومن محاسنه أنه طريقة الرسل ، ومن محاسنه تكثير الأمة ، وتكثير النسل ، ومنها تحقيق مباهاة النبي ﷺ ، ومنها قضاء حوائجه من طبخ ونحوه ، ومنها حفظ بيته وأولاده ، ومنها سكونه وطمأنينته إليها ، واستئناسه بها ، ومعاشرتها ، وغير ذلك من المصالح .

وأما الطلاق فمن محاسنه أن جعل الله عزّ وجلّ ملك الطلاق إلى الزوج ، ومن محاسنه أن حَكَم بالحرمة الغليظة بعد الطلقات الثلاث ، لأن الظاهر أن من طلق ثلاثاً رأى الصلاح في الفِراق وعلّق الشرع حِلَّ المطلَّقة ثلاثاً بالتزويج بزوج آخر ، والدخول بها ، ليصير هذا الشرط مانعاً له من العَوْدِ إليها ، ويثبت على رأى من الصلاح في مفارقتها ، ومن المحاسن أنه لم يحكم بحرمتها على وجه لا رجوع فيه أصلاً ، فإنه ربما لا يصبر عنها فيهلك في ذلك ، فالشرع جعل للوصول إليه سبيلاً ، لكن بعدما يذوق الآخر عُسَيْلَتَهَا ، وتذوق عُسَيْلَتَه ، ولا يجوز عن طريق التحليل ، لحديث : « لعن الله المُحَلِّلَ ، والمُحَلَّلَ له » ومن محاسن الطلاق أن يكون في طُهْر لم يجامعها فيه ، هذا هو السُّنَّة ، فإنه إذا قضى وطره منها ، انتقص ميله إليها طبعاً ، فيبادر إلى مفارقتها بقليل داعية ، ويسير أذيَّة ، فإن المرء إذا شبع من شيء سقط من عينه ، وهان عليه ، وإذا جاع قَوِيَ ذلك في قلبه فلا يحصل الطلاق عن رَوِيَّة ، وربما يندم على ذلك ، فيحتاج إلى نقض الطلاق ، فكان الطلاق الحسن المسنون ، أن يطلِّقها في طُهْر لم يجامعها فيه ،

فإن هذه الحال حالة كمال الرغبة ، وتمام الميل ، فالظاهر أنه لا يقدِم على الطلاق فى هذه الحالة ، إلا لحاجة داعية ، فرُخِّصَ له فى الطلاق .

ومن محاسنه أن جعل هزله جدًا ، قال ﷺ : « ثلاث جدهن جد ، وهزلهن جد : الطلاق ، والعتاق ، والنكاح » فإذا عرف الإنسان أنه بمجرد تلفّظه به ، ولو مازحًا يقع ، امتنع بإذن الله إذا كان عاقلاً .

ومن محاسن القصاص ، وفرض العقوبات ، زجر النفوس الباغية ، وردع القلوب القاسية ، الخالية من الرحمة والشفقة ، ومن محاسنه تأديب الجماعات الطاغية ، فحكم بقتل القاتل وأمر بقطع يد السارق ، ليحقن الدماء ، قال تعالى : ﴿ولكم فى القَصاص حياة﴾ الآية ، والقطع لحفظ الأموال ، فيعيش الناس آمنين مطمئنين ، قال تعالى : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءًا بما كسبا ، نكالاً من الله ، والله عزيز حكيم﴾ وحرّم الزنا ومقدّماته ، كالنظر إلى الأجنبية ، والخلوة بها ، والقُبْلَة واللمس ، وأمر برجم الزانى ، وقتل اللوطى ، على رؤوس الأشهاد ، وحكم بجلد الزانى البكر ، مائة جلدة ، والتغريب ، كل ذلك محافظة على الأنساب والأعراض ، وحماية للأخلاق ، وصيانة للأمة من الفناء والفساد ، وحرَّمَ الخمر ، وعدَّها أم الخبائث ، وحكم على متعاطيها بالجَلد ، لارتكابه النقائص والخسائس ، كل ذلك ليبقى العقل سليمًا ، ويظل المال مصونًا ، ويدوم الشرف والخُلُق طاهرًا نقيًا .

شعرًا :

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلا	بصائر أقوام عن المجد نوَّم
فأشرق نور العلم من حجراته	على وجه عصر بالجهالة مظلم
ودك حصون الجاهلية بالهدى	وقوَّضَ أطناب الضلال المخَيِّم
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى	لأهليه مجدًا ليس بالمتهدِّم
وأطلق أذهان الورى من قيودها	فطارت بأفكار على المجد حُوَّم
وفك أُسار القوم حتى تحفّزوا	نهوضًا إلى العلياء من كل مَجْثِم
وعما قليل طبّق الأرض حكمهم	بأسرع من رفع اليدين إلى الفم

اللهم رَبِّ قلوبنا على محبتك وطاعتك وثبِّتنا على قولك الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وألهمنا ذكرك وشكرك وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصـــل ١٠٤ »

ومن محاسن الإسلام الحث على المشورة والأخذ بها ، متى كانت صائبة ، متفقة مع العقل والمنطق والتجربة ، قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .

ومن محاسنه أن أفضـل الناس عند الله أكثرهم صلاحًا وتقوى ، كما قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

ومن محاسنه الحثّ على العتق ، وتحرير الأرِقَّاء ، والإحسان إلى المملوك .

ومن محاسنه الحثُّ على الإحسان إلى الجار والضيف والمسكين واليتيم .

ومن محاسن الإسلام أنه يدعو إلى تبادل الألفة والمحبة ، والتصافى والتعاون ، قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشدّ بعضه بعضًا » .

ومن محاسنه أنه يذمّ النّزاع والكراهية والتفرقة ، قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا ﴾ وقال الرسول ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشدّ بعضه بعضًا » .

ومن محاسنه النهى عن النميمة والغيبة ، والحسد والتجسس ، والكذب والخيانة ، والآيات والأحاديث الدّالّة على ذلك كثيرة جدًا ، فتذكَّر لها تجدها .

ومن محاسنه النهى عن الظلم ، والأمر بالعدل ، مع القريب والبعيد ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداء بالقسط ، ولا يَجرِمَنَّكُم شَنَآنُ قوم على أن لا تَعْدِلوا ، اعْدِلوا ﴾ وقال : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ .

ومن محاسن الإسلام الحثّ على العفو عن المعتدى ، قال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ وقال : ﴿ ادفع بالتى هى أحسن ﴾ وقال : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ .

ومن محاسنه الدعـوة إلى الصلح بين الأخـوين ، والنهى عن الهجران ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ﴾ وقال : ﴿ والصلح خير ﴾ .

ومن محاسنه النهى عن التقاطع والتدابر ، والتباغض والتحاسد ، قال ﷺ : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا » الحديث .

ومن محاسنه النهى عن الاستهزاء بالناس ، وذِكْر عيوبهم ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ الآية .

ومن محاسنه النهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه ، والخطبة على خطبته ، إلا أن يأذن أو يُرَدّ ، لما ينشأ عن ذلك من العداوة والتقاطع .

ومن محاسنه مشروعية السلام على المسلم ، عرفه أو لم يعرفه . ومن محاسنه الأمر بردّ التحية بأحسن منها أو ردّها ، قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ الآية .

ومن محاسنه الأمر بالتثبت فيما نسمعه ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ وقال : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم ﴾ الآية .

ومن محاسنه النهى عن البول فى الماء الراكد ، وفى ذلك العناية بالناحية الصحية ، والوقاية من النجاسة والأمراض بإذن الله .

ومن محاسنه النهى عن إيذاء المؤمنين والإضرار بهم ، قال تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ وقال ﷺ : « من أكل الثوم والبصل والكرّاث ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم » .

ومن محاسنه النهى عن الأكل بالشمال ، والشرب بها ، لأنها لإزالة ما يستقذر ، ولأن الشيطان يأكل بشماله ، كما فى الحديث .

ومن محاسنه الأمر باتِّباع جنازة المسلم ، لما فى ذلك من الدعاء والتَّرحّم عليه ، والصلاة عليه ، وجبر خواطر أهله المؤمنين .

ومن محاسن الإسلام تشميت العاطس ، وإبرار المقسم ، لما فى ذلك من التآلف والتآخى ، والدعاء لأخيك بالرحمة ، ولما فى إبرار القسم من جبر خاطره ، وإجابة طلبه ، ما لم يكن فيه شىء من مخالفة الشرع .

ومن محاسنه إجابة دعوته ، ولا سيّما إذا كان لعرس ، ولم يكن فيها ما يخالف الشريعة ، أو يخلّ بالمروءة والإنسانية كما تراه اليوم عند بعض الناس من الملاهى والمنكرات ، لأن فى حضوره والحالة هذه تشجيع للفسقة وأهل المجون ، وإعانة على نشر المعاصى ، وعدم المبالاة فيها .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه حرم على المسلم ترويع أخيه المسلم ، إما بإخباره بخبر يفزعه ، أو يشير إليه بسلاح أو نحو ذلك .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه نهى عن تشبّه الرجال بالنساء ، وبالعكس بأن تتشبه النساء بالرجال ، لما فى ذلك من المفاسد ، التى منها التّخنُّث فيمن يتشبه بهنّ ، فى ملابسهن وحركاتهن وكلامهن ، كما هو موجود عند بعض المنحلّين ، المغرورين أصحاب الخنافس والتواليتات محلوقى اللِّحى .

ومن محاسن الإسلام اتّقاء مواضع التهم والرِّيَب ، كى يصون ألسنة الناس وقلوبهم عن سوء الظن به ، وورد أن صفية زوج النبى ﷺ جاءت تزوره وهو معتكف ، فقام معها مودِّعًا ، حتى بلغت باب المسجد ، فرآه رجلان من الأنصار ، فسلّما عليه ، فقال : « على رِسْلِكُما ، إنما هى صفية بنت حُيَىٍّ » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ؟ وكَبُرَ عليهما ، فقال النبى ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا » فهذا أشرف الخلق وأزكاهم ، أبعد التهمة والشك عن نفسه ، وقال عمر رضى الله عنه : من أقام نفسه مقام التهم ، فلا يلومن من أساء به الظن ، ومرّ عمر

برجل يكلم امرأته على ظهر الطريق ، فعلاه وضربه بالدُّرَّة ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إنها امرأتى ، فقال عمر : هلا كلّمتها حيث لا يراك أحد من الناس .

فالإسلام من محاسنه الابتعاد عن مواضع التهم والشبهات ، فكيف لو رأى من تدخل على الخيّاط ، يفصِّل على بدنها وحده ، خاليًا بها ، أو رأى من تدخل على المصَوِّر وحدها ، أو رأى من تركب مع من ليس مَحْرَمًا لها ، أو سافرت مسلمة إلى بلاد الكفر بدون محرم ، أو دخلت على الدكتور وحدها باسم الكشف الطبى ، أو نحو ذلك ، مما حدث فى زمننا الذى كثرت فيه الفتن ، وقلّ فيه الأمر والنهى ، وردع أهل الشر والفساد الذين قويت شوكتهم ، وساند بعضهم بعضًا عكس ما عليه أهل الخير والصلاح ، من التفكك والتخاذل والمصانعات ، فالله المستعان .

أيا علماء الدين ما لى أراكمُ	تغاضيتم عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهى فرضكم	فأعرضتم عن ذاك إعراض هاجِرِ
أما أخَذَ الميثاق ربى عليكم	بأن تنصحوا بالحق أهل المناكِرِ
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا	تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
إذا كان هذا حال قاضٍ وعالم	وحال وزير أو أمير مظاهر
ولم تنتهوا عن غيِّكم فترقَّبوا	صواعقَ قهّار وسطوة قاهر
فما الله عمّا تعملون بغافل	ولكنه يملى لطاغٍ وفاجر
وقد أرسل الآيات منه مُخَوِّفًا	ولكن غفلتم عن سماع الزواجر
أجيبوا عباد الله صوت مناصح	دعاكم بصوت ما له من مناصر
وقوموا سراعًا نحو نصرة دينكم	إذا رمتم فى الحشر غفران غافر
وحسن ختام النظم أزكى صلاتنا	على المصطفى والآل أهل المفاخر

اللهم بارك فى أسماعنا وأبصارنا ونوِّر قلوبنا وأصلح ذات بيننا وألِّف بين قلوبنا واهدنا سبل السلام ونجِّنا من الظلمات إلى النور وجنِّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن

واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصــل ١٠٥ »

ومن محاسـن الإسـلام أن الإنسان إذا ابتلى بشرِّير من الأشرار ، أو فاجر من الفُجَّار ، أو محب للإجرام ، ينبغى أن يحْذَره ، ويبتعد عن شره ، ويداريه ويتجنَّبه ما أمكن ، قال أبو الدرداء : إنا لنَبُشُّ فى وجوه قوم ، وإن قلوبنا لتلعنهم ، ومعنى هذا مداراة الأشرار الذين لا تقدر على ردعهم والإنكار عليهم ، لخوفك من شرِّهم وأذيَّتهم وإجرامهم ، وتنكر بقلبك .

ومن محاسن الإسلام الأمر بإصلاح ذات البين ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة متظاهرة .

ومن محاسنه الأمر بستر عورات المسلمين ، وعيوبهم ونقائصهم ، قال ﷺ : « ومن ستر مسلمًا ستره الله » وقال ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم » الحديث وتقدَّم .

ومن محاسن الإسلام إدخال السرور على قلب المسلم ، ومساعدة المحتاج ، قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » وقال : « ومن كان فى حاجة أخيه ، كان الله فى حاجته » .

ومن محاسن الإسلام توقير المسلم ، ولا سيما ذى الشيبة ، ورحمة الصبيان ، قال ﷺ : « ليس منَّا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا » وقال ﷺ : « إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » الحديث .

ومن محاسن الإسلام النهى عن الفحش ، وبذاءة اللسان ، قال ﷺ : « ليس المؤمن بالطَّعَّان ، ولا اللَّعَّان ، ولا الفاحش ، ولا البَذِىّ » .

ومن محاسن الإسلام النهى عن التكلم سرًا بين اثنين ، مع وجود ثالث ، من أجل أن ذلك يحزن الثالث ، فيظن أنهم يتناجون به ، فهذا ينافى الأدب ، وكذلك ليس من الأدب

أن تتحدث بلغة أجنبية ، إذا كان هناك من لا يعرفها ، قال ﷺ : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر ، حتى تختلطوا بالناس ، من أجل أن ذلك يحزنه » .

ومن محاسن الدين الإسلامي أن لا يتدخّل الإنسان فيما لا يعنيه ، وهذه من جوامع كلمه ﷺ ، كما في الحديث : « من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » أخذه بعضهم وصاغه بعبارة : (ابحث عن عملك الخاص) . ولو تتبع المسلمون إرشادات نبيهم ، ونصائحه ﷺ ، لاستراحوا وأراحوا غيرهم ، ولو تتبعت أكثر المشاكل ، والمنازعات والمخاصمات والمجادلات ، لوجدت سببها الوحيد التدخل فيما لا يعني .

ومن محاسن الدين الإسلامي النهي والتحذير عن الجلوس في الطرقات ، لما في ذلك من التعرض لما لا ينبغي ، ولما يلزم الإنسان القيام به وربما لم يقم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصر المظلوم ، وردع الظالم ، وذلك نصره ، وإعانة المسلم ، وغضّ البصر ، ورد السلام ، وكف الأذى .

ومن محاسن الدين الإسلامي أن من استعاذنا بالله علينا أن نعيذه ، وأن من سألنا بالله نعطيه ، ونكافيء من صنع إلينا معروفًا إن استطعنا ، فإن لم نستطع ندعو له أن يجزيه الله جزاءًا حسنًا ، على ما أسداه إلينا من المعروف ، عملاً بالحديث : « من استعاذكم بالله فأعيذوه » الحديث ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصـــل)

ومن محاسن الدين الإسلامي أن تنصف من نفسك ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتضع نفسك موضع إخوانك المسلمين ، وتعاملهم المعاملة التي تحب أن يعاملوك بها ، وتؤدي حقوقهم ، قال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار ، والإنصاف من نفسه ، وبذل السلام » وقال تعالى : ﴿ ويؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَة ﴾ . وقال ﷺ : « طعام الاثنين يكفي الثلاثة » إلى آخر الحديث ، وفي الحديث الآخر : « ومن كان معه فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له » فذكر من أصناف

المال ما ذكر ، قال أبو سعيد : حتى رأينا أنه لا حَقّ لأحد منّا فى فضل . رواه مسلم .

ومن محاسن الإسلام ، وأخلاقه السامية ، أن يصون الإنسان عِرْضَ أخيه المسلم ، ونفسه وماله ، من ظلم أصابه بقدر استطاعته ، ويرد عنه الظلم والعدوان ، ويدافع ويناضل عنه حسب قدرته ، فروى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ ، فردّ عنه رجل ، فقال النبى ﷺ : « من رَدَّ عن عِرْضِ أخيه ، كان له حجابًا من النار » وورد عنه ﷺ أنه قال : « من رَدَّ عن عِرْضِ أخيه ، رَدَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة » رواه الترمذى .

ومن محاسن الإسلام الأمر بالتوسط بين البخل والإسراف ، قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ وقال : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ، ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قوامًا ﴾ .

ومن محاسن الإسلام الحث على الصبر بأنواعه الثلاثة : الصبر على طاعة الله حتى يؤدّيها ، والصبر عن معصية الله حتى يتركها ، والصبر على أقدار الله المؤلمة .

ومن محاسن الإسلام العطف على الضعفاء ، والشفقة على الفقراء ، والرأفة باليتامى ، والخدم والعبيد والإماء ، والإحسان إليهم ، ودفع الأذى عنهم ، وحسن معاملتهم ، والتواضع معهم ، وملاطفتهم وخفض الجناح لهم ، ولين الجانب معهم ، قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ وقال : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىِّ يريدون وجهه ﴾ وقال : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ﴾ وقال : ﴿ أرأيت الذى يكذِّب بالدين ، فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم ، ولا يحضُّ على طعام المسكين ﴾ وقال : ﴿ وما أدراك ما العقبة ؟ فكُّ رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيمًا ذا مقربة ، أو مسكينًا ذا متربة ﴾ ، وقال : ﴿ عبس وتولَّى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعلَّه يزَّكَّى ﴾ الآية .

ومن محاسن الدين الإسلامى الرأفة والرحمة والشفقة ، لا القسوة والغلظة والتعذيب ، حتى فى حق الحيوانات البهيمية ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال : « عُذِّبَت امرأة فى هرّة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها ، ولا هى تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض » متفق عليه .

وروى الشيخان وغيرهما مرفوعًا : « أن رجلاً دنا من بئر فنزل وشرب منها ، وعلى البئر كلب يلهث من العطش ، فرحمه فنزع أحد خفَّيْه فسقاه ، فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة » .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ مَرَّ على حمار قد وُسِمَ فى وجهه فقال : « لعن الله الذى وَسَمَهُ » .

شــعـــرًا :

أنــا العبـدُ الـذى كسـب الذنوبـا	وصـــدّتــه الأمـــانِى أن يتـــوبـا
أنا العبــد الـذى أضحـى حزينًـا	عـــلى زلاتــــه قلقًـــا كئيبــــا
أنــا العبـد الـذى سُطِـرت عليـــه	صحــائـفُ لـم يَخَـفْ فيها الرقيبا
أنــا العبـد المسـىءُ عَصَيـتُ سِرًا	فمـــا لـى الآن لا أُبـدى النحيبـــا
أنــا العبـد المفــرِّطُ ضـاع عمرى	فـــــلم أَرْعَ الشبيبـــة والمشيبـــا
أنــا العبـد الغريـقُ بِلُـجِّ بحــــر	أصيـــحُ لَرُبَّمـــا ألـــقى مُجيبـــا
أنــا العبـد السقـيمُ مـن الخطـايا	وقـــد أقبلـــتُ ألتمـــسُ الطبيبـا
أنـا العبـد المخلَّـفُ عـن أُنـاسٍ	حَـــوَوا مـــن كـل معروف نصيبا
أنــا العبـد الشـريـد ظلمت نفسى	وقـــد وافيـــتُ بابَـــكُمُ مُنيبـــا
أنــا العـبـد الفقـيـر مـددتُ كفِّى	إليـــكم فادفعـــوا عـــنّى الخطوبا
أنـا الغـدّار كـم عـاهـدت عهـدًا	وكـــنتُ عـلى الـوفـاء بــه كـذوبا
أنـا المقطـوع فارحمـنى وصِلْـنى	ويسِّـــــر منـك لـى فرجًـا قريبـا
أنـا المضطـرُ أرجـو منـك عفـوًا	ومـــن يـرجـو رضـاك فلـن يخيبا

فيا أسفى على عمر تَقَضَّى ولم أكسبْ به إلا الذنوبا
وأحذر أن يعاجلني مماتٌ يحيِّر هولُ مصرعه اللبيبا
ويا حزناه من حشري ونشري بيوم يجعل الولدان شيبا
تفطَّرَتِ السماءُ به ومارَت وأصبحتِ الجبال به كثيبا
إذا ما قمت حيرانًا ظَميئًا حسيرَ الطرف عريانًا سليبا
ويا خجلاه من قُبْحِ اكتسابي إذا ما أبدتِ الصحفُ العيوبا
وذلةَ موقفٍ وحساب عدلٍ أكون به على نفسي حسيبا
ويا حذراه من نارٍ تَلَظَّى إذا زفرتْ وأقلقت القلوبا
تكاد إذا بدت تنشقّ غيظًا على من كان ظَلاَّمًا مريبا
فيا من مَدَّ في كسب الخطايا خُطاه أما يأني لك أن تتوبا
ألا فاقلع وتب واجهد فإنّا رأينا كل مجتهد مصيبا
وأَقْبِلْ صادقًا في العزم واقصد جنابًا للمنيب له رحيبا
وكن للصالحين أخًا وخِلاًّ وكن في هذه الدنيا غريبا
وكن عن كل فاحشة جبانًا وكن في الخير مقدامًا نجيبا
ولاحظ زينة الدنيا ببغض تكن عبدًا إلى المولى حبيبا
فمن يَخْبُرْ زخارفها يجدْها مخالبة لطالبها خلوبا
وغضّ عن المحارم منك طرفًا طموحًا يفتن الرجل الأريبا
فخائنة العيون كأُسْدِ غابٍ إذا ما أُهْمِلَت وَثَبَتْ وُثوبا
ومن يغضض فضول الطرف عنها يجد في قلبه روحًا وطيبا
ولا تطلقْ لسانك في كلامٍ يجرّ عليك أحقادًا وحوبا

ولا يبرحْ لسانُك كل وقت — بذكر الله ريَّانًا رطيبا
وصَلِّ إذا الدجى أرخى سدولاً — ولا تضجر به وتكن هيوبا
تجد أُنسًا إذا أودعت قبرًا — وفارقت المعاشر والنسيبا
وصُم ما تستطيع تجده ريًّا — إذا ما قمت ظمآنًا سغيبا
وكن متصدِّقًا سرًّا وجَهْرًا — ولا تبخل وكن سمحًا وهوبا
تجد ما قدّمته يداك ظلاً — إذا ما اشتد بالناس الكروبا
وكن حسن السجايا وذا حياءٍ — طليق الوجه لا شكسًا غضوبا

اللهم وفقنا توفيقًا يقينا عن معاصيك ، وأرشدنا برشدك إلى السعى فيما يرضيك ، وأجِرْنا يا مولانا من خزيك وعذابك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبابك ، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل ١٠٦ »

ومن محاسن الإسلام مراعاة الحكمة ، وذلك أن نضع كل إنسان من المؤمنين فى منزلته ، ونراعى كرامته وشعوره ، ونجعله فى المكان الذى يليق به .

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « أَنْزِلوا الناس منازلهم » رواه أبو داود ، وروى أن عائشة رضى الله عنها كانت مسافرة ، فنزلت منزلاً تستريح فيه ، وتتناول طعامها ، فجاء سائل فقير ، فقال : ناولوا هذا المسكين قرصًا ، ثم مرّ رجل يركب فرسًا ، فقال : ادعوه إلى الطعام ، فقيل لها : لماذا تعطين المسكين قرصًا ، وتدعين هذا الغنى إلى الطعام ، فأجابت إن الله تعالى أنزل الناس منازل ، لابد لنا أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرصٍ ، وقبيح بنا أن نعطى هذا الغنى – وهو على هذه الهيئة – قرصًا ، فرحمها الله ما أحسن هذا من جواب ردٌ ، دل على الحكمة ، وحسن الذوق ، ونبل الخلق ، وكرم المعاملة ، والاقتداء التام بإرشادات الله ورسوله ﷺ .

وروى أن رسول الله ﷺ دخل بيتًا من بيوته ، فدخل عليه أصحابه ، حتى امتلا

المجلس ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، فلم يجد مكانًا ، فقعد على الباب ، فلفَّ رسول الله ﷺ رداءه ، وقدَّمه له ليجلس عليه ، وقال له : « اجلس على هذا » فأخذ جرير الرِّداء ، ووضعه على وجهه ، وجعل يقبِّله ويبكى ، متأثرًا من إكرام النبى ﷺ له ، ثم لفَّه وردَّه إلى النبى ﷺ شاكرًا مقدِّرًا ، وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك يا رسول الله ، أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتنى ، فنظر المصطفى ﷺ يمينًا وشمالاً ، ثم قال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

فانظر إلى هذه المعاملة الجميلة ، تجد المثل الكامل فى معاملة الرسول له ، حيث راعى شعور جرير وأكرمه ، وكيف تأثَّر جرير بهذه المعاملة الكريمة النبيلة اللطيفة .

ومن محاسن الإسلام أنه أثبت للزوجات على الأزواج حقوقًا ، مثل الحقوق التى للرجال بالمعروف ، وحسن العِشْرَة ، وترك الإضرار ، وجعل (للرجال عليهن درجة) أى فى الفضيلة فى الخلق والمنزلة ، وطاعة الأمر ، والإنفاق ، وأداء المهر ، والقيام بالمصالح ، والفضل فى الدنيا والآخرة .

ومن محاسن الإسلام أن المرأة عند بعض العرب فى الجاهلية تُعَدُّ جزءًا من ثروة أبيها أو زوجها ، وكان ابن الرجل يرث أرملة أبيه بعد وفاته ، وكان العرب قبل الإسلام يرثون النساء كرهًا ، بأن يأتى الوارث ويلقى ثوبه على زوجة أبيه ، ثم يقول ورثتها كما ورثت مال أبى ، فإذا أراد أن يتزوجها تزوجها بدون مهر ، أو زوَّجها لأحد عنده ، وتسلَّم مهرها ممن يتزوَّجها ، أو حرَّم عليها أن تتزوَّج كى يرثها ، فمنعت الشريعة الإسلامية هذا الظلم وهذا الإرث ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهًا ﴾ وكان العرب فى الجاهلية يمنعون النساء من الزواج ، فالإبن الوارث كان يمنع زوجة أبيه من التزوّج ، كى تعطيه ما أخذته من ميراث أبيه ، والأب يمنع ابنته من التزوّج حتى تترك له ما تملكه ، والرجل يطلق زوجته ويمنعها من الزواج ، حتى يأخذ منها ما يشاء ، والزوج المبغض لزوجته يسىء عشرتها ، ويُمَلِّلها ، ولا يطلّقها حتى تردّ إليه مهرها ، فالعرب قبل الإسلام يَظْلِمون المرأة ، ويتحكّمون فيها ، قال تعالى : ﴿ ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ وكانوا لا يعدلون بين النساء ، فى النفقة والكسوة والمعاشرة ، فأمر الإسلام بالعدالة بينهن ، قال تعالى : ﴿ وعاشروهن

بالمعروف ﴾ الآية ، وقال : ﴿ فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة ﴾ وقال : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم إحداهن قنطارًا ، فلا تأخذوا منه شيئًا ، أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا ﴾ وقال فى ناحية الدِّين : ﴿ من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ وفى ناحية الأهليَّة والملك ، قال تعالى : ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ وقال : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ .

وحسب الإسلام ما كفل للمرأة من مساواة دينية ، ومن مساواة فى التملك والكسب ، وما حقق لها من ضمانات فى الزواج ، بإذنها ورضاها دون إكراه ولا إهمال ، قال ﷺ : « لا تُنْكَح الثَّيِّب حتى تُستَأمَر ، ولا تُنْكَح البِكْر حتى تُستَأذَن ، وإذنها الصموت » وفى مهرها قال : ﴿ فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ .

ومن محاسن الإسلام أن العرب قبل الإسلام يَئِدون البنات ، ويدفنونهن وهنّ على قيد الحياة ، خوفًا من العار ، يَهِلُّ على ابنته التراب حتى تموت ، فجاء الإسلام وحرّم وأدَهنّ وقتلهن ، تحريمًا قاطعًا ، ومنحهن الحق فى الحياة ، وبهذا أنصف الإسلام المرأة كل الإنصاف ، وحافظ على حياتها وحقوقها الإنسانية .

اللهم أعذنا من الهَمّ والحَزَن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدَّيْن وقهر الرجال وشماتة الأعداء ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصــل)

ومن محاسن الإسلام إبطال الكهانة وتحريمها ، وتحريم زجر الطَّير ، وتحريم الميسر ، وهو نوع من القمار ، ومنها الأزلام والبَحيرة والسَّائبة والوَصيلة والحامى .

ومنها رمى البعرة ، كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها دخلت حُشْفًا ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمسّ طيبًا ، حتى تمضى عليها سنة ، ثم تُؤْتَى بدابة ، حمار أو طير أو

شاة ، فَتَفْتَضُّ به ، فقلّما تفتضُّ بشيء إلا ماتَ ، ثم تخرج بعد ذلك ، فتُعْطى بَعْرَة ، فترْمِي بها ، ثم تُراجِعُ ما شاءت .

ومنها قتل الأولاد خشية الفقر ، فكان الرجل يقتل ولده خشية أن يطعَم معه إلى أن نهى الله عن ذلك بقوله : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خِطْأً كبيرًا ﴾ .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه حوّل الوثنيين والمشركين والكفّار إلى مؤمنين صالحين ، أتقياء زُهّادًا وَرِعين ، يخافون الله ، ويعبدونه وحده لا شريك له ، ويقفون بجانب الحق ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ﴿ ويؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة ﴾ .

ومن محاسن الإسلام تحريم الغدر ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسؤولاً ﴾ ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان » وقال : « أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا » وَعَـدَّ منها : « وإذا عاهد غَدَر » وقال : « يقول الله : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بى ثم غَدَر » الحديث رواه البخارى .

ومن محاسن الدين الإسلامى الحث على العمل ، وكسب الرزق ، وترك الكسل ، وسؤال الناس إلا عند الضرورة ، فالإسلام دين سعى وعمل واجتهاد ، لا دين كسل وعجز وتوانٍ ، دين يحافظ على العزّة الإنسانية ، والكرامة الشخصية ، قال تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ وقال : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرَى ﴾ ، ويحث على الجمع بين العمل للدين والدنيا ، فيقول جلّ وعلا : ﴿ وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنسَ نصيبك من الدنيا ﴾ ويقول : ﴿ فإذا قُضِيَت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ .

ومن محاسن الإسلام القصد فى الطعام والشراب ، قال الله جلّ وعلا : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين ﴾ وعن المقداد بن مَعْدِ يَكْرِب قال :

قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه ، بِحَسْبِ ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِهِ » أخرجه الترمذى وابن ماجه .

ومن محاسن الإسلام النهى عن المماطلة فى الحقوق ، قال ﷺ : « مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْم ، وإذا أُتْبِعَ أحدكم على ملىء فليَتْبَع » رواه البخارى ومسلم .

ومن محاسن الدين الإسلامى الأمر بإنظار المعسر ، قال تعالى : ﴿ وإن كان ذو عُسْرَةٍ ، فَنَظِرَةٌ إلى ميسرة ﴾ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « كان تاجر يداين الناس ، فإذا رأى معسرًا ، قال لفتيانه : تجاوزوا عنه ، لعل الله يتجاوز عنّا ، فتجاوز الله عنه » رواه البخارى ، وقال ﷺ : « من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة » .

ومن محاسن الإسلام النهى عن الرشوة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » رواه الترمذى ، وورد : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » .

ومن محاسن الدين الإسلامى الحث على إقالة النادم ، لما فى ذلك من الإحسان ، والمعروف وجبر خاطره ، ففى الحديث : « من أقال مسلمًا أقال الله عثرته » وفى رواية : « من أقال نادمًا ، أقاله الله يوم القيامة » . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

(فصــل)

ومن محاسن الدين الإسلامى بذل النصيحة لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، فالنصيحة لله الإيمان به ، ونفى الشريك عنه ، وترك الإلحاد فى أسمائه وصفاته ، ووصفه بأوصاف الكمال ، وتنزيهه عن النقائص والعيوب ، وطاعة أمره واجتناب نهيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وغير ذلك مما يجب له ، وأما النصيحة لكتاب الله ، فالإيمان به بأنه كلام الله ، منزّل غير مخلوق ، وتحليل ما حلله ، وتحريم ما حرّمه ، والاهتداء بهديه ، والتدبّر لمعانيه ، والقيام بحقوقه ، والاتّعاظ بمواعظه ، والاعتبار بزواجره ، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ، فتصديقه فيما جاء به ،

ومحبته ، وتقديمه فيها على النفس والمال والولد ، وتوقيره حيًا وميّتًا ، ومعرفة سنته ، ونشرها ، والعمل بها ، وتقديم قوله على قول كل أحد كائنًا ما كان ، أما النصيحة لأئمة المسلمين ، فهى إعانتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم بحوائج العباد ، ونصحهم برفق ولين وعدل ، واعتقاد ولايتهم ، والسمع والطاعة لهم فى غير معصية الله ، وحثّ الناس على ذلك ، وبذل ما تستطيعه من إرشادهم ، وتنبيههم إلى ما ينفعهم وينفع الناس ، والقيام بواجبهم ، وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فهى إرشادهم إلى مصالحهم فى دنياهم وأخراهم ، وكفّ الأذى عنهم ، وتعليمهم ما جهلوا من أمر دينهم ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويسعى فى ذلك حسب الإمكان .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن قطيعة الرحم ، قال الله تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم ﴾ وقال ﷺ : « الرحم متعلقة بالعرش ، تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » رواه البخارى ، وروى الطبرانى عن عبد الله بن أبى أوفى عن النبى ﷺ قال : « إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن التشدد فى الدين ، وعن الزهد فى الطيبات ، لأن الإسلام دين اليسر والسهولة والاعتدال ، فعن أنس رضى الله عنه ، قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ ، يسألون عن عبادته ، فلما أُخْبِرُوا كأنّهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدًا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوّج أبدًا ، فجاء إليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوّج النساء . فمن رَغِبَ عن سُنَّتى فليس منى » رواه الشيخان .

قصيدة في غربة الإسلام :

أقول وأولى ما يُرى في الدفاتر ... وأحسن فيضًا من عيون المحابر

هو الحمد للمعبود والشكر والثناء ... تقدس عن قول الغواة الغوادر

وجلّ عن الأنداد لا ربّ غيره ... وعن شافع في الابتدا أو مؤازر

وصلى على من قام لله داعيًا ... وشيّد أعلام الهدى والشعائر

وأوضح دين الله من بعد ما سفت ... عليه السوافي في القرى والجزائر

وعادى ووالى في رضى الله قومه ... ولم يثنه عن ذاك صولة قاهر

محمد المبعوث للناس رحمة ... نذارته مقرونة بالبشائر

وبعد فإن تعجب لخطب تبلبلت ... لفادحه أهل النهى والبصائر

فلا عجبًا يوم من الدهر مثل ما ... أناخ بنا من كل باد وحاضر

وما ذاك إلا غربة الدين يا لها ... مصيبة قوم من عظام الفواقر

ترى أهله مستضعفين أذلة ... فما بين طعّان عليهم ونافر

ومستهزئ منهم فينغص رأسه ... ويرمونهم شزر العيون النواظر

وعاداهم من يدّعي العلم والحجا ... وكل خليل أو قريب مصاهر

فما شئت من شتم وقذف وغيبة ... وتنقيصهم في كل ناد لفاجر

وأكبر من هذا وأعظم فرية ... موالاة أهل الشرك من كل كافر

وأعينهم في فعل ذاك قريرة ... فمن صامت في فعله أو مجاهر

١

ومـــن قـام بالإنـــكار فهـــو مشـــدد يــكادون أن يبـــدوه فـــوق المنـابـر

فإن يحكموا بالسوط ضربًا فإن يكن رجــوع وإلا بالصبــا والخنــاجــر

وأصبـــح ذو الإيمـــان فيهم كقابض على الجمر أو فى الجَنْبِ صَلّىُ المجامر

وإخـــوانه النـّـــزّاع فـى كـل قـريـة لـدى أهلهـا فـى ذُلّهـم كالأصـاغر

وما زادهـم إلا ثبـاتـًا مـع الرّضى بقلــب سلـــيم للمهيمـــن شــاكـــر

فأكـرم بهـم مـن عُصبة الحق إنهم لحفـظ نصـوص الدين أهـل تناصر

إذا مـا بـدا نَـصّ الكتــاب وسُـنّـة تنــادوا عبــاد الله هــل مـن مثابر

وعضـــوا عليهـا بالنواجـذ فاهتدوا ومـا رغبـوا عنهـا لخرص الخواطر

عليــك بهـاتيـك الصفـات منافسـًا فللــه مــا أسنــا سنـاهــا لســائـر

هــم القـوم لا يثنيهـم عـن مرادهم مـــلامـــة لـــوّام وخـذلان نــاصـر

بنفسى فـتى مـازال يـدأب دائمـًا إلــى ربـه أكـرِم بـه مـن مهاجـر

مكبـًا عـلى آيِ الكتــاب ودرسـه بقلـب حـزيـن عنـد تـلك الـزواجـر

فيــا ليتـنى ألقـاه يـومـًا لعـلـه يخـبرنـى عمـا حـوى فـى الضمائر

ونـرفـع أيـدينـا إلــى اللـه بالدُّعا لينصـر ديـن المصطفى ذى المفاخر

وينصـر أحـزاب الشريعـة والهدى ويقمـع أهـل الزيـغ مـن كل فـاجـر

فـــآه عـلى تفـريـق شمـل فهـل لما مضــى عـوده نحـو السنين الغوابر

عســى نصـرة للـدين تجمـع شملنا تقـــرّ بهـا ممــا تـرى عـين ناظر

فـيرتـاح أهـل الـدِّين فيهـا أعـزَّة وأعـداؤه تحـت القنــا والحــوافـر

وأخـتم نظمـى بالصـــلاة مسلّـــمًا مـدى الدهـر ما ناضت بروق المواطر

عــلى أحمــد والآل والصحـب والذى لهـم تـابـع يسعـى بفعـل الأوامـر

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصــل)

ومن محاسن الدين الإسلامى الترغيب فى الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ومن محاسن الدين الإسلامى حث المرء على انتهاز فرصة الحياة ، لعمل ما ينفعه فى الآخرة ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم يُنْتَفَع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم . وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لِغَدٍ ﴾ .

ومن محاسن الدين الإسلامى الحثّ على وجوب الاعتماد على الله ، ثم على إيمانه وعمله الصالح ، لا على ما له من صلة بالمقرّبين إلى الله ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فقال : « يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا ، ويا صفيّة عمة رسول الله ، لا أغنى عنك من الله شيئًا ، ويا فاطمة بنت محمد ، سلينى من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئًا » ، رواه الشيخان والترمذى .

ومن محاسن الإسلام الأمر بتعهّد النفس بالإصلاح ، فيلزمها بأداء ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والآيات فى الحثّ على التقوى كثيرة .

ومن محاسن الإسلام أنه يجعل الإنسان على صلة دائمة بربّه ، حين تَفِدُ عليه النعمة ، وحين تنزل به الشِّدَّة ، قال ﷺ : « عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابته سرّاء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرّاء صبر ، فكان خيرًا له » رواه مسلم .

ومن محاسن الإسلام أنه يحث الخلق ، ويوجههم إلى إصلاح أنفسهم ومجتمعهم ، ويرشدهم ، ويبين لهم كيف يحررون عقولهم ، ويسمون بها عن مهاوى الضلال ، إلى أن يخصوا الله جلّ وعلا بالعبادة ، ويوضح لهم كيف يصقلون نفوسهم ، ويغذّون أرواحهم ، بالصلاة كل يوم خمس مرات ، ويوضّح لهم كيف يطهّرون أموالهم ، بأداء حق الله ، وكيف يبنون الأسرة المسلمة ، التى هى نواة المجتمع ، على أسس سليمة قويّة ، وذلك بتواصلهم ، ومعرفتهم لحق قرابتهم ، والآيات والأحاديث تدل على ذلك ، فعن أبى أيوب الأنصارى ، أن رجلاً قال : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، فقال القوم : ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أربٌ ماله ، تعبد الله ، لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم » الحديث رواه الشيخان .

ومن محاسن الدين الإسلامى تحريم الخصومة بالباطل لمن يعلم ، وتحريم الشفاعة التى تعطّل إقامة الحدود التى شرعها الله ، وتحريم القول عن المؤمن بما ليس فيه ، فمن الغايات التى حرص الإسلام على تحقيقها أن يقيم المجتمع الإنسانى على أسس قوية ، من العدالة والتراحم ، وأن تسود أعضاءه روح المودّة ، والتعاون المثمر ، ويسلم من عوامل الضعف ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله ، فقد ضادّ الله عزّ وجلّ ، ومن خاصم فى الباطل وهو يعلم ، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيه ، أسكنه الله ردغة الخبال ، حتى يخرج مما قال » أخرجه أحمد وأبو داود .

ومن محاسن الدين الإسلامى تحريم شهادة الزور ، وقول الزور ، لما فى ذلك من الأضرار والمفاسد ، التى منها بيعه آخرته بدنيا غيره ، ومنها إساءته إلى من شهد له ، بإعانته على ظلمه ، ومنها إساءته إلى من شهد عليه ، بإضاعة حقه ، ومنها إساءته إلى القاضى ، بإضلاله عن المحجة ، ومنها إساءته إلى الأمة ، بزلزلة الحقوق فيها ، وعدم الاطمئنان عليها .

ومن محاسن الدين الإسلامى إبطال ما عليه أهل الجاهلية وتحريمه ، وهما الطعن فى الأنساب ، والنياحة على الميت ، لما فى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إثنان فى الناس هما بهم كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت » .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن لطم الخدود ، وشقّ الجيوب فى المصيبات ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منّا من ضرب الخدود ، وشقّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن الاستيلاء على الماء الذى لا يختص بأحد ، ومنعه ابن السبيل ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفاة ، يمنعه ابن السبيل » متفق عليه ، وفى رواية وقال فيه : « ورجل منع فضل ماء ، فيقول الله له : اليوم أمنعك فضلى ، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

اللهم نوّر قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وألحقنا بعبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصــل)

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه يحرّم الاعتداء ، أو النيل من النفس أو المال أو العِرض أو العقل ، وكل جريمة من جرائم الاعتداء عليها عقوبة ، من قصاص أو حدّ ، والأخلاق الإسلامية من الصدق والأمانة والوفاء والعفّة وغيرها ، ليست أمورًا كمالية فى نظر الإسلام ، كما يتوهمه بعض الناس ، بل هى واجبات ، يحرص عليها ، ومعرّض كل من يخرج عن دائرتها ، بأنه سيقتص منه فى الآخرة إن لم يتب ويتدارك ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ،

وضرب هذا ، فيُعْطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » رواه مسلم .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه يرشد معتنقه إلى أن صلاح حياته يتطلّب منه أن يكون عَفًا فى كلامه ، فلا يغتاب ، ولا ينم ، ولا يسبّ ، ولا يقذف مسلمًا ، ولا يلعنه ، ولا يستهزىء به ، ولا يفترى ، ولا يكذب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » ، وقال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه يحث المؤمن على أداء واجبه ، وأن لا يدّخر جهدًا فى توجيه أهله وإخوانه ، وأقربائه وجيرانه ، وكل من تربطهم به صلة وثيقة إلى الخير ، ووسيلته إلى هذا التوجيه هى التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومن محاسن الدين الإسلامى الأمر بالحياء الذى هو أصل كل فضيلة ، وعصمة من كل شرّ ، لمن وفقه الله ، وفى حديث عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « استحيوا من الله حق الحياء » قلنا : يا رسول الله إنّا نستحيى والحمد لله ، قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبِلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا » رواه الترمذى وأحمد والحاكم بسند صحيح .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن اتخاذ شىء فيه روح غرضًا يُرْمَى إليه ، لما فى الصحيحين أن ابن عمر مرّ بفتْيان من قريش ، قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه ، فلما رأوا ابن عمر تفرّقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا .

ومن محاسن الدين الإسلامى النهى عن بيع الحرّ ، قال ﷺ : « قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرًا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا ، فاستوفى منه العمل ، ولم يوفّه أجره » .

ومن محاسن الدين الإسلامي الوعيد الشديد على من استأجر أجيرًا ، واستوفى منه العمل ، ولم يوفّه أجره ، للحديث المتقدم .

ومن محاسن الدين الإسلامي تحريم السّحر ، وتصديق الكاهن ، قال ﷺ : « ليس منا من تطيَّر أو تُطيِّرَ له ، أو تكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له ، ومن أتى كاهنًا فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنْزِل على محمد ﷺ » .

ومن محاسن الدين الإسلامي تحريم القيادة والعياذ بالله ، وهى الجمع بين رجل وامرأة أجنبية ، سواء كان الجامع رجلاً أو امرأة .

ومن محاسن الإسلام تحريم السعاية عند السلطان بمضرة مسلم .

ومن محاسن الإسلام تحريم غصب المال ، لأنه نوع من الظلم والفساد .

ومن محاسن الإسلام تحريم غصب المال ، لأنه نوع من الظلم ، والله لا يحب الظالمين .

ومن محاسن الدين الإسلامي الحث على الاستقامة ، التى هى الاعتدال فى جميع الأمور ، من الأقوال والأفعال ، والمحافظة على جميع الأحوال ، التى تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها ، فلا يظهر منها قبيح ، ولا يتوجه إليها ذمّ ، ولا لوم ، وذلك إنما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف ، والتمسك بالدين القويم ، والوقوف عند حدوده ، مع التخلّق بالأخلاق الفاضلة ، والصفات الكاملة ، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزّل عليهم الملائكة ، ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعَدون ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فاستقم كما أُمِرْتَ ﴾ وقال النبى ﷺ لسفيان بن عبد الله : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

ومن محاسن الدين الإسلامي أنه ما حرّم شيئًا عليهم ، إلا عوّضهم خيرًا منه ، مما يسدّ مسدّه ويغنى عنه ، كما بيّن ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى ، حرّم عليهم الاستقسام بالأزلام ، وعوّضهم منه دعاء الاستخارة ، وحرّم عليهم الربا ، وعوّضهم التجارة الرابحة .

وحرّم عليهم القمار ، وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة بالخيل والإبل والسِّهام .

وحرّم عليهم الحرير ، وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتّان والقطن .

وحرّم عليهم شرب المسكرات ، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة ، النافعة للروح والبدن .

وحرّم عليهم الخبائث من المطعومات ، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات ، وهكذا إذا تتبعنا تعاليم الإسلام كلها ، وجدنا أنه جلّ وعلا لم يضيّق على عباده فى جانب ، إلا وَسَّع عليهم فى جانب آخر من جنسه ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـل)

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه يقدّر البواعث الكريمة ، والقصد الشريف ، والنيّة الطيبة ، فى تشريعاته وتوجيهاته كلها ، قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيّات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » وبالنيّة الطيبة تنقلب المباحات والعادات إلى طاعات وقُرُبات إلى الله ، فمن تناول غذاءه بنيّة حفظ حياته وتقوية جسده ، ليستطيع القيام بما أوجبه عليه ربه ، من حقوق وتكاليف لأهله وأولاده ، كان طعامه وشرابه مع النيّة الصالحة عبادة ، ومن أتى شهوته مع ما أحلّه الله له من زوجة أو مملوكة له ، يقصد إعفاف نفسه وأهله ، وابتغاء ذريّة صالحة ، كان ذلك عبادة ، تستحق المثوبة والأجر من الله ، وفى ذلك يقول النبى ﷺ : « وفى بُضْعِ أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أليس إن وضعها فى حرام كان عليه وزر ، فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر » .

ومن محاسن الدين الإسلامى أنه حرّم على المسلم شراء ما غُصِبَ أو سُرِقَ أو أُخِذَ من صاحبه بغير حقّ ، لأنه إذا فعل ذلك يكون معينًا للغاصب والسارق والآخذ ، وهذا إذا علم أنها سرقة ، ولو طال زمن غصبه أو سرقته فى يد الغاصب أو السارق أو الناهب ، فإن طول الزمن فى الشريعة الإسلامية ، لا يجعل الحرام حلالاً ، ولا يُسْقِط حق المالك الأصلى بالتقدم ، وهذا أيضا من محاسنه .

ومن محاسن الدين الإسلامى تحريم الربا ، لأن الربا يقتضى أخذ مال الإنسان من غير عوَض ، لأن من يبيع درهمًا بدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الإنسان متعلّق حاجته ، وله حرمة عظيمة ، كما هو معروف ، ثانيًا : استعمال الربا يفضى إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ، ثالثًا : يمنع من تحمّل المشاق تجاه الاكتساب ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، وتكسيلهم عن الجدّ والاجتهاد فى الطلب ، وقد لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه .

عباد الله إن ما سمعتم من المحاسن نقطة من بحر محاسن الدين الإسلامى ، الذى جمع الله به فرقة العرب وشتاتهم ، ووحّد به قلوبهم وصفوفهم وهذّب طباعهم وأخلاقهم ، حتى أوجد منهم أمة شديدة البأس ، واسعة السلطان ، ملكت ناصية الأرض ، ونشرت علم الإسلام فى نواحيها ، قال الله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا ﴾ وقال : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطّفكم الناس ، فآواكم ، وأيدكم بنصره ﴾ .

دين نشره الله فى أرجاء المعمورة ، كالشمس الضاحية ، لا يحجب شعاعها ، وكالقمر الزاهر ، لا يخفى ضوؤه ، ولا يخسف نوره .

دين ترى أعداءه مبغضيه يقتربون منه كل يوم ، من حيث يشعرون ، ومن حيث لا يشعرون ، لأنهم بمخترعاتهم وعلومهم لم يزيدوا على أنهم به يشهدون ، قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبيّن لهم أنه الحق ﴾ دين يكيد له أعداؤه وحسّاده ، من يوم أنزل ، وهو كما ترى ، لم يطفأ له نور ، ولم يضعف له برهان ، قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون ﴾ .

أيها المسلم حسبك أن تعلم أن الدين الإسلامى يحتوى على خيرى الدنيا والآخرة ، ونعيم العاجلة والآجلة ، فما من فضيلة إلا حثّ عليها ، وما من رذيلة إلا نفّر منها ، فإذا اعتصمت بحبله المتين ، وحرصت على العمل بأحكامه ، والتّحلّى بآدابه ، عشت سعيدًا ،

ومتّ سعيدًا حميدًا .

وقال ابن القيّم رحمه الله تعالى :

هـذا ونصرُ الـديـن فـرضٌ لازم ... لا للكفـايـة بـل عـلى الأعيـان

بِيَـدٍ وإمـا باللسـان فـإن عجـزْ ... تَ فبالتـوجّـه والـدعـا بجنـان

مـا بـعـد ذا واللهِ للإيمـان حبـ ... ـة خـردل يـا نـاصـر الإيمـان

بحيـاة وجهـك خـيرِ مسئـول بـه ... وبنـور وجهـك يـا عظـيم الشـان

وبحـق نعمتـك الـتى أوليتهـا ... مـن غـير مـا عـوض ولا أثمـان

وبحـق رحمتك الـتى وسعـتْ جميـ ... ـعَ الخلـق محسنهـم كـذاك الجانى

وبحـق أسمـاء لـك الحسنى معـًا ... فيهـا نعـوت المـدح للـرحمـن

وبحـق حمـدك وهـو حمد واسع الـ ... أكـوان بـل أضعـاف ذى الأكـوان

وبأنـك اللـه الإلـه الحـق معـ ... ـبود الـورى متقـدّس عـن ثـان

بـل كـل معبـود سـواك فباطـل ... مـن دون عرشـك للـثرى التحتـانى

وبـك المعـاذُ ولا مـلاذَ سـواك أنـ ... ـت غيـاث كـل مـلـدد لهفـان

مـن ذاك للمضطـر يسمعه سـوا ... ك يجيـب دعـوتـه مـع العصـيان

إنّـا تـوجهنـا إليـك لحـاجـة ... ترضـيك طـالبهـا أحـق معـان

فـاجعـل قضـاها بعض أنعمك التى ... سبغـت علينـا منـك كـل زمـان

انصـر كتابك والرسول ودينك الـ ... ـعـالـى الـذى أنزلت بالـبرهـان

واخـترتـه دينـًا لنفسـك واصطفيـ ... ـت مقيمـه مـن أمـة الإنسـان

ورضيتـه دينـًا لمـن ترضـاه من ... هـذا الـورى هـو قـيّم الأديـان

وأقـرّ عيـن رسـولك المبعوث بالـدّ ... يـن الحنيـف بنصـره المتـدان

وانصر به النصر العزيز كمثل ما ... قد كنت تنصره بكل زمان

يا رب وانصر خير حزبينا على ... حزب الضلال وعسكر الشيطان

يا رب واجعل شرّ حزبينا فدًا ... لخيارهم ولعسكر القرآن

يا رب واجعل حزبك المنصور أهـ ... ـل تراحم وتواصل وتدان

يا رب واحمهم من البدع التى ... قد أحدثت فى الدين كل زمان

يا رب جنّبهم طرائقها التى ... تفضى بسالكها إلى النيران

يا رب واهدهم بنور الوحى كى ... يصلوا إليك فيظفروا بجنان

يا رب كن لهم وليًا ناصرًا ... واحفظهم من فتنة الفتّان

وانصرهم يا رب بالحق الذى ... أنزلته يا منزِل القرآن

يا رب إنهم هم الغرباء قد ... لجأوا إليك وأنت ذو الإحسان

يا رب قد عادوا لأجلك كل هـ ... ـذا الخلق إلا صادق الإيمان

قد فارقوهم فيك أحوج ما هم ... دنيا إليهم فى رضى الرحمن

ورضوا ولايتك التى من نالها ... نال الأمان ونال كل أمان

ورضوا بوحيك من سواه وما ارتضوا ... بسواه من آراء ذى الهذيان

يا رب ثبّتهم على الإيمان واجـ ... ـعلهم هداة التّائه الحيران

وانصر على حزب النفاة عساكر الإثـ ... ـبات أهل الحق والعرفان

وأقم لأهل السنة النبوية الأنـ ... ـصار وانصرهم بكل زمان

واجعلهم للمتقين أئمّة ... وارزقهم صبرًا مع الإيقان

تهدى بأمرك لا بما قد أحدثوا ... ودعوا إليه الناس بالعدوان

وأعزّهم بالحق وانصرهم به ... نصرًا عزيزًا أنت ذو السلطان

واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم فلأنت أهل العفو والغفران
ولك المحامد كلها حمداً كما يرضيك لا يفنى على الأزمان
ملء السموات العلى والأرض وال موجود بعد ومنتهى الإمكان
مما تشاء وراء ذلك كله حمداً بغير نهاية بزمان
وعلى رسولك أفضل الصلوات والت تسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعاً والألى تبعوهم من بعد بالإحسان

وختاماً فإليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء

أرسل طرفك إلى نشأة الأمة وتبيّن أسباب نهوضها الأول ، فترى أن ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها ولحّم بين أفرادها وصعد بها إلى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو « دين » قويم الأصول ، محكم القواعد ، شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داعٍ إلى المحبة مزكٍّ للنفوس ، مطهّر للقلوب من أدران الخسائس ، منوّر للعقول بإشراق الحق من مطالع قضاياه ، كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها ، وينادي بمعتقديه إلى جميع فروع المدنية الصحيحة ، انظر إلى التاريخ قبل بعثة الدين وما كانت عليه من الهمجية والشتات ، وإتيان الدنايا والمنكرات ، حتى إذا جاءها الدين وحّدها وقوّاها وهذّبها ونوّر عقولها ، وقوّم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولّته بالعدل والإنصاف . ا . هـ .

اللهم عافنا من مكرك وزيّنا بذكرك واستعملنا بأمرك ولا تهتك علينا جميل سترك ، وامنن علينا بلطفك وبرِّك ، وأعِنّا على ذكرك وشكرك ، اللهم سلِّمْنا من عذابك وأمِّنّا من عقابك .

اللهم وفقنا للاستقامة والعدل فيما وليتنا عليه ، اللهم إنّا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ،

ونسألك أن تنوّر قلوبنا وتثبّتنا على قولك الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

جملة أحاديث صحيحة عن خير البرية ﷺ فى فضائل الأمة المحمدية (١) :

١ - « أعطيت سبعين ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب ، وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربى عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا » رواه أحمد وغيره .

٢ - « إن الله تعالى تجاوز لأمتى عما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به » متفق عليه .

٣ - « إن أمتى يُدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء .... » رواه أحمد وغيره .

٤ - « إنكم تتمون سبعين أمة ، أنتم خيرها ، وأكرمها على الله » رواه أحمد والترمذى وغيرهما .

٥ - « أهل الجنة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » رواه أحمد والترمذى وغيرهما .

٦ - « نحن آخر الأمم ، وأول من يحاسب . يقال : أين الأمة الأمية ونبيُّها ؟ فنحن الآخرون الأولون » رواه البيهقى .

٧ - « فضلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا ، وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء ، وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبى قبلى » رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

---

(١) تخيّرت هذه الأحاديث من كتاب صحيح الجامع الصغير للعلامة الألبانى ورأيت من المناسب إلحاقها بآخر هذه الرسالة { عماد } .

الرسالة السادسة:

مختصر
طبقات المكلفين لابن القيم

اختصار الفقير إلى الله
عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله
غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد ، فهذه طبقات المكلفين ومراتبهم فى الدار الآخرة لابن القيم رحمه الله وهى ثمانى عشرة طبقة أعلاها مرتبة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهم ثلاث طبقات أعلاهم أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم من عداهم من الرسل ، ثم الأنبياء الذين لم يرسلوا إلى أمم ، ثم الصديقون ورثة الرسل القائمون بما بعثوا به علمًا وعملاً ودعوة إلى الله ، ثم أئمة العدل وولاته ، ثم المجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ثم أهل الإيثار والإحسان والصدقة ، ثم من فتح الله عليه بابًا من أبواب الخير القاصر على نفسه من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها ، ثم طبقة أهل النجاة وهم من يؤدون فرائض الله ويجتنبون محارمه ، ثم طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم وغشوا كبائر ما نهى الله عنه ولكن رزقهم الله توبة نصوحًا قبل الموت فماتوا على توبة صحيحة فتاب الله عليهم ، ثم طبقة أقوام خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا لقوا الله مصرّين غير تائبين لكن حسناتهم أغلب من سيئاتهم فإذا وزنت رجحت كفة الحسنات فهؤلاء أيضًا ناجون فائزون ، ثم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وهم أصحاب الأعراف وهو موضع بين الجنة والنار ومآلهم إلى دخول الجنة ، ثم طبقة أهل البلية والمحنة - نسأل الله العافية والسلامة - وهم قوم مسلمون خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم وهؤلاء الذين ثبتت فيهم الأحاديث بأنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم ثم يخرجون منها بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين ، ثم قوم لا طاعة لهم ولا معصية ولا كفر ولا إيمان وهم أصناف منهم من لم تبلغه الدعوة ومنهم المجنون الذى لا يعقل ومنهم الأصمّ الذى لا يسمع شيئًا أبدًا ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئًا فاختلفت الأئمة فيهم على ثمانية مذاهب أرجحها أنهم يمتحنون يوم القيامة ويرسل إليهم هناك رسول من أطاعه

دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، لأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه فيعرض عنها أو يعاندها كما قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ { الإسراء : ١٥ } ، ثم طبقة المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وهم فى الدرك الأسفل من النار ، ثم رؤساء الكفر وأئمته ودعاته ، ثم طبقة المقلدين وجهّال الكفرة وقد اتفقت الأمة على أنهم كفّار ، وأخيراً طبقة الجن وهم مكلفون مثابون ومعاقبون بحسب أعمالهم كما قال الله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون ﴾ { الأحقاف : ١٩ } .

فهذه الطبقات كما ترى استوعبت أصناف الإنس والجن كبيرهم وصغيرهم مسلمهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم عالمهم وجاهلهم الرئيس منهم والمرؤوس ، ذكرها الإمام المحقق ابن القيم فى كتابه القيم : (طريق الهجرتين وباب السعادتين) ويعنى بالهجرتين الهجرة إلى الله ورسوله بالإيمان والمحبة والطاعة ويعنى بالسعادتين سعادة الدنيا والآخرة لمن آمن وعمل عملاً صالحًا وهو تقسيم بديع بيّن ما لكل طبقة وما عليها وتضمن العقيدة فى الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين وفضائلهم ومراتبهم وما أعد لهم من الجزاء وتضمن فضائل الأعمال الصالحة كما تضمن العقيدة فى المنافقين وأوصافهم والكفرة والمشركين وما أعد لهم من العذاب والهوان .

ولما قرأتها ولمست أهميتها وعظيم قدرها وفائدتها أحببت أن أقرّبها للقراء وأختصرها لهم من ذلك الكتاب القيم ليستفيدوا منها ويعتبروا بها ، وبعد أن ذكرتها فى هذه المقدمة إجمالاً أذكرها فيما بعد تفصيلاً بذكر الأدلة عليها وكلام أهل العلم فيها كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع بها من قرأها أو سمعها وأن يعظم الأجر والمثوبة لمؤلفها وأن يجمعنا به فى دار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لجلاله وعظيم سلطانه وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

مراتب المكلفين فى الدار الآخرة وطبقاتهم فيها
وهم ثمانى عشرة طبقة

الطبقة الأولى : وهى العليا على الإطلاق : مرتبة الرسالة : فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله وهم المصطفون من عباده الذين سلّم عليهم فى العالمين كما قال تعالى : ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ [الصافات : ١٨١] وقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل : ٥٩] .

ويكفى فى فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصّهم بوحيه وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده وخصهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذه خليلاً ، ومنهم من كلمه تكليمًا ، ومنهم من رفعه مكانًا عليًا على سائرهم درجات ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم ولم يكرم أحدًا منهم بكرامة إلا على أيديهم فهم أقرب الخلق إليه وسيلة وأرفعهم عنده درجة وأحبهم إليه وأكرمهم عليه .

وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم وبهم عرف الله وبهم عبد وأطيع وبهم حصلت محابه تعالى فى الأرض ، وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [الشورى : ١٣] وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة يوم القيامة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين .

الطبقة الثانية : من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيلهم بعضهم على بعض .

الطبقة الثالثة : الذين لم يرسلوا إلى أممهم وإنما كانت لهم النبوة دون الرسالة فاختصوا عن الأمة بإيحاء الله إليهم وإرساله ملائكته إليهم ، واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأمة يدعونهم إلى الله بشريعته وأمره ، واشتركوا فى الوحى ونزول الملائكة عليهم .

الطبقة الرابعة : ورثة الرسل وخلفاؤهم فى أممهم وهم القائمون بما بعثوا به علمًا وعملاً ودعوة الخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم ، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة وهى مرتبة الصديقين ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة وهؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون فى العلم وهم الوسائط بين الرسول وأمته فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم على ذلك قال الله تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ [الحديد : ١٩] .

والمقصود أن درجة الصديقية والربانية ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هى أفضل درجات الأمة ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من عمل بتعليمهم وإرشادهم أو علم غيره شيئًا من ذلك كان له مثل أجره ما دام ذلك جاريًا فى الأمة على آباد الدهور وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال لعلى بن أبى طالب : « والله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم » [١] ، وصح عنه ﷺ أنه قال : « من سنّ فى الإسلام سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا » [٢] وصح عنه ﷺ أيضًا أنه قال : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » [٣] وصح عنه ﷺ أنه قال : « من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين » [٤] . وفى السنن عنه ﷺ أنه قال : « إن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى النملة فى جحرها » والأحاديث فى هذا كثيرة ، قال ابن القيم رحمه الله : وقد ذكرنا مائتى دليل على فضل العلم وأهله فى كتاب مفرد . يريد : « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » فيالها من مرتبة ما أعلاها ومنقبة ما

---

(١) رواه أبو داود عن سهل بن سعد الساعدى ، و (النعم) بفتح النون والعين : الإبل وخص حمرها لأنها كرامها .

(٢) رواه مسلم والنسائى وغيرهما .

(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم فى صحيحه .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

أجلّها وأسناها أن يكون المرء فى حياته مشغولاً ببعض أشغاله وفى قبره صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة وصحف حسناته متزايدة تملى فيها الحسنات كل وقت وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب تلك والله المكارم والغنائم وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وعليه يحسد الحاسدون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويسبق السابقون إليها وتوفر عليها الأوقات وتتوجه نحوها الطلبات فنسأل الله الذى بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنه وكرمه .

الطبقة الخامسة : أئمة العدل وولاته الذين تؤمن بهم السبل ويستقيم بهم العالم ويستنصر بهم الضعيف ويذل بهم الظالم ويأمن بهم الخائف وتقام بهم الحدود ويدفع بهم الفساد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقام بهم حكم الكتاب والسنة وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة وهؤلاء الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن عزّ وجلّ يوم القيامة فيكونون عليها ، والولاة الظلمة قد صهرهم حرّ الشمس وقد بلغ بهم العرق مبلغه وهم يحملون أثقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيفة فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيل أحدهم إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن تبارك وتعالى وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا »[1] . وهم أحد السبعة الأصناف الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله كما كان الناس فى ظل عدلهم فى الدنيا كانوا فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة جزاءًا وفاقًا ، ولو لم يكن من فضلهم وشرفهم إلا أن أهل السموات والأرض والطير فى الهواء يصلّون عليهم ويستغفرون لهم ويدعون لهم .

وولاة الظلم يلعنهم من بين السموات والأرض حتى الدواب والطير كما أن معلم الناس الخير يصلى الله عليه وملائكته كما أن كاتم العلم والهدى الذى أنزله الله يلعنه الله وملائكته ويلعنه اللاعنون ، فيالها من منقبة ومرتبة ما أجلّها وأشرفها أن يكون الوالى

---

(١) رواه مسلم .

والإمام العادل على فراشه ويعمل بالخير وتكتب الحسنات فى صحائفه فهى متزايدة ما دام يعمل بعدله ، ولساعة واحدة منه خير من عبادة أعوام من غيره فأين هذا من الغاشّ لرعيته الظالم لهم قد حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، ويكفى فى فضله وشرفه أنه يكف عن الله دعوة المظلوم (١) فأين من هو نائم وأعين العبّاد ساهرة تدعو الله له وآخر أعينهم ساهرة تدعو عليه ؟ .

الطبقة السادسة : المجاهدون فى سبيل الله : وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم منصة الإسلام ويحمى بهم حوزة الدين وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هى العليا قد بذلوا أنفسهم فى محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه . وهم شركاء لكل من يحمون بسيوفهم فى أعمالهم التى يعملونها وإن باتوا فى ديارهم ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه ، والشارع قد أنزل المتسبب منزلة الفاعل التام فى الأجر والوزر ، ولهذا كان الداعى إلى الهدى والداعى إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل أجر من تبعه ، وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب فى الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عن ما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات ويكفى فى ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة التى الدالّ عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ { الصف : ١١ } فكأن النفوس ضنّت بحياتها وبقائها فقال : ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ يعنى أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة فكأنها قالت فما لنا فى الجهاد من الحظ ، فقال : ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم ﴾ ومع المغفرة : ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ فكأنها قالت : هذا فى الآخرة ، فما لنا فى الدنيا ؟ فقال : ﴿ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين ﴾ { الصف : ١٠ : ١٢ } .

---

(١) يعنى أنه عندما ينصر الإمام العادل المظلوم يكف المظلوم عن الشكوى إلى الله جل وعلا .

فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جلبًا لها وتسييرًا إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين يباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم . فهذه الدرجات الثلاث هى درجات السبق أعنى درجة العلم والعدل والجهاد وبها سبق الصحابة وأدركوا من قبلهم وفاتوا من بعدهم واستولوا على الأمد البعيد وحازوا قصبات العلا فسبحان من يختص بفضله ورحمته من يشاء ، وهذه مراتب السبق التى يهبها الله لمن يشاء من عباده .

الطبقة السابعة : أهل الإيثار والصدقة والإحسان إلى الناس بأموالهم على اختلاف حاجاتهم ومصالحهم من تفريج كرباتهم ودفع ضروراتهم وكفايتهم فى مهماتهم وهم أحد الصنفين اللذين قال النبى ﷺ عنهما : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق »[1] يعنى أنه لا ينبغى لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ويتمنى مثلها إلا أحد هذين وذلك لما فيهما من النفع العام والإحسان المتعدى إلى الخلق ، فهذا ينفعهم بعلمه وهذا ينفعهم بماله ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين ولا يعمر العالم إلا بهما ، قال الله تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

فذكر عموم الأوقات وعموم الأحوال فأتى بالفاء فى الخبر ليدل على أن الإنفاق فى أى وقت وجد من ليل أو نهار وعلى أية حالة وجد سرًا وعلانية فإنه سبب للجزاء على كل حال فليبادر به العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله ولا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار ولا نفقة النهار إلى الليل ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر ولا بنفقة السر وقت العلانية فإن نفقته فى أى وقت وعلى أى حال وجدت سبب فى أجره وثوابه فتدبر هذه الأسرار فى القرآن فلعلك لا تظفر بها تمر بك فى التفاسير ، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له .

فهذه الطبقات الأربع من طبقات الأمة هم أهل الإحسان والنفع المتعدى وهم العلماء وأئمة العدل وأهل الجهاد وأهل الصدقة وبذل الأموال فى مرضات الله فهؤلاء ملوك الآخرة وصحائف حسناتهم متزايدة تملى فيها الحسنات وهم فى بطون الأرض ما دامت

(١) رواه البخارى ومسلم .

آثارهم فى الدنيا فيا لها من نعمة ما أجلّها وكرامة ما أعظمها يختص الله بها من يشاء من عباده .

الطبقة الثامنة : من فتح الله له بابًا من أبواب الخير القاصر على نفسه كالصلاة والحج والعمرة وقراءة القرآن والصوم والاعتكاف والذكر ونحوها مضافًا إلى أداء فرائض الله عليه فهو جاهد فى تكثير حسناته وإملاء صحيفته ، وإذا عمل خطيئة تاب إلى الله منها فهذا على خير عظيم وله ثواب أمثاله من عُمَّال الآخرة ولكن ليس له إلا عمله فإذا مات طويت صحيفته فهذه طبقة أهل الربح والحظوة أيضًا عند الله .

الطبقة التاسعة : طبقة أهل النجاة وهى طبقة من يؤدى فرائض الله ويترك محارم الله مقتصرًا على ذلك لا يزيد عليه ولا ينقص فلا يتعدى إلى ما حرّم الله عليه ولا يزيد على ما فرض عليه ، هذا من المفلحين بضمان رسول الله ﷺ لمن أخبره بشرائع الإسلام فقال : « والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه » فقال : « أفلح إن صدق » [1] ، وأصحاب هذه الطبقة مضمون لهم على الله تكفير سيئاتهم إذا أدوا فرائضه واجتنبوا كبائر ما نهاهم عنه . قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريمًا ﴾ { النساء : ٣١ } ، وصحّ عنه ﷺ أنه قال : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » [2] فتكفير الصغائر يقع بشيئين :

أحدهما : الحسنات الماحية .

والثانى : اجتناب الكبائر ، وقد نص عليها سبحانه وتعالى فى كتابه فقال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يُذْهِبن السيئات ﴾ { هود : ١١٤ } .

الطبقة العاشرة : طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم وغشوا كبائر ما نهى الله عنه ، ولكن رزقهم الله التوبة النصوح قبل الموت فماتوا على توبة صحيحة فهؤلاء ناجون من عذاب الله إمّا قطعًا عند قوم ، وإما رجاءًا وظنًّا عند آخرين ، وهم موكلون إلى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبى هريرة .

المشيئة ، ولكن نصوص القرآن والسنة تدل على نجاتهم وهو وعد وعدهم الله إيّاه والله لا يخلف الميعاد .

الطبقة الحادية عشرة : طبقة أقوام خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فعملوا حسنات وكبائر ولقوا الله مصرِّين عليها غير تائبين منها لكن حسناتهم أغلب من سيئاتهم فإذا وُزِنَت بها رجحت كفة الحسنات فهؤلاء أيضـًا ناجون فائزون ، قال تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [الأعراف : ٨ ، ٩] .

قال حذيفة وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الصحابة : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار ، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف) ، وهذه الموازنة تكون بعد القصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته ، فإذا بقي شيء منها وزن هو وسيئاته .

الطبقة الثانية عشرة : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فتقابل أثراهما فتقاوما فمنعتهم حسناتهم المساوية من دخول النار ، ومنعتهم سيئاتهم المساوية من دخول الجنة ، فهؤلاء هم أهل الأعراف ، والأعراف : جمع عرف ، وهو المكان المرتفع ، وهو سور عالٍ بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف ، قال حذيفة وعبد الله بن عباس : (هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته) ، قال تعالى : ﴿ وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كُلاًّ بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صُرِفَت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ [الأعراف : ٤٦ ، ٤٧] . فهؤلاء الطبقات هم أهل الجنة الذين لم تمسهم النار .

الطبقة الثالثة عشرة : طبقة أهل المحنة والبلية نعوذ بالله منها وإن كانت

آخرتهم إلى عفو وخير وهم قوم مسلمون خفت موازينهم ورجحت سيئاتهم على حسناتهم فغلبتها السيئات فهذه الطبقة التى اختلفت فيها أقاويل الناس وكثر فيها خوضهم وتشعّبت مذاهبهم وتشتّتت آراؤهم .

فطائفة كفّرتهم وأوجبت لهم الخلود فى النار وهذا مذهب أكثر الخوارج بل يكفّرون من هو أحسن حالاً منهم وهو مرتكب الكبيرة الذى لم يتب منها ولو استغرقتها حسناته ، وطائفة أوجبت لهم الخلود فى النار ولم تطلق عليهم اسم الكفر بل سمّوهم منافقين . وطائفة نزلتهم منزلة بين منزلة الكفار والمؤمنين فجعلوا أقسام الخلق ثلاثة مؤمنين وكفّارًا وقسمًا لا مؤمنين ولا كفارًا بل بينهما . وأوجبت لهم الخلود فى النار وهذا هو الرأى الذى عليه أهل الاعتزال ... فهذه ثلاث فرق أوجبت لهذه الطائفة الخلود فى النار ... وقالت المرجئة على اختلاف آرائهم : لا يدرى ما يفعل الله بهم . فيجوز أن يعذبهم الله كلهم ويجوز أن يعفو عنهم كلهم وأن يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم ، غير أنه لا يخلد أحدًا منهم فى النار فهم موكلون عندهم إلى محض المشيئة لا يدرى ما يفعل الله بهم بل يرجأ أمرهم إلى الله وحكمه ، وهذا قول كثير من المتكلمين والفقهاء والصوفية وغيرهم .

وقول الصحابة والتابعين وأئمة الحديث : أن من ترجّحت سيئاته بواحدة دخل النار وهؤلاء هم القسم الذى جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ويلبثون فيها على قدر أعمالهم ثم يخرجون منها فينبتون على أنهار الجنة فيفيض عليهم أهل الجنة من الماء حتى تنبت أجسادهم ثم يدخلون الجنة وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين ، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مرارًا بأن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان ، وإخبار النبى ﷺ أنهم يكونون فيها على قدر أعمالهم مع قوله تعالى : ﴿ جزاءًا بما كانوا يعملون ﴾ { الواقعة : ٢٤ } ، ﴿ ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ { يس : ٥٤ } ، وقوله تعالى : ﴿ ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظْلَمون ﴾ { البقرة : ٢٨١ } ، وأضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة يدل على ما قاله أفضل الأئمة وأعلمها بالله وكتابه وأحكام الدارين أصحاب محمد ﷺ والعقل

والفطرة تشهد له وهو مقتضى حكمة العزيز الحكيم الذى بهرت حكمته العقول ...

الطبقة الرابعة عشرة : قوم لا طاعة لهم ولا معصية ولا كفر ولا إيمان وهؤلاء أصناف : منهم من لم تبلغه الدعوة بحال ولا سمع لها بخبر ، ومنهم المجنون الذى لا يعقل شيئًا ولا يميز ، ومنهم الأصم الذى لا يسمع شيئًا أبدًا ، ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميّزوا شيئًا ...

فاختلفت الأمة فى مثل هذه الطبقة اختلافًا كثيرًا والمسألة التى وسعوا فيها الكلام هى مسألة أطفال المشركين ....

أما أطفال المسلمين فقال الإمام أحمد : لا يختلف فيهم أحد ، يعنى أنهم فى الجنة .

وحكى ابن عبد البر عن جماعة أنهم توقفوا فيهم وأن جميع الولدان تحت المشيئة .

وأما أطفال المشركين فللناس فيهم ثمانية مذاهب :

أحدها : الوقف فيهم وترك الشهادة بأنهم فى الجنة أو فى النار بل يوكل علمهم إلى الله تعالى ، ويقال فيهم كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح المتفق عليه : « الله أعلم بما كانوا عاملين » ..

الثانى : أنهم فى النار وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير .

الثالث : أنهم فى الجنة وهذا قول طائفة من المفسِّرين والمتكلمين وغيرهم ..

الرابع : أنهم فى منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار وهذا قول طائفة من المفسِّرين .

الخامس : أنهم تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم .

السادس : أنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم وهم معهم بمنزلة أرقّائهم ومماليكهم فى الدنيا ...

السابع : أن حكمهم حكم آبائهم فى الدنيا والآخرة فلا يفردون عنهم بحكم فى الدارين ...

الثامن : وهو أرجحها : أنهم يمتحنون فى عَرَصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول

وإلى كل من لم تبلغه الدعوة فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها ...

الطبقة الخامسة عشرة : طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله وهؤلاء المنافقون وهم فى الدَّرْكِ الأسفل من النار ، قال تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدَّرْكِ الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا ﴾ { النساء : ١٤٥ } ، والمقصود أن هذه الطبقة أشقى الأشقياء ولهذا يستهزأ بهم فى الآخرة ويعطون نورًا يتوسطون به على الصراط ثم يطفىء الله نورهم ويقال لهم : ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا ﴾ { الحديد : ١٣ } ، وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء ، نعوذ بالله من غضبه وعقابه .

من أوصاف المنافقين

ومن تأمّل ما وصف الله به المنافقين فى القرآن من صفات الذم علم بأنهم أحق بالدرك الأسفل من النار ، فإنه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده ، ووصف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والشكوك ، ووصفهم بالإفساد فى الأرض وبالاستهزاء بدينه وبعباده ، وبالطغيان وباشتراء الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته ، والزنا وقلة ذكره ، والتردد وهو التذبذب بين المؤمنين والكفار فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والحلف باسمه تعالى كذبًا وباطلاً ، وبغاية الجبن وبعدم الفقه فى الدين وبعدم العلم وبالبخل وبعدم الإيمان بالله وباليوم الآخر وبكراهتهم لظهور أمر الله وأنهم يحزنون بما يحصل للمؤمنين من الخير والنصر ، ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلاء وأنهم يتربصون الدوائر بالمسلمين وبعيب المؤمنين وبرميهم بما ليس فيهم فيلمزون المتصدقين ، ووصفهم بأنهم عبيد الدنيا إن أعطوا منها رضوا وإن منعوا منها سخطوا وبأنهم يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه وأنهم يقصدون إرضاء المخلوقين ولا يطلبون إرضاء رب العالمين وأنهم يسخرون من المؤمنين ، ووصفهم بأنهم رجس والرجس من كل جنس أخبثه وأقذره فهم أخبث بنى آدم وأقذرهم وأرذلهم ووصفهم سبحانه بالاستهزاء به وبآياته وبرسله وبأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم

عن الإنفاق فى مرضاته ، ووصفهم بنسيان ذكره وبأنهم يتولون الكفار ويدَعُون المؤمنين وبأن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله فلا يذكرونه إلا قليلاً وأنهم حزب الشيطان وأنهم يوادّون من حادّ الله ورسوله وبأنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم.

ومن صفاتهم التى وصفهم بها رسول الله ﷺ : الكذب فى الحديث ، والخيانة فى الأمانة ، والغدر عند العهد ، والفجور عند الخصام ، والخلف عند الوعد ، وتأخير الصلاة إلى آخر وقتها ، ونقرها عجلاً وإسراعًا ، وترك حضورها جماعة ، وأن أثقل الصلوات عليهم الصبح والعشاء .

ومن صفاتهم أن أعمالهم تكذب أقوالهم وباطنهم يكذب ظاهرهم وسرائرهم تناقض علانيتهم ، ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبَوْا ذلك وأعرضوا عنه ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا ﴾ { النساء : ٦١ } .

ومن صفاتهم معارضة ما جاء به الرسول ﷺ بعقول الرجال وآرائهم ومن صفاتهم كتمان الحق والتلبيس على أهله .

وجملة أمرهم أنهم فى المسلمين كالزيف فى النقود يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد وليس على الأديان أضرّ من هذا الضرب من الناس وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين فالكفّار المجاهرون بكفرهم أخفّ وهم فوقهم فى دركات النار لأن الطائفتين اشتركتا فى الكفر ومعاداة الله ورسله وزاد المنافقون عليه بالكذب والنفاق ولهذا قال تعالى فى حقهم : ﴿ هم العدوّ فاحذرهم ﴾ { المنافقون : ٤ }.

فحقيق بأهل هذه الطبقة أن يحلوا بالمحل الذى أحلهم الله من دار الهوان وأن ينزلوا فى أردأ منازل أهل العناد والكفران ، وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم فكان عمر بن الخطاب يقول : يا حذيفة ناشدتك الله هل سمّانى رسول الله

ﷺ مع القوم . فيقول : لا . ولا أزكى بعدك أحدًا [1] وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل [2] .

الطبقة السادسة عشرة : رؤساء الكفر وأئمته ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان بالله وعن الدخول فى دينه رغبة ورهبة فهؤلاء عذابهم مضاعف ولهم عذابان عذاب بالكفر وعذاب بصد الناس عن الدخول فى الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ { النحل : ٨٨ } ، وقد استقرت حكمة الله وعدله أن يجعل على الداعى إلى الضلال مثل آثام من اتبعه واستجاب له ولا ريب أن عذاب هذا يتضاعف ويتزايد بحسب من اتبعه وضلّ به .

الطبقة السابعة عشرة : طبقة المقلّدين وجهّال الكفرة وأتباعهم الذين هم معهم تبعًا لهم يقولون : ﴿ إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون ﴾ { الزخرف : ٢٣ } .

وقد اتفقت الأمة على أن هذه الطبقة كفّار وإن كانوا جهّالاً مقلّدين لرؤسائهم وأئمتهم وسوف يتبرّأ المتبوعون ممن تبعهم على كفرهم يوم القيامة وتنقطع صلتهم بهم ولا يغنى عنهم تقليدهم شيئًا ، قال تعالى : ﴿ إذ تبرّأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب ﴾ { البقرة : ١٦٦ } .

الطبقة الثامنة عشرة : طبقة الجن ، وقد اتفق المسلمون على أن منهم المؤمن والكافر والبَرّ والفاجر ، قال تعالى إخبارًا عنهم : ﴿ وأنّا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدَدًا ﴾ { الجن : ١١ } . قال مجاهد : يعنون مسلمين وكافرين ، وقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن فى النار وقد دلّ على ذلك القرآن فى غير موضع كقوله : ﴿ ولكن حقّ القَوْل منى لأملأن جهنم من الجِنّة والناس أجمعين ﴾ { السجدة : ١٣ } . وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس ﴾ { الأعراف : ١٧٩ } .

(١ و ٢) رواهما البخارى .

وبالجملة فهذا أمر معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو يستلزم تكليف الجن بشرائع الأنبياء ووجوب اتباعهم لهم ، وأجمع المسلمون على أن محمدًا ﷺ بُعِثَ إلى الجن والإنس وأنه يجب على الجن طاعته كما يجب على الإنس .

وأما حكم مؤمنيهم فى الدار الآخرة فجمهور السلف والخلف على أنهم فى الجنة وترجم على ذلك البخارى فى صحيحه فقال : باب ثواب الجن وعقابهم لقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى ﴾ { الأنعام : ١٣٠ }.

فهذه مذاهب الناس فى أحكامهم فى الآخرة .

وأما أحكامهم فى الدنيا فاختلف الناس هل هم مكلفون بالأمر والنهى أم لا ؟

والصواب الذى عليه جمهور أهل الإسلام أنهم مأمورون منهيون مكلفون بالشريعة الإسلامية وأدلة القرآن والسنة على ذلك أكثر من أن تحصر ، ومما يدل على تكليفهم قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ ولَّوْا إلى قومهم منذِرِين ﴾ { الأحقاف : ٢٩ - ٣٢ } فهذا يدل على تكليفهم من وجوه متعددة :

١ - أن الله سبحانه وتعالى صرفهم إلى رسوله ﷺ يستمعون القرآن ليؤمنوا به ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه .

٢ - أنهم ولوا إلى قومهم منذرين والإنذار هو الإعلام بالخوف بعد انعقاد أسبابه فعلم أنهم منذرون لهم بالنار إن عصوا الرسول ﷺ .

٣ - أنهم أخبروا أنهم سمعوا القرآن وعقلوه وفهموه وهذا يدل على تمكنهم من العلم الذى تقوم به الحجة وهم قادرون على امتثال ما فيه ، والتكليف إنما يستلزم العلم والقدرة .

٤ - أنهم قالوا لقومهم : ﴿ يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ﴾ وهذا صريح فى أنهم مكلفون مأمورون بإجابة الرسول ، وهى تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر .

٥ – أنهم قالوا : ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ والمغفرة لا تكون إلا عن ذنب وهو مخالفة الأمر .

٦ – أنهم قالوا : ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ وهذا يدل على أن من لم يستجب منهم لداعي الله لم يُجِرْه من العذاب الأليم وهذا صريح في تعلق الشريعة الإسلامية بهم .

٧ – أنهم قالوا : ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء ﴾ وهذا تهديد شديد لمن تخلف عن داعي الله منهم .

وقد صح أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد لهم ولدوابهم فجعل لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه وكل بعرة علف لدوابهم ونهانا عن الاستنجاء بهما [1] ولو لم يكن في هذا إلا قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ { الإسراء : ١٥ } وقد أخبر أنه يعذب كفرة الجن لكفى به حجة على أنهم مكلفون باتباع الرسل .

فإذا علم تكليفهم بشرائع الأنبياء ومطالبتهم بها وحشرهم يوم القيامة للثواب والعقاب علم أن محسنهم في الجنة كما أن مسيئهم في النار .

وإذا ثبت تكليفهم بانقسامهم إلى المسلمين والكفار والصالحين ودون ذلك – كما تضمنته سورة الجن – فهم في الموازنة على نحو طبقات الإنس المتقدمة إلا أنهم ليس فيهم رسول بل فيهم النذر وأفضل درجاتهم الصالحون ولو كان لهم درجة أفضل منها لذكروها . فقد دل القرآن على انقسامهم إلى ثلاثة أقسام صالحين ودونهم وكفار وزاد عليهم الإنس بدرجة الرسالة والنبوة ودرجة المقربين والله أعلم .

فهذا ما وصل إليه الإحصاء من طبقات المكلفين في الدار الآخرة وهي ثماني عشرة طبقة وكل طبقة منها لها أعلى وأدنى ووسط وهم درجات عند الله والله تعالى يحشر الشكل مع شكله والنظير مع نظيره ويقرن بينهما في الدرجة والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

انتهى من كتاب « طريق الهجرتين وباب السعادتين » من ص ٤٥٣ – ٥٦٦ باختصار .

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ، وقد تكرر حضور الجن واستماعهم النبي ﷺ فسمعوه في أول الوحي ، وسمعوه بنخلة مرجعه من الطائف وقد كذبه أهلها وناله منهم ما ناله ، وسمعوه وكلموه وسألوه غير ذلك .. والله أعلم .

الرسالة السابعة :

متن الأربعين النووية

تأليف

الإمام الحافظ محيى الدين النووى

بسم الله الرحمن الرحيم

(ومَآ آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)

« قرآن كريم »

الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والأرضين ، مدبر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى المكلفين لهدايتهم ، وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين ، أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين ، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبين والمرسلين وآل كل وسائر الصالحين .

أما بعد : فقد روينا عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم من طرق كثيرات ومن روايات متنوعات : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَفظَ عَلى أُمّتِي أرْبَعِينَ حَدِيْثًا مِنْ أمْرِ دِيْنِهَا بَعَثَهُ الله يَوْمَ القيامَةِ في زُمْرَةِ الفُقَهَاءِ والعُلَمَاء » وفى رواية : « بَعَثَهُ اللهُ فَقِيْهًا عَالِمًا » ، وفى رواية أبي الدرداء : « وَكُنْتُ لَهُ يومَ القِيَامة شافعا وشهيْدا » ، وفى رواية ابن مسعود : قِيْلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أيِّ أبْوَابِ الجنةِ شِئْتَ » وفى رواية ابن عمر : « كُتِبَ في زُمْرَةِ العُلَمَاء وَحُشِرَ فى زُمْرَةِ الشُهَدَاء » .

واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ، وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنفات . فأول مَن علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم ابن أسلم الطوسي العالم الرباني ، ثم الحسن بن سفيان النسائي ، وأبو بكر الآجري ، وأبو بكر بن إبراهيم الأصفهاني ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبو نعيم وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد

الأنصاري ، وأبو بكر البيهقي ، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله تعالى فى جمع أربعين حديثًا اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الاسلام ، وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث ، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة : « لِيُبلِّغْ الشّاهِدُ مِنْكُم الغَائِب » وقوله ﷺ : « نَضَّرَ الله امْرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا كما سَمِعَهَا » [1] ، ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها . وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله ، وهي أربعون حديثًا مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه ، أو نحو ذلك ، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم .

وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب فى ضبط ما خفي من ألفاظها ، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن تدبره ، وعلى الله اعتمادى وإليه تفويضي واستنادي ، وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة .

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما (صحيح الجامع / ٦٧٦٥) .

(الإخلاص)

١ - « عن أميرَ المُؤمنينَ أبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه قال : سمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إنَّما الأعمال بالنيات وإنَّما لِكُل امْرِىءٍ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه إمام المحدثين أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتبُ المصنفة »(١) .

(قواعد الإسلام)

٢ - « عن عمر رضي الله عنه أيضا قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحدٌ ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استعطت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن باللهِ ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها . وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .

ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال : يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله

---

(١) مما ينبه الحديث إليه أن الأعمال مرتبطة بالنيات ، وبذلك يميز بين العبادة والعادة ، ويمكن أن يبلغ المؤمن بنيته ما يبلغه بالعمل ، بل يعطى على نيته ما لا يعطى على عمله ، لذا لابد من إخلاص النية وتنقية المقاصد .

أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه مسلم » (١) .

(أركان الإسلام)

٣ - « عن أبي عبد الرحمن - عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه البخاري ومسلم » (٢) .

(أحوال الإنسان والأعمال بخواتيمها)

٤ - « عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، شقي أو سعيد ، فو الله الذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » رواه البخاري ومسلم » .

(البدع فى الدين مردودة فردها أنت)

٥ - « عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » رواه البخاري ومسلم : وفي

---

(١) مما يرشد إليه الحديث بعد بيان قواعد الإسلام أن عناية المؤمن بهيئته من الإسلام كما أنه لا عيب مطلقا فى أن يجيب المسؤول عما يجهله بقوله لا أدرى . ويجوز للمؤمن العارف بدينه أن يسأل ليتعلم الآخرين ، ويرشد أيضًا أن السؤال عن أصول الدين هى من الأهمية بمكان بحيث لا حياة للمؤمن بغير تعلمها ، ثم إن التواضع وخفض الجناح هو أساس التعلم .

(٢) مما يستنبط من هذا الحديث والذى بعده بحديثين أن تشبيه المعنويات بالمحسوسات هو أمر مطلوب لكن لابد من ضبطه بضوابط الشرع وعدم التوسع فيه وانتبه أن البناء على القواعد لابد له من تتمات وواجبات أخرى كثيرة .

رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » .

(إحذر الشبهات حتى لا تقع في الحرام)

٦ – « عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الحلال بين ، وإن الحرام بينٌ ، وبينهما أمور مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله : ألا وهي القلبُ » رواه البخارى ومسلم . » .

(لا تمل من النصيحة والتذكير)

٧ – « عن أبي رقية تميم بن أوس الدَّاريّ – رضي الله عنه – « أن النبي ﷺ قال : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » رواه مسلم » .

(وجوب الجهاد وحرمة المسلم)

٨ – « عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله تعالى » رواه البخاري ومسلم » .

(لا تكليف إلا بقدر الاستطاعة)

٩ – « عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » رواه البخارى ومسلم »(١) .

---

(١) مما يرشد إليه الحديث أن الامتثال لا يحصل إلا بترك جميع المنهيات ولا ينبغى أن نتحايل على الحرام مهما كانت الأسباب ، والنهى عن كثرة السؤال فيما لا حاجة فيه ، قال بعض العلماء : « كل من ولّد مسألة من المسائل التى لم يرد فيها نص فإنه مسئول عنها وعمن افتتن بها » .

(الاقتصار على الحلال الطيب والتحذير من أكل الحرام)

١٠ – « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرامٌ ، ومشربه حرامٌ ، وملبسه حرامٌ ، وغذى بالحرام ، فأنّى يُستجاب له » رواه مسلم »[1] .

(التورع عن الشبهات والتمسك باليقين)

١١ – « عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب – سبط رسول الله ﷺ وريحانته – رضي الله عنهما – قال : « حفظت من رسول الله ﷺ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » رواه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح » .

(لا تتداخل فيما لا يعنيك)

١٢ – « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[2] حديث حسن رواه الترمذي وغيره هكذا » .

(المحبة فى أسمى معانيها)

١٣ – « عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه – خادم رسول الله ﷺ – عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم » .

---

(١) وليعلم المؤمن أن أكل الحلال ينور القلب فتصلح الجوارح وأكل الحرام يظلم القلب فتفسد الجوارح .

(٢) إن من حُرم هذا الحديث ومعناه والعمل به ضاع عليه أكثر من نصف عمره فى القيل والقال والعبث والرذائل وغيره .

(متى يهدر دم المسلم)

١٤ - « عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخاري ومسلم » .

(آداب إسلامية عالية)

١٥ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمتْ ، ومن كان يؤمن باللهِ واليوم الآخرِ فليكرمْ جارهُ ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » رواه البخارى ومسلم » .

(النهي عن الغضب)

١٦ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني قال : « لا تغضب » فردد مرارًا قال : « لا تغضب » [١] رواه البخارى » .

(الأمر بالإحسان إلى كل مخلوق)

١٧ - « عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه مسلم » .

(آداب إسلامية رأسها التقوى)

١٨ - « عن أبي ذر جندب بن جنادة ، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن رسول اله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [٢] رواه الترمذى وقال حديث حسن وفي بعض النسخ : حسن صحيح » .

---

(١) أما الغضب للحق - والذي افتقده معظم الناس اليوم - فمحمود بل هو من الإيمان كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم شيء لغضبه » .

(٢) تأمل - رحمك الله - إلى جملة (وخالق الناس بخلق حسن) أى كل الناس مؤمنهم وكافرهم بضوابط شرعية لا مجال لشرحها الآن ، ولكن ماذا تقول لضياع الخُلُق الحسن بين المسلمين أنفسهم ، فأصابنا الضعف والتخلف والوهن فى جميع الميادين ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(احفظ الله يحفظك فى الدنيا والآخرة)

١٩ - « عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : « كنت خلف النبيﷺ يوما ، فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف « رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وفي رواية غيرالترمذي « احفظ الله تجده أمامك ، تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك فـي الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا » .

(الحياء من الإيمان)

٢٠ - « عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول اللهﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت » رواه البخارى » .

(الإيمان والاستقامة)

٢١ - « عن أبي عمرو - وقيل أبي عمرة - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه ، قال قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدًا غيرك . قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم » .

(ما يُدخل الجنة)

٢٢ - « عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما : « أن رجلا سأل رسول اللهﷺ فقال : أرأيت إذا صليت المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئا ، أأدخل الجنة ؟ قال : نعم » رواه مسلم ، ومعنى حرمت الحرام : اجتنبته . ومعني أحللت الحلال : فعلته معتقدا حِلَّهُ » .

(الإسراع في الخيرات)

٢٣ - « عن أبي مالك - الحارث بن عاصم - الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - مابين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » رواه مسلم » .

(تحريم الظلم وطريق الهداية معرفة صفات الله)

٢٤ - « عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا . يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي . كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي ، كلم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكى شيئًا . يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من مُلكي شيئًا . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غيرذلك فلا يلومن إلا نفسه » رواه مسلم » .

(كيف يتصدق الفقراء)

٢٥ - « عن أبي ذر رضي الله عنه أيضا : « أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور [1] بالأجور ، يصلون كما نصلي ،

(١) الدثور جمع دثر وهو المال الكثير ، والمراد : الأغنياء .

ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون : إن لكم بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ » رواه مسلم » .

(فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم)

٢٦ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل سُلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعة صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذي عن الطـريق صدقة » رواه البخارى ومسلم » .

(البرُّ حسن الخلُق فما الإثم ؟ ؟)

٢٧ - « عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم . وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : جئت تسأل عن البر ؟ قلت : نعم . قال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن » .

(وصية الرسول ﷺ بالتزام السنة واجتناب البدعة)

٢٨ - « عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبدٌ ، فإنهُ من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا . فعليكم بسنتي وسنة

الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح » .

(طريق الجنة)

٢٩ - « عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، قال ك لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل . ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. حتى بلغ : يعملون ﴾ ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ فقلت : بلي يا رسول الله ، فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا . قلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ».

(حقوق الله تعالى)

٣٠ - « عن أبي ثعلبة الخشني - جرثوم بن ناشر - رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيِّعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » حديث حسن رواه الدارقطني وغيره » .

(الزهد طريق الحب)

٣١ - « عن أبي العباس - سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة » .

(لا ضرر ولا ضرار)

٣٢ - « عن أبي سعيد - سعد بن سنان - الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ضرر ولا ضرار » حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً ، ورواه مالك في الموطأ مرسلا عن عمرو بن يحيي عن أبيه عن النبي ﷺ ، فأسقط أبا سعيد ، وله طرق يقوي بعضها بعضاً » .

(البينة على المدعي واليمين على من أنكر)

٣٣ - « عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعطى الناس بدعواهم ، لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر » حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا ، وبعضه في الصحيحين » .

(النهي عن المنكر منَ الإيمان)

٣٤ - « عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

(أخوة الإسلام والآداب الاجتماعية)

٣٥ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا [١] . ولا تباغضوا ، ولا تدابروا [٢] ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله [٣] ، ولا يكذبه ، ولا يحقره . التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » رواه مسلم » .

---

(١) النجش : أن يزيد الإنسان في ثمن السلعة لا ليشتريها بل ليغريها على غيره .

(٢) التدابر : التقاطع والهجر .

(٣) لا يخذله : أي إذا طلب منه النصرة فلينصره ولا يسلمه إلى أعدائه .

(ستر المؤمن وتفريج كربه وفضل مجالس الذكر)

٣٦ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبة » رواه مسلم بهذا اللفظ » .

(فضل الله تعالى ورحمته وكرمه)

٣٧ - « عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك : فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف .

فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لُطف الله تعالى وتأمل هذه الألفاظ . وقوله : « عنده » إشارة إلي الاعتناء بها . وقوله « كاملة » للتاكيد وشدة الاعتناء بها . وقال : في السيئة التى هم بها ثم تركها : كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فاكدها بكاملة . وإن عملها كتبها سيئة واحدة ، فاكد تقليلها بواحدة ولم يؤكدها بكاملة ، فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناءً عليه . وبالله التوفيق » .

(علامات المحبة والولاية)

٣٨ - « عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه

الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » رواه البخاري » .

(التجاوز عن المخطىء والناسي والمُكْرَه)

٣٩ - « عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تجاوز لي عن أمتي : الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه » حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما » .

(قصر الأمل والإسراع في التوبة والاستعداد للموت)

٤٠ - « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذا من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، رواه البخاري » .

(علامة الإيمان موافقة السنة)

٤١ - عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح [1] .

(سعة مغفرة الله تعالى)

٤٢ - « عن أنس رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح » .

---

(١) قال الحافظ ابن رجب : تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا ، ثم بيّن علله فراجعه إن شئت في جامع العلوم والحكم ا . هـ . وفي الصحيحين حديث النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين » ، فلعل ذلك فيه معنى هذا الحديث الضعيف ويغني عنه .

الرسالة الثامنة :

مصطلح الحديث في سين وجيم

الدكتور الشيخ

محمد تقي الدين الهلالي

- رحمه الله تعالى -

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الحديث

س ١ : ماهو الحديث ؟

ج١ : الحديث هو أقوال النبى - ﷺ - وأفعاله وصفته وتقريره وترادفه السنة .

س ٢ : إلى كم ينقسم الحديث ؟

ج ٢ : ينقسم الحديث إلى - ا - متواتر و - ب - آحاد .

س ٣ : ماهو المتواتر ؟

ج٣ : الخبر المتواتر هو الذى بلغ رواته فى الكثرة إلى حد يستحيل معه تواطؤهم على الكذب كالأخبار الواردة بأن الصلوات المفروضة خمس وفى عدد ركعاتها وأن فى كل ركعة ركوعا وسجدتين ، وفى أمور الدنيا كالخبر بوجود الأقطار المشهورة كالصين واليابان والهند وبالمدن المشهورة كمكة والقاهرة ودمشق وبيروت ولندن وباريس إلخ ..

س ٤ : ماهو خبر الآحاد ؟

ج٤ : كل خبر لاينطبق عليه حد المتواتر فهو آحاد فإن رواه اثنان عن اثنين إلخ ... فهو مشهور وإن رواه ثلاثة أو أربعة عن مثلهم إلى آخره ولم يبلغ حد التواتر فهو مستفيض .

س ٥ : ماذا يفيد الخبر المتواتر وماذا يفيد الخبر الصحيح من الآحاد ؟

ج ٥ : الخبر المتواتر يفيد العلم القطعى وخبر الآحاد الصحيح يفيد الظن الغالب .

س ٦ : إلى كم ينقسم حديث الآحاد ؟

ج ٦ : ينقسم إلى ثلاثة أقسام : صحيح وحسن وضعيف .

س ٧ : ماهو الحديث الصحيح ؟

هذه الرسالة هى نبذة استللناها من « قبسة من أنوار الوحى » لفضيلة الشيخ الهلالى - رحمه الله تعالى ، وجدناها مناسبة لهذا المجموع ليسرها ونفاستها على صغرها . وكان الشيخ قد ألفها لطلبة الجامعة وغيرهم من المبتدئين .
{ عماد بن صابر } .

ج ٧ : الحديث الصحيح هو الذى اتصل إسناده برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه بلاعلة ولا شذوذ .

س ٨ : ماهو الحديث الحسن ؟

ج ٨ : الحديث الحسن مثل الحديث الصحيح سواء بسواء إلا أن رواته أقل شهرة من رواة الحديث الصحيح .

س ٩ : ماهو الحديث الضعيف ؟

ج ٩ : الحديث الضعيف هو الذى يختل فيه شرط أو أكثر من شروط الحديث الصحيح والحسن .

فوائد تتعلق بالحديث الصحيح

س ١٠ : هل كل حديث حكم الأئمة بصحته هو صحيح قطعا فى نفس الأمر ؟

ج ١٠ : ليس كل حديث حكم الأئمة بصحته هو صحيح قطعا فى نفس الأمر ، ولا كل حديث حكم الأئمة بضعفه أو وضعه هو ضعيف أو موضوع قطعا وإنما يتبع حكم الأدلة الظاهرة .

س ١١ : هل تتفاوت مراتب صحة الحديث أم هى مرتبة واحدة ؟

ج ١١ : إن مراتب الصحة على درجات متفاوتة بعضها أصح من بعض .

س ١٢ : ماهو أصح الحديث عند أهل هذا الفن ؟

ج ١٢ : جمهور المحدثين من أهل السنة على أن أصح الحديث ما اتفق البخارى ومسلم على روايته مما أورداه فى صحيحيهما اللذيْن هما أصح الكتب المصنفة فى هذا الشأن ، ثم ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم ثم ما كان على شرطهما ثم ما كان على شرط مسلم ثم ماوجد فيه شروط الصحة عامة وإن لم يروياه .

س ١٣ : ماهو شرط البخارى ؟

ج ١٣ : يشترط البخارى ثبوت لقاء كل راوٍ لمن فوقه ومعاصرته له برواية ثابتة من طريق آخر .

س ١٤ ماهو شرط مسلم ؟

ج ١٤ : لايشترط مسلم إلا المعاصرة ، يعنى أن يكون كل راو معاصرا لمن روى عنه .

س ١٥ : هل يشترط مسلم ثبوت لقاء كل راو لمن فوقه من طريق آخر؟

ج ١٥ : لا يشترط مسلم ثبوت لقاء كل راو لمن فوقه .

س ١٦ : هل يجوز أن يحكم على إسناد بعينه أنه أصح الأسانيد ؟

ج ١٦ : قال بذلك جماعة من المحدثين ومنعه آخرون .

س ١٧ : هل اتفق القائلون بذلك على إسناد معين أنه أصح الأسانيد ؟

ج ١٧ : اختلف القائلون به ولم يتفقوا على إسناد بعينه ؟

س ١٨ : أشهر الأسانيد التى قيل فيها إنها أصح الأسانيد ثلاثة :

أولها : قول أبى بكر بن أبى شيبة شيخ البخارى ومسلم أصح الأسانيد محمد بن شهاب الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه الحسين عن جده على بن أبى طالب عن النبى - ﷺ -

ثانيها : قول محمد بن إسماعيل البخارى أصح الأسانيد مالك عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبى - ﷺ -

ثالثها : قول إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وأحمد بن حنبل الشيبانى البغدادى أصح الأسانيد محمد بن شهاب الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن النبى - ﷺ -

س ١٩ - : إذا وجدنا حديثا مرويا بعد القرن الخامس الهجرى وقد اجتمعت فيه شروط الصحة ولم ينص أحد من الأئمة على صحته ؟ هل يجوز أن يحكم بصحته ؟

ج ١٩ : قال ابن الصلاح لانجزم بصحته لتعذر إدراك مرتبة الحديث فى هذا الزمان، قلت وفيه نظر .

س ٢٠ : من هو أول من ألف فى الحديث الصحيح كتابا ؟

ج ٢٠ : أول من ألف فى الحديث الصحيح كتابا هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم

ابن المغيرة البخارى الجعفى مولاهم وتلاه مسلم بن الحجاج النيسابورى القشيرى من أنفسهم وقد تقدمت الإشارة إلى كتابيهما .

س ٢١ : هل استوعب البخارى و مسلم جميع الأحاديث الصحيحة فى كتابيهما ؟

ج ٢١ : لم يستوعب البخارى ولا مسلم جميع الأحاديث الصحيحة فى كتابيهما وإنما رويا فيهما أصح الصحيح عندهما .

س ٢٢ : كم عدد الأحاديث الصحيحة ؟

ج ٢٢ : قدرت بسبعة آلاف والتحقيق أنها نحو ألفين بحسب متونها ، وأما بحسب الأسانيد فهى كثيرة جدا .

- فوائد تتعلق بالحديث الحسن والضعيف -

س ٢٣ - إلى كم ينقسم الحديث الحسن ؟

ج ٢٣ : ينقسم الحديث الحسن إلى قسمين ، حديث حسن لذاته وحديث حسن لغيره

س ٢٤ : ماهو الحديث الحسن لذاته ؟

ج ٢٤ : الحديث الحسن لذاته هو ما انطبق عليه التعريف المتقدم .

س ٢٥ : ماهو الحديث الحسن لغيره ؟

ج ٢٥ : الحديث الحسن لغيره هو ماروى من طريقين فأكثر لايخلو واحد منها من قدح إلا أنها بمجموعها تجعل الحديث من درجة الحسن لغيره .

س ٢٦ : هل الضعف على مرتبة واحدة ؟

ج ٢٦ : الضعف على قسمين : قسم يجبر بتعدد الطرق وقسم لايجبر بتعدد الطرق .

س ٢٧ : ماهو الضعف الذى يجبر بتعدد الطرق ؟

ج ٢٧ : الضعف الذى يكون ناشئا عن قلة الضبط والإتقان ووجود شىء من السهو والنسيان فى الراوى مع العدالة التامة .

س ٢٨ : ماهو الضعف الذى لايجبر بتعدد الطرق ؟

ج ٢٨ : هو الضعف الناشئ عن الطعن فى عدالة الراوى كأن يكون متهما بالكذب أو يكون متصفا بخصلة ذميمة تزيل الثقة به أو يكون منكر الحديث أو يكون الحديث شاذا فهذا وأمثاله لايرتفع إلى درجة الحسن بتعدد الطرق .

س ٢٩ : هل يرتفع الحديث الحسن أيضا إذا تعددت طرقه إلى درجة الصحيح ؟

ج ٢٩ : نعم يرتفع الحديث الحسن إذا تعددت طرقه إلى درجة الصحيح مثاله حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .

محمد بن عمرو فيه ضعف لقلة حفظه ولكن الحديث قد روى من طرق أخرى فارتقى إلى درجة الصحيح ، هكذا قال ابن الصلاح ، قلت وفيه نظر لأن الحديث الذى يوجد فى إسناده راوٍ ضعيف من قبل حفظه يكون ضعيفا فإذا روى من طرق أخرى خالية من الضعف وليس رجالها من المشهورين يكون الحديث حسنا .

س ٣٠ : كيف يتدرب الطالب على تمييز الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ؟

ج ٣٠ : إذا أردنا أن نعرف الأحاديث بأمثلة كثيرة من كل قسم من الأقسام الثلاثة فعلينا أن ندرس كتاب محمد بن عيسى الترمذى وهو رابع الكتب الستة المشهورة ، فإنه ينص على حديث عقب روايته بأنه حديث صحيح أو حسن أوضعيف .

كتب الحديث

س ٣١ : هل كان الحديث يكتب فى زمان النبى - ﷺ - كما كان يكتب القرآن ؟

ج ٣١ : لا ، لأن النبى - ﷺ - كان ينهى عن كتابة الحديث ولم يرخص فى ذلك إلا قليلا فى بعض الأحيان قيل لئلا يختلط الحديث بالقرآن عند بعض الناس .

س ٣٢ : متى بُدِىء بتصنيف كتب الحديث ؟

ج ٣٢ : أول كتاب صنف فى علم الحديث فيما نعلم هو كتاب الموطأ للإمام مالك ابن أنس الأصبحى المدنى وهو مشتمل على الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة وكان تأليف الموطأ فى أوائل القرن الثانى من الهجرة وأكثر أحاديثه صحاح .

س ٣٣ : ماهى أصناف كتب الحديث ؟

ج ٣٣ : كتب الحديث على ثلاثة أصناف ، صنف مرتب على الأبواب ، أعنى أبواب الأحكام ويسميها المؤلفون كتبا مثلا :

يشتمل المؤلَّف الواحد منها على أقسام قسم يسمى كتاب الإيمان تروى فيه الأحاديث الواردة فى الإيمان والإسلام ، وقسم يسمى كتاب العلم تروى فيه الأحاديث الواردة فى العلم وقسم يسمى كتاب الطهارة تروى فيه الأحاديث الواردة فى الغسل والوضوء وتطهير الثياب والبدن والمكان من النجاسات ، وينقسم كل كتاب من هذه إلى أبواب يعقد المصنف لكل مسألة بابا .

والصنف الثانى يرتب على أسماء الصحابة ، يجمع المصنف الأحاديث المروية عن أبى بكر الصديق مثلا فى أى مسألة كانت سواء كانت تتعلق بالعبادات أم بالمعاملات أم بالأخلاق والزهد كلها فى مكان واحد ثم يجمع الأحاديث المروية عن عمر بن الخطاب كذلك وهكذا إلى أن يأتى على الأحاديث كلها كل حديث تحت ترجمة الصحابى الذى سمعه من النبى - ﷺ - وهذه الكتب التى على هذا الشكل تسمى - المسانيد - واحدها مسند .

والصنف الثالث يرتب على أسماء الرواة والشيوخ فيجمع المصنف الأحاديث التى رواها عن كل شيخ من شيوخه فى موضع واحد وهذا الصنف يسمى - المعاجم - واحدها معجم .

س ٣٤ : ماهى أشهر الكتب ألموجودة بأيدى الناس اليوم من الصنف الأول ؟

ج ٣٤ : أشهر الكتب الموجودة من الصنف الأول الموطأ وقد تقدم ذكره ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم وقد تقدم ذكرهما أيضا ، وجامع محمد بن عيسى الترمذى ، وكتاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، وكتاب السنن لأحمد بن شعيب النسائى ، وكتاب السنن لمحمد بن ماجة القزوينى ، وكتاب السنن لأبى الحسن الدارقطنى ، وكتاب السنن لعثمان بن سعيد الدارمى [1] ، وقد ألف الحسين بن مسعود

---

(١) لعل هذا سبق قلم من الشيخ رحمة الله عليه ، فالإمام الدارمى صاحب السنن هو « عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمى المتوفى عام ٢٥٥ هـ » أما الإمام « عثمان بن سعيد الدارمى المتوفى عام ٢٨٠ هـ » فغيره وهو صاحب التصانيف البارعة فى نصرة أهل السنة والرد على الجهمية منها « الرد على الجهمية » و « رد الإمام الدارمى عثمان بن سعيد على بشر المريسى العنيد » وله مسند كبير (السير ٣١٩/١٣) . { عماد بن صابر } .

البغوى كتاب المصابيح جمعه من الكتب المذكورة وغيرها ورتبه على ترتيبها وحذف الأسانيد والمخرجين وأسماء الصحابة الذين سمعوا الحديث من النبى - ﷺ - يحذفها أحيانا ويذكرها أحيانا ، ثم جاء محمد بن عبد الله الخطيب العمرى التبريزى فعمد إلى كتاب المصابيح ورد لكل حديث اسم صحابيه ومخرجه وسماه مشكاة المصابيح وهو مطبوع متداول بأيدى الناس .

س ٣٥ : ماهى أشهر الكتب الموجودة من الصنف الثانى ؟

ج ٣٥ : المسانيد كثيرة وأهمها مسند أحمد بن حنبل وقد طبع مرتين وهو أكبر كتاب من كتب الحديث يقال إن فيه عشرة آلاف حديث . وقد زاد فيه ابنه عبد الله زوائد رواها عن غير والده ومسند الدارمى [١] فى مجلد واحد ولا يوجد غيرهما مطبوعا فيما نعلم ؟

س ٣٦ : ماهى أشهر الكتب الموجودة من الصنف الثالث ؟

ج ٣٦ المعاجم أيضا كثيرة والموجود منها هى معاجم الطبرانى الثلاثة الكبير ، والأوسط ، والصغير [٢] ومن أحسن كتب الحديث المطبوعة كتاب - رياض الصالحين - للنووى جمع فيه أحاديث كثيرة من كتب مختلفة والتزم ألا يدخل فى كتابه إلا حديثا صحيحاً أو حسنا ، وكتاب الأربعين له أيضا جمع فيه أربعين حديثا من جوامع الكلم وشرحها .

س ٣٧ : كم هى أنواع الحديث الضعيف ؟

ج ٣٧ : الحديث الضعيف أنواع كثيرة نذكر أهمها فيما يلى : -

---

(١) يبدو أن الشيخ رحمه الله تعالى يقصد الدارمى صاحب السنن فيكون هذا المسند هو السنن السابق ذكره فإنها تسمى « مسند الدارمى » أحيانًا كما ذكر الكتانى فى رسالته ، لكن يحسُن هنا أن نذكر أن للإمام عثمان بن سعيد الدارمى مسندًا كبيرًا غير أنه لم يطبع بعد . وقد طبع الآن عام ١٤١١ هـ مسانيد كثيرة مهمة على رأسها مسند أبى يعلى وهو كبير ، ومسند الطيالسى ، ومسند الحميدى شيخ البخارى وغيرهم كثير . { عماد بن صابر } .

(٢) وقد طبع والحمد لله المعجمان الصغير والكبير ، وطبع من الأوسط عدة أجزاء ، نسأل الله أن ييسر إكماله . { عماد بن صابر } .

١ - الحديث الموقوف

س ٣٨ : ماهو الحديث الموقوف ؟

ج ٣٨ : هو مايروى عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم ونحوها فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى رسول الله ويقابله الحديث المرفوع وهو مارفع إلى النبى - ﷺ - وقد يكون صحيحا وقد يكون ضعيفا .

س ٣٩ : هل الموقوف حجة يثبت به الحكم ؟

ج ٣٩ : أكثر أئمة الحديث على أن الموقوف ليس بحجة . إذ لا حجة إلا فى كلام الله وكلام رسوله المعصوم من الخطأ ، أما أقوال الصحابة إذا لم يجمعوا كلهم فليست بحجة عند الجمهور إلا أن بعض الأئمة يحتج بقول الصحابى كأبى حنيفة وأحمد بن حنبل إذا لم توجد آية ولا حديث مرفوع .

س ٤٠ : ماهو الموقوف الذى له حكم المرفوع ؟

ج ٤٠ : الموقوف الذى له حكم المرفوع ، أن يحدث الصحابى بأمر لامجال فيه للرأى كذكر أحوال يوم القيامة أو الملائكة أو ما أشبه ذلك أو يقول من السنة كذا وكذا واختلفوا فى قول الصحابى كنا نقول أو كنا نفعل كذا وكذا على عهد رسول الله هل هو من المرفوع أو من الموقوف ؟ والذى نرجحه أن ذلك مرفوع .

٢ - المرسل :

س ٤١ : ماهو الحديث المرسل ؟

ج ٤١ : الحديث المرسل ، هو أن يقول التابعى قال رسول الله - ﷺ - ولا يذكر واسطة .

س ٤٢ : هل المرسل حجة فى إثبات الأحكام ؟

ج ٤٢ قال الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه : المرسل فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالإخبار ليس بحجة وحكى ابن عبد البر الحافظ عدم الاحتجاج به عن جماعة أصحاب الحديث والاحتجاج به مذهب مالك وأبى حنيفة وأصحابهما وأما الشافعى فإنه يحتج بمرسلات سعيد بن المسيب فقط .

س ٤٣ : ماهو حكم مراسيل الصحابة وما معنى ذلك ؟

ج ٤٣ : مراسيل الصحابة فى حكم المرفوع ، فإذا حدث الصحابى الصغير السن عن النبى - ﷺ- بأمر لم يحضره لأنه لم يكن موجودا فى زمانه أو كان صغيرا لا يعقل فهو حجة قالوا لأن الصحابة كلهم عدول وهو إما أن يكون سمعه من النبى - ﷺ - أو من صحابى آخر .

٣- المنقطع :

س ٤٤ : ماهو الحديث المنقطع ؟

ج ٤٤ : هو ماسقط من سنده راو غير الصحابى .

س ٤٥ : ماهو المتصل الذى هو فى حكم المنقطع ؟

ج ٤٥ : هو أن يقول الراوى حدثنا فلان عن فلان أوعن شيخ عن فلان أو عن رجل عن فلان ولا يسمى ذلك الشيخ أوالرجل فيكون مجهولا فيصير فى حكم المنقطع .

٤- الحديث المعضل :

س ٤٦ : مامعنى الحديث المعضل لغة واصطلاحا ؟

ج ٤٦ : يقال أعضل الأمر إعضالا أى أشكل وعسر المخرج منه ، ومنه مسألة معضلة وأهل الحديث يفتحون ضاده وفيه إشكال من حيث اللغة وأما معناه اصطلاحا فهو ماسقط من إسناده راويان فى أى موضع منه

٥ - الحديث المعنعن :

س ٤٧ : ماهو الحديث المعنعن ؟

ج ٤٧ : هو الذى يقولُ فيه الراوى عن فلان ولا يصرح بالسماع ولا بالتحديث ونحوهما .

س ٤٨ : ماهو حكم الحديث المعنعن متصل أم منقطع ؟

ج ٤٨ : جماهير المحدثين على أنه متصل بشرط أن يثبت لقاء الراوى لمن عنعن الحديث عنه وسماعه منه وعدم تدليسه وسيأتى معنى التدليس .

٦ - الحديث المؤنن :

س ٤٩ : ماهو الحديث المؤنن ؟

ج ٤٩ : الحديث المؤنن هو أن يقول الراوى بدلا عن أن فلانا ، مثاله (مالك عن الزهرى أن سعيد بن المسيب قال كذا) وقال مالك عن وأن كلاهما سواء . وقال أحمد ابن حنبل ليسا سواء . وحكى ابن عبد البر عن جمهور أهل العلم أن عن وأن سواء وأنه لا اعتبار بالحروف والألفاظ وإنما هو باللقاء والمجالسة والسماع والمشاهدة يعنى مع السلامة من التدليس فإذا كان سماع بعضهم عن بعض بأى لفظ ورد محمولا على الاتصال حتى يبين فيه الانقطاع . ومثله قول الراوى قال فلان أو ذكر فلان يعنى أستاذه المعروف بالرواية عنه وهو أيضا فى حكم المتصل .

٧ - الحديث المعلق :

س ٥٠ : ماهو الحديث المعلق ؟

ج ٥٠ : هو أن يحذف من أول الإسناد راوٍ واحد فاكثر فيقول المخرج ولنفرض أنه البخارى وقال مالك أو نافع عن ابن عمر عن النبى (ﷺ) .. أو قال النبى (ﷺ) كل ذلك يسمى معلقا .

وقد علق البخارى فى صحيحه أحاديث كثيرة لم يكن إسنادها على شرطه ولكن الحفاظ وجدوها قد رواها الثقات متصلة بإسناد صحيح فجعلوا لها حكم المتصل لذلك . ولولاه لكانت فى حكم المنقطع .

٨ - الحديث المدلس :

س ٥١ : مامعنى التدليس فى اللغة ؟

ج ٥١ : التدليس فى اللغة هو الغش .

س ٥٢ : ماهو الحديث المدلس :

ج ٥٢ : الحديث المدلس قسمان ما وقع فيه تدليس الإسناد ، وما وقع فيه تدليس الشيوخ .

س ٥٣ : ماهو تدليس الإسناد ؟

ج ٥٣ : هو أن يروى الراوى عن شيخ لم يلقه ولم يسمع منه بلفظ يوهم أنه لقيه وسمع منه كأن يقول عن ، أو أن أو قال ، والمدلسون يفعلون ذلك ليفتخروا بعلو السند إذا كان الحديث عنه بواسطة فيحذفون الواسطة ويوهمون أنهم أخذوه عن ذلك الإمام .

س ٥٤ : ماهو تدليس الشيوخ ؟

ج ٥٤ : هو أن يروى عن شيخ لايريد التصريح باسمه لغرض من الأغراض فيسميه باسم لا يعرف به حتى يتوهم من يرى ذلك الإسناد أنه شخص آخر .

مثاله ما رواه المحدثون عن أبى بكر بن مجاهد المقرىء أنه روى عن أبى بكر عبد الله ابن أبى داود السجستانى صاحب السنن فقال مدلسا . حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله.

س ٥٥ : ماهو حكم التدليس بنوعيه ؟

ج ٥٥ : أما القسم الأول فهو مذموم ذمه الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج ، وقال الإمام الشافعى : التدليس أخو الكذب واختلف أهل العلم فى قبول رواية المدلس فقال بعضهم لا تقبل روايته وأكثرهم يقولون إذا صرح بالسماع والتحديث تقبل روايته ويحتج بها ، وإذا عنعن أو روى الحديث بلفظ فيه إبهام فهو إسناد منقطع لايحتج به وإنما قبلوا روايته إذا صرح بالسماع لأنهم لم يجربوا عليه كذبا وعنده من المروءة والدين مايمنعه من ذلك .

أما القسم الثانى فهو أخف من الأول ، فينظر فى الغرض الذى حمله على تغيير اسم الراوى فإن كان غرضا صحيحا يعذر به ، قلّت كراهته ، وإن كان غرضا فاسدا كأن يكون أصغر منه سنا ، فيتكبر عن الرواية عنه يكون أكثر كراهة . وكيفما كان الأمر فهذا النوع من التدليس يحتمل قبوله والاحتجاج به عند من عرف حقيقته [١] .

٩ - الحديث الشاذ :

س ٥٦ : ماهو الشذوذ لغة واصطلاحا ؟

---

(١) هناك أنواع أخرى للتدليس كتدليس التسوية ، وتدليس حذف الأداة وهو تدليس العطف وتدليس البلاد وتدليس السكوت ، وأخطرها هو تدليس التسوية وهو إسقاط الراوى - بعد شيخه - ضعيف بين ثقتين قد سمع أحدهما من الآخر ، وهو شر أنواع التدليس ويلحقه بعض العلماء بتدليس الإسناد . عماد بن صابر .

ج ٥٦ : الشذوذ لغة هو الخروج عن الجماعة فى أمر من الأمور وأما فى الاصطلاح فالحديث الشاذ هو ما تفرد به راو خالفه جماعة مثله فى الحفظ والإتقان أو خالفه فيه راو واحد هو أحفظ منه وأكثر إتقانا .

س ٥٧ : هل يكون الشذوذ فى السند فقط أم يكون فيه وفى المتن أيضا ؟

ج ٥٧ : يكون الشذوذ فى السند بزيادة راو أو تغيير اسمه وما أشبه ذلك ، وقد يكون فى المتن فإن كان لايغير المعنى قبل وإلا فهو مردود ومثال الشذوذ فى تغيير اسم الراوى ماروى مالك عن الزهرى عن على بن الحسين عن عمر بن عثمان عن أسامة بن زيد عن رسول الله (ﷺ) (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) فخالف مالك غيره من الثقات فى قوله عمر بن عثمان بضم العين وذكر مسلم صاحب الصحيح فى كتاب التمييز إن كل من رواه من أصحاب الزهرى قال فيه عمرو بن عثمان يعنى بفتح العين ، وعمر وعمرو كلاهما من ولد عثمان ، وغير أن هذا الحديث إنما هو عن عمرو وبفتح العين . وحكم مسلم وغيره على مالك بالوهم فيه .

١٠ - الحديث المنكر :

س ٥٨ : ماهو الحديث المنكر ؟

ج ٥٨ : هوالحديث الذى ينفرد بإسناده راو ضعيف قد خالف من هو أوثق منه وأكثر حفظا وإتقانا فهو مثل الشاذ لا يخالفه إلا فى كون الشاذ تفرد به ثقة خالف من هو أوثق منه . أما المنكر فقد تفرد به غير ثقة .

١١- الحديث المعلل :

س ٥٩ : ماهو الحديث المعلل ؟

ج ٥٩ : الحديث المعلل ويسميه أهل الحديث معلولا وهو خطأ ، لأن علَّ الثلاثى معناه سقى مرة بعد مرة وأما ما فيه علة فيقال أعله وعلله فهو معلل ومعل والحديث المعلل مافيه علة خفية تقدح فيه . ومعرفته من أهم علوم الحديث التى لايظفر بها إلا كبار العلماء المحققين و يتطرق ذلك إلى الإسناد الذى رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر ويستعان على إدرا كها بتفرد الراوى وبمخالفة غيره مع قرائن تنضم إلى ذلك ، فيطلع فيه العارف بهذا الشأن على إرسال فى الموصول أو وقف فى المرفوع أو

دخول حديث فى حديث إلى غير ذلك . وكل ذلك مانع من الحكم بصحة ما وجد فيه .

س ٦٠ : أين تكون العلة فى سند الحديث أو فى متنه ؟

ج ٦٠ : تقع العلة فى إسناد الحديث وهو الأكثر وقد تقع فى متنه .

س ٦١ : هل يوجد حديث علل من حيث الإسناد وبقى متنه صحيحا ؟

ج ٦١ : نعم ، مثال ذلك مارواه يعلى بن عبيد عن سفيان الثورى عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبى (ﷺ) قال (البيعان بالخيار) الحديث ، فهذا الإسناد متصل بنقل العدل عن العدل وهو معلل غير صحيح والمتن على كل حال صحيح والعلة فى قوله عن عمرو بن دينار وإنما هو عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر . هكذا رواه الأئمة من أصحاب سفيان عنه فوهم يعلى بن عبيد ، وعدل عن عبد الله بن دينار إلى عمرو بن دينار وكلاهما ثقة .

١٢ - الحديث المضطرب :

س ٦٢ : ما هو الحديث المضطرب ؟

ج ٦٢ :الحديث المضطرب هو الذى تختلف الرواة فيه ، فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه آخر مخالف له . وإنما نسميه مضطربا إذا تساوت الروايتان أما إذا ترجحت إحداهما بحيث لاتقاومها الأخرى بأن يكون راويها أحفظ وأكثر صحبة للمروى عنه أوغير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة . فالحكم للراجح ، ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه .

س ٦٣ : أين يكون الاضطراب فى الإسناد أو فى المتن ؟

ج ٦٣ : قد يقع الاضطراب فى متن الحديث وقد يقع فى الإسناد ، وقد يقع ذلك من راو واحد وقد يقع من رواة . والاضطراب موجب لضعف الحديث .

١٣ - الحديث المقلوب :

س ٦٤ : ماهو القلب فى الحديث ؟

ج ٦٤ : القلب إما أن يكون فى السند كما إذا روى حديث عن سالم عن عبد الله بن عمر ، فبدل الراوى اسم سالم بنافع ليرغب فيه الناس فهذا الحديث يسمى مقلوبًا

والثانى ماوقع للبخارى حين قدم بغداد وأراد المحدثون فيها أن يختبروا حفظه ، فبعثوا إليه عشرة من الطلبة كل واحد منهم قد قلب عشرة أحاديث فجعل متن هذا الحديث لإسناد ذلك ، وإسناد ذلك لمتن هذا ، سأله صاحب العشرة الأولى فأشار إليه بالانتظار ، ثم قال للثانى هات ماعندك فعرض عليه عشرة أحاديث أيضا مقلوبة ، فأشار إليه بالانتظار ، وقال للثالث هات ماعندك وهكذا حتى عرض عليه الطلبة مائة حديث مقلوب فالتفت إلى الأول وقال أما الحديث الأول فحدثناه فلان قال حدثنا فلان إلى آخر السند ورد متنه على وجه الصواب، واستمر على ذلك حتى أتى على أحاديثه فردها كلها إلى أصلها ثم أجاب كذلك عن أحاديث الثانى والثالث إلى أن أتى عليها فتعجب الناس من ذلك وأذعنوا له وشهدوا له بالفضل وقد يكون القلب غلطا لسوء الحفظ .

١٤ - الحديث المدرج :

س ٦٥ : ماهو الحديث المدرج ؟

ج ٦٥ : هو ما يضاف إلى كلام النبى (ﷺ) من كلام رواة الحديث على سبيل الشرح والتقرير . مثاله ماذكره ابن الصلاح من حديث ابن مسعود فى التشهد عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) علمه التشهد فى الصلاة فقال قل « التحيات لله والصلوات .. فذكر التشهد وفى آخره أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد . رواه أبو خيثمة عن الحسن بن الحر فأدرج فى الحديث قوله « فإذا قلت هذا إلخ .. » وإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام الرسول ، مثال آخر حديث أبى هريرة عند البخارى مرفوعا « إنكم تحشرون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » فقول - فمن استطاع منكم - هو من كلام أبى هريرة مدرج .

١٥ -الحديث الغريب :

س ٦٦ : ماهو الحديث الغريب ؟

ج ٦٦ : الحديث الغريب هو الذى تفرد به راو ولو فى موضع واحد ويسمى فردا نسبيا وإن كان التفرد فى كل موضع من الإسناد يسمى فردا مطلقا .

س ٦٧ : ماهو حكم الحديث الغريب ؟

ج ٦٧ : الحديث الغريب إن كان المتفرد به ثقة أى عدلا ضابطا مشهورا فهو صحيح وإن كان ناقص الشهرة فهو حسن ، وإن كان قليل الضبط فحديثه ضعيف وإذا قال أهل الحديث حديث غريب فالغالب أن يكون ضعيفا . أما قول الترمذى حسن غريب فيراد به أنه حسن تفرد به بعض الرواة والله أعلم .

١٦ - الحديث المتروك :

س ٦٨ : ماهو الحديث المتروك ؟

ج ٦٨ : الحديث المتروك هو الذى فى إسناده راو ثبت عليه الكذب فيما بينه وبين الناس ولم يثبت عليه الكذب فى حديث رسول الله (ﷺ) ومعنى متروك أنه لايحتج به ولا يقوى حديثا آخر .

١٧ - الحديث الموضوع :

س ٦٩ : ماهو الحديث الموضوع ؟

ج ٦٩ : الحديث الموضوع هو الذى يوجد فى إسناده راو أو أكثر ثبت عليه أنه يكذب على النبى (ﷺ) .

س ٧٠ : هل تجوز رواية الحديث الموضوع والضعيف بدون بيان وضعه أو ضعفه ؟

ج ٧٠ : لا تحل رواية الحديث الموضوع إلا مقرونا ببيان وضعه للتحذير منه فى أى باب كان ، كيفما كان معناه ، أما الحديث الضعيف فتجوز روايته ويستأنس به فى فضائل الأعمال التى ثبت حكمها بدليل آخر ولا يعتمد عليه فى إثبات الحكم لأنه إن كان ثابتا فذلك هو المطلوب وإلا فلا ضرر فى روايته .

س ٧١ : كيف يعرف وضع الحديث ؟

ج ٧١ : يعرف أن الحديث موضوع بأمور منها إقرار واضعه أو ما ينزل منزلة إقراره وقد يفهم الوضع من قرينة حال الراوى أو المروى فقد وُضِعت أحاديث طويلة تشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها .

س ٧٢ : كيف نقدر أن نطلع على الأحاديث الموضوعة ؟

ج ٧٢ : قد ألف علماء الحديث كتبًا جمعوا فيها الأحاديث الموضوعة تحذيرًا للناس منها ودفاعا عن السنة الصحيحة حتى لايلتبس الحق بالباطل فمن ذلك كتاب الموضوعات لابن الجوزى ، وقد انتقد عليه كثير من الأئمة أنه أدخل فى كتابه هذا أحاديث ليست موضوعة وإنما هى ضعيفة ، وألف عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى كتابا سماه اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، وألف على بن سلطان القارى كتابا فى الموضوعات وكلاهما مطبوع .

س ٧٣ : لماذا وضعت الأحاديث وأى نوع منها أكبر ضررا وأعظم خطرا ؟

ج ٧٣ : الواضعون للحديث أصناف بعضهم أعداء للإسلام أرادوا شينه بذلك وإضلال أهله ليلبسوا عليهم دينهم ، وصنف جهال وضعوا الأحاديث احتسابا بزعمهم ترغيبا للناس فى الأعمال الصالحة وقد اغتر الناس بهم لأنهم من أهل الزهد والعبادة فتقبلوا موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا إليهم . ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها وفضح واضعيها . وقد يصنع الواضع كلاما من عند نفسه فيرويه عن النبى (ﷺ) وربما أخذ كلاما . لبعض الحكماء أو غيرهم فينسبه إلى رسول الله (ﷺ) وربما غلط غالط فوقع فى شبه الوضع من غير تعمد كما وقع لثابت بن موسى الزاهد فى حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » .

وصنف أرادوا ترغيب الناس فى قراءة القرآن فوضعوا أحاديث فى فضائل سُوَره ، وقد روى الحفاظ عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم أنه قيل له من أين لك الأحاديث التى ترويها عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى (ﷺ) فى فضائل القرآن سورة سورة فقال إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد ابن إسحق ، فوضعت هذه الأحاديث حِسْبة .

وهكذا حال الحديث الطويل الذى يروى عن أُبَى بن كعب عن النبى (ﷺ) فى فضل القرآن سورة فسورة . بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه ، وأن أثر الوضع بين عليه ، ولقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى إيداعه تفاسيرهم .

الرسالة التاسعة :

الوضوء والغسل والصلاة

الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى (محمد بن صالح العثيمين) : هذه رسالة صغيرة فى الوضوء والغسل والصلاة على حسب ماجاء فى الكتاب والسنة .

الوضوء

الوضوء طهارة واجبة من الحدث الأصغر كالبول والغائط والريح والنوم العميق وأكل لحم الإبل .

وكيفية الوضوء :

١- أن ينوى الوضوء بقلبه بدون نطق بالنية لأن النبى ﷺ لم ينطق بالنية فى وضوئه ولا صلاته ولاشىء من عباداته ولأن اللهّ يعلم ما فى القلب فلا حاجة أن يخبر عما فيه .

٢- ثم يسمى فيقول : بسم الله .

٣- ثم يغسل كفيه ثلاث مرات .

٤- ثم يتمضمض ويستنشق بالماء ثلاث مرات .

٥- ثم يغسل وجهه ثلاث مرات من الأذن إلى الأذن عرضاً ومن منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحية طولا .

٦- ثم يغسل يديه ثلاث مرات من رءوس الأصابع إلى المرفقين يبدأ باليمنى ثم اليسرى .

٧- ثم يمسح رأسه مرة واحدة يبل يديه ثم يمرها من مقدم رأسه إلى مؤخره ثم يعود إلى مقدمه .

٨ - ثم يمسح أذنيه مرة واحدة يدخل سبابتيه فى صماخهما ويمسح بإبهاميه ظاهرهما .

٩- ثم يغسل رجليه ثلاث مرات من رءوس الأصابع إلى الكعبين يبدأ باليمنى ثم اليسرى .

الغسل

الغسل : طهارة واجبة من الحدث الأكبر كالجنابة والحيض وكيفية الغسل :

١- أن ينوى الغسل بقلبه بدون نطق بالنية .

٢- ثم يسمى فيقول : بسم الله .

٣- ثم يتوضأ وضوءاً كاملا .

٤- ثم يحثى الماء على رأسه فإذا أرواه أفاض عليه ثلاث مرات .

٥- ثم يغسل سائر بدنه .

التيمم

التيمم طهارة واجبة بالتراب بدلا عن الوضوء والغسل لمن لم يجد الماء أوتضرر باستعماله . وكيفية التيمم أن ينويه عما تيمم عنه من وضوء أوغسل ثم يضرب الأرض أو مايتصل بها من الجدران ويمسح وجهه وكفيه .

الصلاة

الصلاة : عبادة ذات أقوال وأفعال أولها التكبير وآخرها التسليم .

وإذا أراد الصلاة فإنه يجب عليه أن يتوضأ إن كان عليه حدث أصغر أويغتسل إن كان عليه حدث أكبر أويتيمم إن لم يجد الماء أوتضرر باستعماله وينظف بدنه وثوبه ومكان صلاته من النجاسة .

وكيفية الصلاة :

١- أن يستقبل القبلة بجميع بدنه بدون انحراف ولا التفات .

٢- ثم ينوى الصلاة التى يريد أن يصليها بقلبه بدون نطق بالنية .

٣- ثم يكبر تكبيرة الإحرام فيقول : الله أكبر ويرفع يديه إلى حذو منكبيه عند التكبير

٤- ثم يضع كف يده اليمنى على ظهر كف يده اليسرى فوق صدره .

٥- ثم يستفتح فيقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من خطاياى كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد .

أو يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك .

٦- ثم يتعوذ فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٧- ثم يبسمل ويقرأ الفاتحة فيقول : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . ثم يقول آمين يعنى اللهم استجب .

٨- ثم يقرأ ماتيسر من القرآن . ويطيل القراءة فى صلاة الصبح .

٩- ثم يركع أى يحنى ظهره تعظيما لله ويكبر عند ركوعه ويرفع يديه إلى حذو منكبيه والسنة أن يهصر ظهره ويجعل رأسه حياله ويضع يديه على ركبتيه مُفَرَّجَتى الأصابع .

١٠- ويقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وإن زاد سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى فحسن .

١١- ثم يرفع رأسه من الركوع قائلاً : سَمِعَ الله لمن حمده ويرفع يديه حينئذ إلى حذو منكبيه .

والمأموم لايقول سمع الله لمن حمده وإنما يقول بدلها : ربنا ولك الحمد .

١٢- ثم يقول بعد رفعه . ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشِئْتَ من شىء بعد .

١٣- ثم يسجد خشوعا لله السجدة الأولى ويقول عند سجوده الله أكبر ويسجد على

أعضائه السبعة الجبهة مع الأنف والكفين والركبتين وأطراف القدمين ويجافى عضديه عن جنبيه ولا يبسط ذراعيه على الأرض ويستقبل برءوس أصابعه القبلة .

١٤- ويقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وإن زاد سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى فحسن .

١٥- ثم يرفع رأسه من السجود قائلاً : الله أكبر .

١٦- ثم يجلس بين السجدتين على قدمه اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يده اليمنى على طرف فخذه الأيمن مما يلى ركبته ويقبض منها الخنصر والبنصر ويرفع السبابة ويحركها عند دعائه ويجعل طرف الإبهام مقرونا بطرف الوسطى كالحلقة ويضع يده اليسرى مبسوطة الأصابع على طرف فخذه الأيسر مما يلى الركبة .

١٧- ويقول فى جلوسه بين السجدتين : رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى واجبرنى وعافنى .

١٨ - ثم يسجد خشوعًا منه السجدة الثانية كالأولى فيما يقال ويفعل ويكبر عند سجوده .

١٩ - ثم يقوم من السجدة الثانية قائلا :الله أكبر ويصلى الركعة الثانية كالأولى فيما يقال ويفعل إلا أنه لا يستفتح فيها .

٢٠- ثم يجلس بعد انتهاء الركعة الثانية قائلاً : الله أكبر ويجلس كما جلس بين السجدتين سواء .

٢١- ويقرأ التشهد فى هذا الجلوس فيقول : «التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» . أعوذ بالله من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

ثم يدعو ربه بما أحب من خير الدنيا والآخرة .

٢٢- ثم يسلم عن يمينه قائلاً : السلام عليكم ورحمة الله . وعن يساره كذلك .

٢٣ - وإذا كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية وقف عند منتهى التشهد الأول وهو : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

٢٤- ثم ينهض قائماً قائلاً : الله أكبر ويرفع يديه إلى حذو منكبيه حينئذ .

٢٥- ثم يصلى مابقى من صلاته على صفة الركعة الثانية إلا أنه يقتصر على قراءة الفاتحة .

٢٦- ثم يجلس متوركا فينصب قدمه اليمنى ويخرج قدمه اليسرى من تحت ساق اليمنى ويمكن مقعدته من الأرض ويضع يديه على فخذيه على صفة وضعهما فى التشهد الأول .

٢٧- ويقرأ فى هذا الجلوس التشهد كله .

٢٨- ثم يسلم عن يمينه قائلاً :السلام عليكم ورحمة الله وعن يساره كذلك .

اشياء مكروهة فى الصلاة

١- يُكره فى الصلاة الالتفات بالرأس أو بالبصر فأما رفع البصر إلى السماء فحرام.

٢- ويُكره فى الصلاة العبث والحركة لغير حاجة .

٣- ويُكره فى الصلاة استصحاب مايشغل كالشىء الثقيل والملون بما يلفت النظر .

٤- ويُكره فى الصلاة التخصر وهو وضع اليد على الخاصرة .

اشياء مبطلة للصلاة

١- تبطل الصلاة بالكلام عمداً وإن كان يسيراً .

- وتبطل الصلاة بالانحراف عن القبلة بجميع البدن .

٣- وتبطل الصلاة بخروج الريح من دبره وبجميع ما يوجب الوضوء أوالغسل.

٤- وتبطل الصلاة بالحركات الكثيرة المتوالية لغير ضرورة .

٥- وتبطل الصلاة بالضحك وإن كان يسيرًا .

٦- وتبطل الصلاة إذا زاد فيها ركوعًا أو سجودًا أو قيامًا أوقعودًا متعمدًا ذلك .

٧- وتبطل الصلاة بمسابقة الإمام عمدًا .

اشياء من احكام سجود السهو فى الصلاة

١- إذا سها فى صلاته فزاد فيها ركوعًا أو سجودًا أو قيامًا أو قعودًا فإنه يسلم منها ثم يسجد للسهو سجدتين ويسلم أيضا : مثاله إذا كان يصلى الظهر فقام إلى ركعة خامسة ثم ذَكَر أو ذُكّر فإنه يرجع بدون تكبير ويجلس فيقرأ التشهد الأخير ويسلم ثم يسجد سجدتين ويسلم وكذلك لو لم يعلم بالزيادة إلا بعد فراغه منها فإنه يسجد للسهو سجدتين ويسلم .

٢- إذا سلم قبل تمام صلاته ناسيًا ثم ذكر أو ذكر فى وقت قريب بحيث يبنى آخر الصلاة على أولها فإنه يتم مابقى من صلاته ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ويسلم .مثاله : إذا كان يصلى الظهر فسها فسلم فى الركعة الثالثة ثم ذَكَر أو ذُكّر فإنه يأتى بالرابعة ويسلم ثم يسجد سجدتين ويسلم فإن لم يذكر إلا بعد زمن طويل فإنه يعيد الصلاة من أولها .

٣- إذا ترك التشهد الأول أو غيره من واجبات الصلاة نسيانا فإنه يسجد سجدتين للسهو قبل السلام ولا شىء عليه فإن ذكره قبل مفارقة محله أتى به ولا شىء عليه وإن ذكره بعد مفارقة محله وقبل وصوله إلى مايليه رجع إليه فأتى به مثاله : إذا نسى التشهد الأول فقام إلى الثالثة حتى استتم قائمًا فإنه لايرجع ويسجد للسهو سجدتين قبل السلام وإن جلس للتشهد ونسى أن يتشهد ثم ذكر قبل أن يقوم فإنه يتشهد ويُكّمل الصلاة ولا شىء عليه وكذلك لوقام ولم يجلس وذكر قبل أن يستتم قائمًا فإنه يرجع ويتشهد ويكمل الصلاة لكن ذكر أهل العلم أنه يسجد للسهو سجدتين من أجل النهوض الذى زاده فى صلاته والله أعلم .

٤- إذا شك فى صلاته هل صلى ركعتين أو ثلاثا ولم يترجح عنده أحد الطرفين ؟ فإنه يبنى على اليقين وهو الأقل ثم يسجد سجدتين للسهو قبل السلام ويسلم .

مثاله : إذا كان يصلى الظهر فشك فى الركعة الثانية هل هى الثانية أو الثالثة ولم يترجح عنده أحدهما ؟ فليجعلها الثانية وليكمل عليهاثم يسجد قبل السلام سجدتين ويسلم.

٥- إذا شك فى صلاته هل صلى ركعتين أو ثلاثا وترجح عنده أحد الطرفين فإنه يبنى على ماترجح عنده سواء كان الأقل أم الأكثر ويسجد للسهو سجدتين بعد السلام ويسلم مثاله : إذا كان يصلى الظهر فشك فى الركعة الثانية هل هى الثانية أو الثالثة ؟ وترجح عنده أنها الثالثة فليجعلها الثالثة وليكمل عليها ويسلم ثم يسجد للسهو سجدتين ويسلم .

وإذا كان الشك بعد فراغه من الصلاة فإنه لايلتفت إليه إلا أن يتيقن .

وإذا كان كثير الشكوك فإنه لا يلتفت إلى الشك لأنه من الوسواس .

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

كيف يتطهر المريض ؟

١- يجب على المريض أن يتطهر بالماء فيتوضأ من الحدث الأصغر ويغتسل من الحدث الأكبر .

٢- فإن كان لايستطع الطهارة بالماء لعجزه أو خوف زيادة المرض أو تأخر بُرئه فإنه يتيمم .

٣- كيفية التيمم أن يضرب الأرض الطاهرة بيديه ضربة واحدة يمسح بهما جميع وجهه ثم يمسح كفيه بعضهما ببعض .

٤- فإن لم يستطيع أن يتطهر بنفسه فإنه يوضئه أو يُيممه شخص آخر .

٥- إذا كان فى بعض أعضاء الطهارة جرح فإنه يغسله بالماء فإن كان الغسل بالماء يؤثر عليه مسحه مسحًا فَيَبل يده بالماء ويمرها عليه ، فإن كان المسح يؤثر عليه أيضًا فإنه يتيمم عنه .

٦- إذا كان فى بعض أعضائه كسر مشدود عليه خرقة أوجبس فإنه يمسح عليه بالماء بدلا عن غسله ولا يحتاج للتيمم لأن المسح بدل عن الغسل .

٧- يجوز أن يتيمم على الجدار أوعلى شىء آخر طاهر له غبار فإن كان الجدار ممسوحًا بشىء من غير جنس الأرض كالبوية فلا يتيمم عليه إلا أن يكون له غبار .

٨ - إذا لم يمكن التيمم على الأرض أوالجدار أوشىء آخر له غبار فلا بأس أن يوضع تراب فى إناء أومنديل يتيمم منه .

٩- إذا تيمم لصلاة وبقى على طهارته إلى وقت الصلاة الأخرى فإنه يصليها بالتيمم الأول ولايعيد التيمم للصلاة الثانية لأنه لم يزل على طهارته ولم يجد مايبطلها .

١- يجب على المريض أن يطهر بدنه من النجاسات فإن كان لايستطيع صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه

١١- يجب على المريض أن يصلى بثياب طاهرة فإن تنجست ثيابه وجب غلسها أوإبدالها بثياب طاهرة فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه .

١٢- يجب على المريض أن يصلى على شىء طاهر فإن تنجس مكانه وجب غسله أو إبداله بشىء طاهر أو يفرش عليه شيئًا طاهراً فإن لم يمكن صلى على حاله وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه .

١٣- لايجوز للمريض أن يؤخرالصلاة عن وقتها من أجل العجز عن الطهارة بل يتطهر بقدر مايمكنه ثم يصلى الصلاة فى وقتها ولوكان على بدنه وثوبه أو مكانه نجاسة يعجز عنها .

كيف يصلى المريض ؟

١- يجب على المريض أن يصلى الفريضة قائما ولو منحنيا أو معتمدًا على جدار أو عصا يحتاج إلى الاعتماد عليه .

٢- فإن كان لايستطيع القيام صلى جالسًا والأفضل أن يكون متربعا فى موضع القيام والركوع

٣- فإن كان لايستطيع الصلاة جالسًا صلى على جنبه متوجها إلى القبلة والجنب الأيمن أفضل فإن لم يتمكن من التوجه إلى القبلة صلى حيث كان اتجاهه وصلاته صحيحة ، ولا إعادة عليه .

٤- فإن كان لايستطيع الصلاة على جنبه صلى مستلقيا رجلاه إلى القبلة فإن لم يستطع أن تكون رجلاه إلى القبلة ... والأفضل أن يرفع رأسه قليلا ليتجه إلى القبلة فإن لم يستطع أن تكون رجلاه إلى القبلة صلى حيث كانت ولا إعادة عليه .

٥- يجب على المريض أن يركع ويسجد فى صلاته فإن لم يستطع أومأ بهما برأسه ويجعل السجود أخفض من الركوع فإن استطاع الركوع دون السجود ركع حال الركوع وأومأ بالسجود ، وإن استطاع السجود دون الركوع سجد حال السجود ، وأومأ بالركوع .

٦- فإن كان لايستطيع الإيماء برأسه فى الركوع والسجود أشار بعينيه فيغمض قليلا للركوع ويغمض تغميضًا أكثر للسجود . وأما الإشارة بالإصبع كما يفعله بعض المرضى فليس بصحيح ولا أعلم له أصلا من الكتاب والسنة ولا من أقوال أهل العلم .

٧- فإن كان لايستطيع الإيماء بالرأس ولا الإشارة بالعين صلى بقلبه فيكبر ويقرأ وينوى الركوع والسجود والقيام والقعود بقلبه ولكل امرئ مانوى .

٨- يجب على المريض أن يصلى كل صلاة فى وقتها ويفعل كل مايقدر عليه مما يجب فيها فإن شقَّ عليه فعل كل صلاة فى وقتها فله الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء إما جمع تقديم بحيث يقدم العصر إلى الظهر والعشاء إلى المغرب وإما جمع تأخير بحيث يؤخر الظهر إلى العصر والمغرب إلى العشاء حسبما يكون أيسر له . أما الفجر فلا تجمع لما قبلها ولا لما بعدها .

٩- إذا كان المريض مسافرا يعالج فى غير بلده فإنه يقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ركعتين حتى يرجع إلى بلده سواء طالت مدة سفره أم قصرت .

والله الموفق . كتبه الفقير إلى الله : محمد الصالح العثيمين .

فى ٩ / ١ / ١٤٠٣ هـ .

الرسالة العاشرة:

تجهيز الميت والصلاة عليه

الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

تجهيز الميت

١- إذا تيقن موته أُغمِضَت عيناه وشُدَّ لحياه .

٢- عند غسيل الميت : تستر عورته . ثم يرفع قليلا ويعصر بطنه عصرًا رقيقًا يلف الغاسل على يده خرقة أو نحوها فينجيه بها . ثم يغسل شقه الأيمن ثم الأيسر ثم يغسله كذلك مرة ثانية وثالثة يمر في كل مرة يده على بطنه فإن خرج منه شيء غسله وسد المحل بقطن فإن لم يستمسك فَبطين حَر أو بوسائل الطب الحديثة كاللزق ونحوه ، ويعيد وضوءه . وإن لم ينق بثلاث زيد إلى خمس أو إلى سبع ثم ينشفه بثوب ويجعل الطيب في مغابنه ومواضع سجوده . وإن طيبه كله كان حسنًا ، ويجمر أكفانه بالطيب ، وإن كان شاربه أو أظافره طويلة أخذ منها ولا يسرح شعره . والمرأة يضفر شعرها ثلاثة قرون ويسدل من ورائها .

٣- تكفين الميت : يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة . يُدَرج فيها إدراجًا . وإن كفن في قميص وإزار ولفافة فلا بأس ، والمرأة تكفن في خمسة أثواب في درع ومقنعة وإزار ولفافتين ويكفن الصبي في ثوب واحد إلى ثلاثة أثواب والصغيرة في قميص ولفافتين .

٤- أحق الناس بغسله والصلاة عليه ودفنه وصيه في ذلك . ثم الأب ثم الجد ثم الأقرب فالأقرب من العصبات والأولى بغسل المرأة وصيتها . ثم الأم ثم الجدة ثم الأقرب فالأقرب من نسائها وللزوج ولزوجته أن يغسل أحدهما الآخر .

٥- صفة الصلاة على الميت : يكبر ويقرأ الفاتحة وإن قرأ معها سورة قصيرة أو آية أو آيتين فحسن للحديث الوارد في ذلك . ثم يكبر ويصلي على النبي (ﷺ) .

ثم يكبر ويقول : (اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا ، وأنثانا ، إنك تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل شيء قدير . اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفَّه على الإيمان . اللهم اغفر له وارحمه وعافِه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسِلْه بالماء والثلج والبَرَد ونقِّهِ من الخطايا كما ينقى

الثوب الأبيض من الدنس . وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله . وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار . وأفسح له فى قبره ونور له فيه) .

ثم يكبر ويسلم تسليمة واحدة عن يمينه . ويرفع يديه مع كل تكبيرة .

وإذا كان الميت امرأة يقال : (اللهم اغفر لها إلخ) .

وإذا كان فَرطًا يقال بدل الدعاء له بالمغفرة : (اللهم اجعله فرطًا وذخرًا لوالديه وشفيعًا مجابًا اللهم ثقل به موازينهما وأعظم به أجورهما وألحقه بصالح المؤمنين واجعله فى كفالة إبراهيم وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم) .

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

علامات حسن الخاتمة نقلا عن أحكام الجنائز للشيخ العلامة الألبانى باختصار [1]

١- النطق بالشهادة عند الموت .	٢- الموت برشح الجبين وهو عرق الجبين عند الموت .
٣- الموت ليلة الجمعة أونهارها .	٤- الإستشهاد فى ساعة القتال .
٥- الموت غازيا فى سبيل الله .	٦- الموت بالطاعون .
٧- الموت بداء البطن .	٨ ، ٩- الموت بالغرق والهدم .
١٠- موت المرأة فى نفاسها بسبب ولدها .	١١ ، ١٢- الموت بالحرق وذات الجنب [2] .
١٣- الموت بداء السل .	١٤- الموت فى سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه .
١٥ ، ١٦ - الموت فى سبيل الدفاع عن الدين والنفس .	١٧ - الموت مرابطا فى سبيل الله .
١٨ - الموت على عمل صالح .	١٩ - من قتله الإمام الجائر لأنه قام إليه .

(١) رأينا لتمام الفائدة نقل هذه العلامات . ونسأل الله أن يُحسن ختامنا جميعًا .

(٢) هى ورم حار يعرض فى الغشاء المستبطن للأضلاع

الرسالة الحادية عشرة:

أحكام الصيام والتراويح والزكاة

بقلم

فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد : فإنه بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك فإننا نقدم إلى إخواننا المسلمين الفصول التالية سائلين اللهَّ تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لله موافقاً لشريعته نافعاً لخلقه إنه جواد كريم :

الفصل الأول : فى حُكْم الصيام

الفصل الثاني : فى حِكَمه وفوائده

الفصل الثالث : فى حُكم صيام المريض والمسافر

الفصل الرابع : فى مفسدات الصوم وهى المفطرات

الفصل الخامس : فى التراويح

الفصل السادس : فى الزكاة وفوائدها

الفصل السابع : فى أهل الزكاة

الفصل الثامن : فى زكاة الفطر

الفصل الأول فى حكم الصيام

صيام رمضان فريضة ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ،شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أوعلى سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾.[البقرة / ١٨٣ .. / ١٨٥]

وقال النبى ﷺ : (بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) متفق عليه ، وفى رواية لمسلم (وصوم رمضان وحج البيت) . [رواه البخارى ومسلم]

وأجمع المسلمون على فريضة صوم رمضان فمن أنكر فريضة صوم رمضان فهو مرتد كافر يستتاب فإن تاب وأقر بفريضته فذاك وإلا قُتل كافراً .

وفرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات .والصوم فريضة على كل مسلم بالغ عاقل .

فلا يجب الصوم على الكافر ولايقبل منه حتى يسلم ولا يجب الصوم على الصغير حتى يبلغ ويحصل بلوغه بتمام خمس عشرة سنة أونبات عانته أو نزول المنى منه بالاحتلام أوغيره وتزيد الأنثى بالحيض ، فمتى حصل للصغير أحد هذه الأشياء فقد بلغ لكن يؤمرالصغير بالصوم إذا أطاق بلا ضرر عليه ليعتاده ويألفه . ولا يجب الصوم على فاقد العقل بجنون أوتغير دماغ أونحوه وعلى هذا فإذا كان الإنسان كبيراً يهذى ولايميز فلا صيام عليه ولا إطعام .

« الفصل الثانى فى حِكَم الصيام وفوائده »

من أسماء الله تعالى (الحكيم) والحكيم من اتصف بالحكمة والحكمة إتقان الأمور ووضعها فى مواضعها ومقتضى هذا الاسم من أسمائه تعالى أن كل ماخلقه الله تعالى أو شرعه فهو لحكمة بالغة علمها من علمها وجهلها من جهلها .

والصيام الذى شرعه الله وفرضه على عباده حكم عظيمة وفوائد جمة : فمن حكم الصيام أنه عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه بترك محبوباته المجبول على محبتها من طعام وشراب ونكاح ، لينال بذلك رضا ربه والفوز بدار كرامته فيتبين بذلك إيثاره لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه وللدار الآخرة على الدار الدنيا . ومن حكم الصيام أنه سبب للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة / ١٨٣] فالصائم مأمور بتقوى الله عز وجل وهى امتثال أمره واجتناب نهيه وذلك هو المقصود الأعظم بالصيام وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح قال النبـــى ﷺ : (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) [رواه البخارى]، قول الزور : كل محرم من الكذب والغيبة والشتم وغيرها من الأعمال المحرمة. والعمل بالزور : العمل بكل فِعل محرم من العدوان على الناس بخيانة وغش وضرب الأبدان وأخذ الأموال ونحوها ويدخل فيه الاستماع إلى مايحرم الاستماع إليه من الأغانى المحرمة والمعازف وهى آلات اللهو .والجهل : هو السفه وهو مجانبة الرشد فى القول والعمل ، فإذا تمشى الصائم بمقتضى هذه الآية والحديث كان الصيام تربية نفسه وتهذيب أخلاقه واستقامة سلوكه ولم يخرج شهر رمضان إلا وقد تأثر تأثرًا بالغًا يظهر فى نفسه وأخلاقه وسلوكه . ومن حكم الصيام أن الغنى يعرف قدر نعمة الله عليه بالغنى حيث أن الله تعالى قد يسر له الحصول على مايشتهى من طعام وشراب ونكاح مما أباح الله له شرعًا ويسره له قدرًا ، فيشكر ربه على هذه النعمة ، ويذكر أخاه الفقير الذى لايتيسر له الحصول على ذلك فيجود عليه بالصدقة والإحسان . ومن حكم الصيام التمرن على ضبط النفس والسيطرة عليها حتى يتمكن من قيادتها لما فيه خيرها وسعادتها فى الدنيا والآخرة ويبتعد عن أن يكون إنسانًا بهيميًا لايتمكن من منع نفسه

عن لذاتها وشهواتها لما فيه مصلحتها . ومن حكم الصيام مايحصل من الفوائد الصحية الناتجة عن تقليل الطعام وإراحة الجهاز الهضمى لفترة معينة وترسب بعض الفضلات والرطوبات الضارة بالجسم وغير ذلك .

« الفصل الثالث فى حكم صيام المريض والمسافر »

قال الله تعالى : ﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة / ١٨٥] والمريض على قسمين : أحدهما من كان مرضه لازمًا مستمرًا لا يرجى زواله كالسرطان فلا يلزمه الصوم لأنه ليس له حال يرجى فيها أن يقدر عليه ولكن يطعم عن صيام كل يوم مسكينًا إما بأن يجمع مساكين بعدد الأيام فيُعشّيهم أو يُغدّيهم كما كان أنس بن مالك رضى الله عنه يفعله حين كبر ، وإما بأن يفرق طعامًا على مساكين بعدد الأيام لكل مسكين ربع صاع نبوى ، أى مايزن نصف كيلو وعشرة جرامات من البر الجيد ويحسن أن يجعل معه ما يأدمه من لحم أودهن ، مثل ذلك الكبير العاجز عن الصوم فيطعم عن كل يوم مسكينًا .

الثانى : من كان مرضه طارئًا غير ميؤوس من زواله كالحمى وشبهها وله ثلاث حالات:

الحال الأولى : أن لايَشُقّ عليه الصوم ولايضره فيجب عليه الصوم لأنه لاعذر له .

الحال الثانية : أن يشق عليه الصوم ولايضره فيكره له الصوم لما فيه من العدول عن رخصة الله تعالى مع الإشقاق على نفسه .

الحال الثالثة : أن يضره الصوم فيحرم عليه أن يصوم لما فيه من جلب الضرر على نفسه وقد قال تعالى : ﴿ ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [النساء / ٢٩] وقال : ﴿ ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [البقرة / ١٩٥] وفى الحديث عن النبى ﷺ قال : (لاضرر ولاضرار) [أخرجه ابن ماجة والحاكم] ، قال النووى وله طرق يقوى بعضها بعضًا[1] ويعرف ضرر الصوم على المريض إما بإحساسه بالضرر وإما بخبر طبيب موثوق به . ومتى أفطر المريض فى هذا القسم فإنه يقضى عدد

(١) فى الأربعين حديث رقم (٣٢) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيحته (برقم ٢٥٠)

الأيام التى أفطرها إذا عوفى، فإن مات قبل معافاته سقط عنه القضاء لأن فرضه أن يصوم عدة من أيام أخر ولم يدركها .

والمسافر على قسمين : أحدهما من يقصد بسفره التحيل على الفطر ، فلا يجوز له الفطر لأن التحيل على فرائض الله لايُسقطها .

الثاني : من لايقصد ذلك فله ثلاث حالات :

الحال الأولى : أن يشق عليه الصوم مشقة شديدة فيحرم عليه أن يصوم لأن النبى ﷺ (كان فى غزوة الفتح صائمًا فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام وأنهم ينظرون فيما فعل فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشربه والناس ينظرون فقيل له : إن بعض الناس قد صاموا فقال : أولئك العصاة أولئك العصاة) [رواه مسلم].

الحال الثانية : أن يشق عليه الصوم مشقة غير شديدة فيكره له الصوم لما فيه من العدول عن رخصة الله تعالى مع الإشقاق على نفسه .

الحال الثالثة : أن لايشق عليه الصوم فيفعل الأيسر عليه من الصوم والفطر لقوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة / ١٨٥] والإرادة هنا بمعنى المحبة . فإن تساويا فالصوم أفضل لأنه فعل النبى ﷺ

كما فى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال (خرجنا مع النبى ﷺ فى رمضان فى حر شديد حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة) .

والمسافر على سفر من حين يخرج من بلده حتى يرجع إليها ولو أقام فى البلد التى سافر إليها مدة فهو على سفر مادام على نية أنه لن يقيم فيها بعد انتهاء غرضه الذى سافر إليها من أجله فيترخص برخص السفر ولو طالت مدة إقامته لأنه لم يرد عن النبى ﷺ تحديد مدة ينقطع بها السفر والأصل بقاء السفر وثبوت أحكامه حتى يقوم دليل على انقطاعه أو انتفاء أحكامه .

ولا فرق فى السفر الذى يترخص فيه بين السفر العارض كحج وعمرة وزيارة قريب

وتجارة ونحوه وبين السفر المستمر كسفر أصحاب سيارات الأجرة (التكاسى) أوغيرها من السيارات الكبيرة فإنهم متى خرجوا من بلدهم فهم مسافرون يجوز لهم مايجوز للمسافرين الآخرين من الفطر فى رمضان وقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين ، والجمع عند الحاجة إليه بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، والفطر أفضل لهم من الصيام إذا كان أسهل لهم ويقضونه فى أيام الشتاء ، لأن أصحاب هذه السيارات لهم بلد ينتمون إليها فمتى كانوا فى بلدهم فهم مقيمون لهم ما للمقيمين وعليهم ماعليهم ومتى سافروا فهم مسافرون لهم ماللمسافرين وعليهم ماعلى المسافرين .

« الفصل الرابع فى مفسدات الصوم وهى المفطرات »

مفسدات الصوم سبعة : أحدها : الجماع وهو إيلاج الذكر فى الفرج فمتى جامع الصائم فَسَدَ صومه ، ثم إن كان فى نهار رمضان والصوم واجب عليه لزمته الكفارة المغلظة لفحش فعله وهى عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا فإن كان الصوم غير واجب عليه كالمسافر يجامع زوجته وهو صائم فعليه القضاء دون الكفارة .

الثانى : إنزال المنى بمباشرة أوتقبيل أوضم أونحوها فإن قَبَّل ولم يُنْزِل فلا شىء عليه.

الثالث : الأكل والشرب وهو إيصال الطعام أوالشراب إلى الجوف سواء كان عن طريق الفم أم عن طريق الأنف ، أيًا كان نوع المطعوم أو المشروب ولا يجوز للصائم أن يستنشق دخان البخور بحيث يصل إلى جوفه لأن الدخان جرم وأما شم الروائح الطيبة فلا بأس به .

الرابع : ماكان بمعنى الأكل أوالشرب مثل الإبر المغذية التى يستغنى بها عن الأكل والشرب ، فأما غير المغذية فلا تفطر سواء كانت عن طريق العرق أوالعضل

الخامس : إخراج الدم بالحجامة وعلى قياسه إخراجه بالفصد ونحوه مما يؤثر على البدن كتأثير الحجامة ، فأما إخراج الدم اليسير للفحص ونحوه فلا يفطر لأنه لايؤثر على البدن من الضعف تأثير الحجامة .

السادس : التقيؤ عمدًا ، وهو إخراج مافى المعدة من طعام أوشراب .

السابع : خروج دم الحيض والنفاس .

وهذه المفسدات لاتفطر الصائم إلا بثلاثة شروط :

أحدها : أن يكون عالمًا بالحكم وعالمًا بالوقت .

الثانى : أن يكون ذاكرًا .

الثالث : أن يكون مختارًا .

فلو احتجم يظن أن الحجامة لاتفطر فصومه صحيح لأنه جاهل بالحكم وقد قال الله تعالى : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب / ٥] وقال الله تعالى ﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة / ٢٨٦] فقال الله قد فعلت ، وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم رضى الله عنه أنه جعل عقالين أسود وأبيض تحت وسادته فجعل يأكل وينظر إليهما فلما تبين أحدهما من الآخر ، أمسك عن الأكل يظن أن ذلك معنى قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ [البقرة / ١٨٧]

ثم أخبر النبى ﷺ ، فقال له ﷺ (إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل) ، ولم يأمره بالإعادة . ولو أكل يظن أن الفجر لم يطلع أو أن الشمس قد غربت ثم تبين خلاف ظنه فصومه صحيح ، لأنه جاهل بالوقت ، وفى [صحيح البخارى] عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : أفطرنا فى عهد النبى ﷺ فى يوم غيم ثم طلعت الشمس ، ولو كان القضاء واجبًا لبينه ﷺ لأن الله أكمل به الدين ولو بينه النبى ﷺ لنقله الصحابة لأن الله تكفل بحفظ الدين ، فلما لم ينقله الصحابة علمنا أن النبى ﷺ لم يقله ، ولما لم يقله علمنا أنه ليس بواجب ولأنه مما توفر الدواعى على نقله لأهميته فلا يمكن إغفاله . ولو أكل ناسيًا أنه صائم لم يفطر ، لقول النبى ﷺ : (من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) [متفق عليه] . ولو أكره على الأكل أو تمضمض فتهرب الماء إلى بطنه أوقطر فى عينه فتهرب طعم القطور إلى جوفه أو احتلم فأنزل منيا فصومه صحيح فى ذلك كله لأنه بغير اختياره .

ولا يفطر الصائم بالسواك بل هو سنة له ولغيره فى كل وقت فى أول النهار وآخره ويجوز للصائم أن يفعل ما يخفف عنه شدة الحر والعطش كالتبرد بالماء ونحوه فإن النبى ﷺ (كان يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش) وَبَلَّ ابن عمر رضى الله عنهما ثوبًا فألقاه على نفسه وهو صائم ، وهذا من اليسر الذى كان الله يريده بنا ولله الحمد والمنة على نعمته وتيسيره .

« الفصل الخامس فى التراويح »

التراويح : قيام الليل جماعة فى رمضان ووقتها من بعد العشاء إلى طلوع الفجر ، وقد رغّبَ النبى ﷺ فى قيام رمضان حيث قال : (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه) . وفى [صحيح البخارى] عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ (قام ذات ليلة فى المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم فلما أصبح قال : قد رأيت الذى صنعتم فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم) وذلك فى رمضان .

والسُّنة أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ، لأن عائشة رضى الله عنها سئلت كيف كانت صلاة النبى ﷺ فى رمضان فقالت : (ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة) [متفق عليه] وفى [الموطأ] عن محمد ابن يوسف (وهو ثقة ثبت) عن السائب بن يزيد (وهو صحابى) أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أمر أبى بن كعب وتميمًا الدارى أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة .

وإن زاد على إحدى عشرة ركعة فلا حرج لأن النبى ﷺ سئل عن قيام الليل فقال : (مثنى مثنى فإذا خشى أحدهم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى) [أخرجاه فى الصحيحين] ، لكن المحافظة على العدد الذى جاءت به السنة مع التأنى والتطويل الذى لايشق على الناس أفضل وأكمل .

وأما مايفعله بعض الناس من الإسراع المفرط فإنه خلاف المشروع ، فإن أدى إلى الإخلال بواجب أو ركن كان مبطلاً للصلاة .

وكثير من الأئمة لا يتأنى فى صلاة التراويح وهذا خطأ منهم فإن الإمام لايصلى لنفسه فقط ، وإنما يصلى لنفسه ولغيره ، فهو كالولى يجب عليه فعل الأصلح . وقد ذكر أهل العلم أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل مايجب .

وينبغى للناس أن يحرصوا على إقامة هذه التراويح ، وأن لايضيعوها بالذهاب من مسجد إلى مسجد ، فإن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة وإن نام بعد على فراشه .

ولا بأس بحضور النساء صلاة التروايح إذا أمنت الفتنة ، بشرط أن يخرجن محتشمات غير متبرجات بزينة ولا متطيبات .

[من أقوال النبى ﷺ فى الترغيب فى الصيام]

رأيت من المناسب هنا أن أسوق بعض ماصح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى فضل الصيام والترغيب فيه [عماد بن صابر] .

١ - « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » [متفق عليه] .

٢ - رمضان شهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب السعير ، وتُصَفَّدُ فيه الشياطين ، ويُنادى مناد كل ليلة يا باغى الخير هلم ، ويا باغى الشرّ أقصر » [صحيح رواه أحمد والنسائى وغيرهما . صحيح الجامع / ٣٥١٩]

٣ - « الصيام جُنَّة ، وهو حصن من حصون المؤمن ، وكل عملٍ لصاحبه إلا الصيام ، يقول الله : الصيام لى وأنا أجزى به » [حسن رواه الطبرانى صحيح الجامع / ٣٨٨١]

٤ - « عليك بالصوم ، فإنه لامثل له » [صحيح رواه أحمد والنسائى وغير هما . صحيح الجامع / ٤٠٤٤]

٥ - « من ختم له بصيام يوم دخل الجنة » [صحيح رواه أحمد والبزار . صحيح الجامع / ٦٢٢٤]

« الفصل السادس الزكاة وفوائدها »

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام وهى إحدى أركانه وأهمها بعد الشهادتين والصلاة ، وقد دل على وجوبها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين ، فمن أنكر وجوبها فهو كافر مرتد عن الإسلام يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، ومن بخل بها أوانتقص منها شيئًا فهو من الظالمين المستحقين لعقوبة الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ [آل عمران / ١٨٠] وفى [صحيح البخارى] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه « يعنى شدقيه » يقول أنا مالك أنا كنزك) الشجاع : ذكر الحيات ، والأقرع : الذى تمعط فروة رأسه لكثرة سمه ، وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون ﴾ [التوبة / ٣٥]. وفى [صحيح مسلم] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (ما من صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد) .

وللزكاة فوائد دينية وخلقية واجتماعية كثيرة ، نذكر منها مايأتى ، فمن فوائدها الدينية :

١- أنها قيام بركن من أركان الإسلام الذى عليه مدار سعادة العبد فى دنياه وأخراه .

٢ - أنها تقرب العبد إلى ربه وتزيد فى إيمانه ، شأنها فى ذلك شأن جميع الطاعات.

٣ - مايترتب على أدائها من الأجر العظيم قال الله تعالى : ﴿ يمحق الله الربا ويربى

الصدقات ﴾ [البقرة / ٢٧٦] وقال تعالى : ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضْعِفُون ﴾ [الروم / ٣٩] وقال النبى ﷺ (من تصدق بعدل تمرة أى بما يعادل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يأخذها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) رواه البخارى ومسلم ...

٤- أن الله يمحو بها الخطايا كما قال النبى ﷺ (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفىء الماء النار) والمراد بالصدقة هنا الزكاة وصدقة التطوع جميعًا ..

ومن فوائدها الخلقية :

١- أنها تلحق المزكى بركب الكرماء ذوى السماحة والسخاء .

٢- أن الزكاة تستوجب اتصاف المزكى بالرحمة والعطف على إخوانه المعدمين ، والراحمون يرحمهم الله .

٣- أنه من المشاهد أن بذل النفع المالى والبدنى للمسلمين يشرح الصدر ويبسط النفس ويوجب أن يكون الإنسان محبوبًا مكرمًا بحسب ما يبذل من النفع لإخوانه .

٤- إن فى الزكاة تطهيرًا لأخلاق باذلها من البخل والشح كما قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ . [التوبه / ١٠٣]

ومن فوائدها الاجتماعية :

١- أن فيها دفعًا لحاجة الفقراء الذين هم السواد الأعظم فى غالب البلاد .

٢- أن فى الزكاة تقوية للمسلمين ورفعًا من شأنهم ، ولذلك كان أحد جهات الزكاة الجهاد فى سبيل الله كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

٣- أن فيها إزالة للأحقاد والضغائن التى تكون فى صدور الفقراء والمعوزين ، فإن الفقراء إذا رأوا تمتع الأغنياء بالأموال وعدم انتفاعهم بشىء منها ، لابقليل ولا بكثير فربما يحملون عداوة وحقدًا على الأغنياء حيث لم يراعوا لهم حقوقًا ، ولم يدفعوا لهم

حاجة ، فإذا صرف الأغنياء لهم شيئًا من أموالهم على رأس كل حول زالت هذه الأمور وحصلت المودة والوئام .

٤ - أن فيها تنمية للأموال وتكثيرًا لبركتها ، كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : (ما نقصت صدقة من مال) أى إن نقصت الصدقة المال عدديًا فإنها لن تنقصه بركة وزيادة فى المستقبل بل يخلف الله بدلها ويبارك له فى ماله .

٥- أن له فيها توسعة وبسطًا للأموال فإن الأموال إذا صرف منها شىء اتسعت دائرتها وانتفع بها كثير من الناس ، بخلاف إذا كانت دولة بين الأغنياء لا يحصل الفقراء على شىء منها .

فهذه الفوائد كلها فى الزكاة تدل على أن الزكاة أمر ضرورى لإصلاح الفرد والمجتمع وسبحان الله العليم الحكيم .

والزكاة تجب فى أموال مخصوصة منها : الذهب والفضة بشرط بلوغ النصاب ، وهو فى الذهب أحد عشر جنيهًا سعوديًا وثلاثة أسباع الجنيه ، وفى الفضة ستة وخمسون ريالاً سعوديًا من الفضة أوما يعادلها من الأوراق النقدية ، والواجب فيها ربع العشر ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة نقودًا أم تبرًا أم حليًا ، وعلى هذا فتجب الزكاة فى حلى المرأة من الذهب والفضة إذا بلغ نصابًا ، ولو كانت تلبسه أوتعيره ، لعموم الأدلة الموجبة لزكاة الذهب والفضة بدون تفصيل ولأنه وردت أحاديث خاصة تدل على وجوب الزكاة فى الحلى وإن كان يلبس ، مثل ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن امرأة أتت النبى ﷺ وفى يد ابنتها مسكتان من ذهب فقال : (أتعطين زكاة هذا ؟ قالت : لا قال : أيسرُّك أن يسورك الله بهما سوارين من نار ، فألقتهما وقالت: هما لله ورسوله) قال فى « بلوغ المرام »: رواه الثلاثة وإسناده قوى ولأنه أحوط وما كان أحوط فهو أولى ، ومن الأموال التى تجب فيها الزكاة عروض التجارة وهى كل ماأعد للتجارة من عقار وسيارات ومواشى وأقمشة وغيرها من أصناف المال والواجب فيها ربع العشر فيقومها على رأس الحول بما تساوى ويخرج ربع عشره سواء كان أقل مما اشتراها به أم أكثر أم مساويًا ، فأما ما أعده لحاجته أوتأجيره من العقارات والسيارات والمعدات ونحوها فلا زكاة فيه لقول النبى ﷺ : (ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة) لكن تجب فى الأجرة إذا تم حولها وفى حلى الذهب والفضة لما سبق .

« الفصل السابع فى أهل الزكاة »

أهل الزكاة هم الجهات التى تصرف إليها الزكاة ، وقد تولى الله تعالى بيانها بنفسه فقال : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة مـن الله والله عليم حكيم ﴾ [التوبه / ٦٠]

فهؤلاء ثمانية أصناف

الأول : الفقراء وهم الذين لا يجدون من كفايتهم إلا شيئًا قليلاً دون النصف ، فإذا كان الإنسان لايجد ماينفق على نفسه وعائلته نصف سنة فهو فقير فيعطى مايكفيه وعائلته سنة .

الثانى : المساكين وهم الذين يجدون من كفايتهم النصف فأكثر ولكن لايجدون مايكفيهم سنة كاملة فيكمل لهم نفقة السنة .. وإذا كان الرجل ليس عنده نقود ولكن عنده مورد آخر من حرفة أو راتب أو استغلال يقوم بكفايته فإنه لايعطى من الزكاة لقول النبى ﷺ (لاحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب) .

الثالث : العاملون عليها وهم الذين يوكلهم الحاكم العام للدولة بجبايتها من أهلها وتصريفها إلى مستحقيها وحفظها ونحو ذلك من الولاية عليها فيعطون من الزكاة بقدر عملهم وإن كانوا أغنياء .

الرابع : المؤلفة قلوبهم وهم رؤساء العشائر الذين ليس فى إيمانهم قوة فيعطون من الزكاة ليقوى إيمانهم فيكونوا دعاة للإسلام وقدوة صالحة وإذا كان الإنسان ضعيف الإسلام ولكنه ليس من الرؤساء المطاعين بل هو من عامة الناس فهل يعطى من الزكاة ليقوى إيمانه ؟ .

يرى بعض العلماء أنه يعطى لأن مصلحة الدين أعظم من مصلحة البدن وهاهو إذا كان فقيرًا يعطى لغذاء بدنه فغذاء قلبه بالإيمان أشد وأعظم نفعًا ، ويرى بعض العلماء أنه لايعطى لأن المصلحة من قوة إيمانه مصلحة فردية خاصة به .

الخامس : الرقاب ويدخل فيها شراء الرقيق من الزكاة وإعتاقه ومعاونة المكاتبين وفك الأسرى من المسلمين .

السادس : الغارمون وهم المدينون إذا لم يكن لهم ما يمكن أن يوفوا منه ديونهم ، فهؤلاء يعطون مايوفون به ديونهم قليلة كانت أم كثيرة .. وإن كانوا أغنياء من جهة القوت فإذا قدر أن هناك رجلاً له مورد يكفى لقوته وقوت عائلته ، إلا أن عليه دينًا لايستطيع وفاءه ، فإنه يعطى من الزكاة مايوفى به دينه ، ولا يجوز أن يسقط الدين عن مدينه الفقير وينويه من الزكاة .

واختلف العلماء فيما إذا كان المدين والدًا أو ولدًا ، فهل يعطى من الزكاة لوفاء دينه والصحيح الجواز ..

ويجوز لصاحب الزكاة أن يذهب إلى صاحب الحق ويعطيه حقه وإن لم يعلم المدين بذلك إذا كان صاحب الزكاة يعرف أن المدين لايستطيع الوفاء .

السابع : فى سبيل الله وهو الجهاد فى سبيل الله فيعطى المجاهدون من الزكاة مايكفيهم لجهادهم ، ويشترى من الزكاة آلات للجهاد فى سبيل الله ومن سبيل الله العلم الشرعى ، فيعطى طالب العلم الشرعى مايتمكن به من طلب العلم من الكتب وغيرها ، إلا أن يكون له مال يمكنه من تحصيل ذلك به .

الثامن : ابن السبيل وهو المسافر الذى انقطع به السفر فيعطى من الزكاة مايوصله لبلده .. فهؤلاء هم أهل الزكاة الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه وأخبر بأن ذلك فريضة منه صادرة عن علم وحكمة والله عليم حكيم . ولا يجوز صرفها فى غيرها كبناء المساجد وإصلاح الطرق ، لأن الله ذكر مستحقيها على سبيل الحصر ، والحصر يفيد نفى الحكم عن غير المحصور فيه .

وإذا تأملنا هؤلاء الجهات عرفنا أن منهم من يحتاج إلى الزكاة بنفسه ومنهم من يحتاج المسلمون إليه ، وبهذا نعرف مدى الحكمة فى إيجاب الزكاة وإن الحكمة منه بناء مجتمع صالح متكامل متكافىء بقدر الإمكان ، وأن الإسلام لم يهمل الأموال ولا المصالح التى يمكن أن تبنى على المال ولم يترك للنفوس الجشعة الشحيحة الحرية فى شحها وهواها بل هو أعظم موجه للخير ومصلح للأمم والحمد لله رب العالمين .

« الفصل الثامن فى زكاة الفطر »

زكاة الفطر فريضة فرضها رسول الله ﷺ عند الفطر من رمضان . قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين) . [متفق عليه] .

وهى صاع من طعام مما يقتاته الآدميون . قال «أبو سـعيد الخدرى » رضى الله عنه: « كنا نخرج يوم الفطر فى عهد النبى ﷺ صاعًا من طعام وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » . رواه البخارى . فلا تجزىء من الدراهم والفرش واللباس وأقوات البهائم والأمتعة وغيرها لأن ذلك خلاف ماأمر به النبى ﷺ وقد قال النبى ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) أى مردود عليه ومقدار الصاع كيلوان وأربعون غرامًا من البر الجيد هذا هو مقدارالصاع النبوى الذى قدر به النبى ﷺ الفطرة. ويجب إخراج الفطرة قبل صلاة العيد والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة وتجزئ قبله بيوم أويومين فقط ولا تجزئ بعد صلاة العيد لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ (فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) [رواه أبو داود وابن ماجة]. لكن لو لم يعلم بالعيد إلا بعد الصلاة أو كان وقت إخراجها فى بر أو بلد ليس فيه مستحق أجزأ إخراجها بعد الصلاة عند تمكنه من إخراجها .

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

الرسالة الثانية عشرة :

التبيان

فيما يبطل عمل الإنسان

جمع وإعداد شباب مسجد سعيد بن جبير رحمه الله
كيفان بالكويت المنكوبة رفع الله كربهم

قدم لها وراجعها سماحة الشيخ
عبد الرحمن بن عبد الخالق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين وعلى من اهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين .

وبعـــــد ، ، ،

فقد اطلعت على هذه الرسالة المباركة التي أعدها شباب مسجد سعيد بن جبير فوجدتها قد عالجت موضوع مبطلات الأعمال علاجًا طيبًا ، وقد حوت فوائد كثيرة ، وموعظة حسنة ، وحذرت مما يبطل الأعمال كلها أو بعضها ، وهذا خطر عظيم لا يفطن له الكثير من الناس ، ولذلك فالرسالة حَرِيَّةٌ بالقراءة ، جديرة بالعناية ، نسأل الله أن ينفع بها إنه سميع مجيب .

عبد الرحمن بن عبد الخالق

* مقدمة شباب المسجد :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُواْ اللَّه حَق تُقَاتِه وَلاَ تَمُوتُنَ إِلاَ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٠٢] .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوجَهَا وَبَثَ مِنهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَاء واتَّقُواْ اللَّه الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيباً ﴾ [سورة النساء : آية ١] .

﴿ يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٧٠ ، ٧١]

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

قال الله عز وجل : ﴿ يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [سورة محمد : آية ٣٣] .

يأمر الله عز وجل في هذه الآية عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وينهاهم عن إبطال أعمالهم الصالحة .

وإيماناً منا بضرورة تعريف المسلم بهذه المبطلات حتى يكون على حذر منها ولا يبطل عمله وهو لا يشعر ، قمنا بتتبع ما يبطل العمل الصالح في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد - ﷺ - فَضَمَّنَّاه في هذا البحث ، الذي سعينا أن نجعله سهلاً ميسرًا لعلنا نفيد إخواننا المسلمين به .

وسيكون منهجنا فيه بأن نضع توطئة لطيفة تمهد للموضوع ، ثم نقسم العمل الصالح الذي حبط ثواب صاحبه في الآخرة إلى قسمين :

القسم الأول : العمل الصالح الذي يقع باطلاً لا أجر لصاحبه فيه وهو :

١ – عمل الكافر .

٢ – عمل المنافق .

٣ – عمل المسلم الذي يؤديه وهو متلبس بمعصية .

القسم الثاني : العمل الصالح الذي يكتب لصاحبه حسنات ، ثم يبطله صاحبه بعد ذلك بإحدى المبطلات التالية : وهي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : مبطلات تبطل عمل العبد جميعه وهي :

١– الردة عن الإسلام : وهي أن يخرج المسلم من الدين بإحدى المكفرات التالية :

أ – الاستهزاء بالله أو برسله أو بدينه .

ب – الشرك بالله شركًا أكبر .

جـ – النفاق .

ء – إنكار ما عُلِمَ من الدين بالضرورة .

هـ – ترك الصلاة .

و – تعلم السحر والإتيان به .

النوع الثاني : مبطلات تبطل بعض عمل العبد وليس جميعه وهي :

١ – التألِّي على الله تعالى .

٢ – رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ .

٣ – الاعتداء على حقوق وحرمات المسلم .

٤ – انتهاك حرمات الله في السر .

النوع الثالث : مبطلات تبطل أعمالاً معينة عينها الشارع وهي :

١ – الرياء : ويبطل فقط العمل المراءى به .

٢ – المن والأذى يبطل الصدقة .

ثم نختم البحث بخاتمة تبين أصل الأمر وحقيقته .

وقد اشترك مجموعة من شباب مسجد سعيد بن جبير ، في إعداد هذا البحث وسميناه « التبيان فيما يبطل عمل الإنسان » .

فنسأل الله التوفيق في ذلك ، وأن يتقبله منا إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، فإن أصبنا فمن الله وحده وبفضله ومنته ، وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان ونتبرأ منه إلى يوم الدين ، ونستغفر الله منه ونتوب إليه .

هذا ونتقبل نُصْحَ كل مسلم ناصح ، ورحم الله امرأً أهدى إلينا أخطاءنا .

شباب مسجد سعيد بن جبير

توطئة

– مفهوم كلمة (حَبِطَ) ، وكلمة (تبطلوا) – بَطَلَ :

حَبِطَ : قال بن الأثير [في النهاية : (١/٣٣١)] .

أحبط الله عمله : أي أبطله ، يقال حبط عمله يحبط وأحبطه غيره وهو من قولهم : حَبِطَتِ الدابة حَبَطًا – بالتحريك – إذا أصابت مرعى طيبًا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت .

وقال ابن منظور في لسان العرب :

حبط حَبْطًا وحبوطًا : عمل عملاً ثم أفسده ، قال الأزهري : إذا عمل الرجل عملاً ثم

أفسده قيل حَبِطَ عمله ، وأحبطه صاحبه ، قال الجوهري : بطل ثوابه وأحبطه الله .

وأما بَطَلَ : قال ابن منظور :

بَطَلَ الشيء يَبْطُل بُطْلاً وبُطْلانًا ، ذهب ضياعًا وخسرًا .

« وقد جاء الإحباط في كتاب الله العزيز بمعنيين ، كما قال القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله تعالى: إن الإحباط إحباطان : أحدهما إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملةً كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي ، ثانيهما : إحباط الموازنة ، إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة ، فمن رجحت حسناته نجا ، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة إما أن يغفر له وإما أن يعذب ، فالتوقيف إبطالٌ ما لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها ، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار ، ففي كل منهما إبطال نسبي أطلق عليه اسم الإحباط مجازًا وليس هو حقيقة ، لأنه إذا أُخرج من النار وأُدخل في الجنة عاد إليه ثواب عمله ، وهذا بخلاف قول الإحباطية الذين سوَّوْا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر وهم معظم القدرية والله الموفق » [نقلاً من فتح الباري ١/١١٠ بتصرف] .

أي كما أن هناك كفرًا دون كفر ، هناك إحباط دون إحباط ، إحباط يبطل العلم جميعه كإحباط الكفر للإيمان كما بين الشيخ رحمه الله ، وإحباط دون الأول لا يُحبط العملَ جميعَه ولكن يحبط شيئًا من العمل .

القسم الأول : العمل الصالح الذي يقع باطلاً لا أجر لصاحبه فيه وهو :

أولاً : عمل الكافر :

إن ما يقدمه الكافر من أعمال صالحة كصدقة وإطعام لمسكين وغيرها - التي هي في حقيقتها أعمال صالحة - لا تنفعه عند الله تعالى ولن يكون له حظ في الآخرة ، وذلك لأنه فَقَدَ أصل قبول العمل وهو الإيمان بالله والدخول في الإسلام ، قال الله تعالى عنهم : ﴿ وقَدِمْنَا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ [سورة الفرقان : آية ٢٣] .

وقال تعالى أيضًا : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم لا يُبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ [سورة هود : آية ١٥ ، ١٦] .

وقد بين هذه الحقيقة رسول الله ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قلت يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يومًا : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين »[١] .

فالعمل الصالح للكافر هو في حقيقته عمل صالح ولكنه لا يكتب له به حسنات بل يُمتَّع به في الدنيا - إذا شاء الله ذلك - ثم إذا رجع إلى الله تعالى يوم القيامة لم يجد عنده شيئًا ، قال تعالى : ﴿ ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ [سورة الأحقاف : آية ٢٠] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعْطَى بها في الدنيا ، ويُجْزَى بها في الآخرة ، وأما الكافر فَيُطْعَم بحسناتِ ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها »[٢] .

ثانيًا : عمل المنافق :

قال الله تعالى عن المنافقين ﴿ قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يُتَقَبَّلَ منكم إنكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة إلا وهو كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [سورة التوبة : آية ٥٣ ، ٥٤] .

وقال أيضاً عنهم : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ [سورة محمد : آية ٢٨] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

والمنافقون هم الذين أظهروا الإسلام للناس وأبطنوا الكفر فهم في عداد الكافرين وقد بيَّنا أن الكافرين ليس لهم حظ في الآخرة ، فكل ما يعملونه من عمل صالح لن يتقبله الله منهم ولن يكتب لهم به حسنات (١) .

ثالثًا : عمل المسلم الذي يؤديه وهو متلبس بمعصية (٢) :

اختلف أهل العلم في المسلم الذي يؤدي العبادة وهو متلبس بمعصية هل تصح تلك العبادة ويكتب الله له بها حسنات أم لا ؟ كأن يصلي المسلم في الأرض المغصوبة أو يصلي بثوب مغصوب ، أو يتوضأ بماء مغصوب وهكذا ، فذهب الإمام أحمد في أصح الراويتين عنه ، إلى أنها لا تصح وذلك لأنه أدى العبادة على الوجه المنهي عنه ، ولأن النهي يقتضي تحريم الفعل واجتنابه والتأثيم بفعله فكيف يكون مطيعًا بما هو عاصٍ به ، مُمْتَثِلاً بما هو محرم عليه ، متقربًا بما يبعد عنه ، وذهب الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي إلى أنها تصح لأن النهي لا يعود إلى العبادة نفسها ، فلم يمنع صحتها وإنما النهي يعود إلى الغصب ، فهو عاصٍ من وجه متقرب من وجه .

القسم الثاني : العمل الصالح الذي يكتب لصاحبه حسنات ثم يبطله صاحبه بعد ذلك بإحدى المبطلات :

المبطلات التي تبطل عمل العبد على ثلاثة أنواع

النوع الأول: مبطلات تبطل عمل العبد جميعه وهي :

١ - الردة عن الإسلام : وهي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر :

كما قال الله تعالى : ﴿ ومن يَرْتَدِد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [سورة البقرة : جزء من آية ٢١٧] .

---

(١) لم نكثر الكلام على النفاق والمنافقين مع خطرهم العظيم على الإسلام والمسلمين ، وذلك لأن الله قد تكفل بهم وفضحهم في سور كثيرة ، فراجع إن شئت هذه السور وتفسيرأهل العلم لها : كأوائل سورة البقرة ، وسورة التوبة ، وسورة محمد وغيرها وانظر كتاب صفة النفاق للفريابي بتحقيق الأخ بدر البدر .

(٢) راجع بذلك المجموع ٣/١٦٤ ، المغنى ٢/٧٤

فالمرتد قد أحبط الله عمله لأنه صار بهذه الردة كافرًا ، وقد بينا آنفًا أن الكافر ليس له حظ في الآخرة ، وأن الله قد أحبط عمل الكافرين .

قال الشوكاني [1] : والردة الرجوع عن الإسلام إلى الكفر ، والتقييد بقوله ﴿ فيمت وهو كافر ﴾ يفيد أن عمل المرتد إنما يبطل إذا مات على الكفر ، وقد اختلف أهل العلم في الردة ، هل تحبط العمل بمجردها أم لا تحبط إلا بالموت على الكفر ، والواجب حمل ما أطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من تقييد ، ومعنى قوله ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ أنه لا يبقى له حكم المسلمين في الدنيا ، فلا يأخذ ما يستحقه المسلمون ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام ولا ينال شيئًا من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام ويستحقه أهله » .

ومن المكفرات التي عدَّها أهل العلم ردة بحيث إن فعلها المسلم أصبح مرتدًا ما يلي : –

أ – الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسله أو بدينه : ولو كان المستهزىء هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء ، قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .... ﴾ [سورة التوبة : آية ٦٥ ، ٦٦] .

فباستهزائهم أصبحوا كافرين وذلك لأنه لا يجتمع الإيمان بالله وبكتبه وبرسله ، والاستهزاء بذلك في قلب رجل أبدًا ، قال صاحب تيسير العزيز الحميد (٦١٧) : أجمع العلماء على كفر من استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه سواء كان قاصدًا حقيقة الاستهزاء أم هازلاً « مختصرًا .

ب – الشرك بالله شركًا أكبر :

من أعظم الذنوب التي تحبط عمل العبد جميعه الشرك بالله شركًا أكبر كما قال الله

(١) في تفسيره (١/٢١٨) .

عز وجل : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ . [سورة الزمر : آية ٦٥] .

قال ابن جرير الطبري [(١)] : « يقول لئن أشركت بالله شيئًا يا محمد ليبطلن عملك ولا تنال به ثواباً ولا تدرك جزاءً إلا جزاء من أشرك بالله » .

وكذلك قال تعالى عن أنبيائه المصْطَفَينَ ممتنًا عليهم هدايته : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركو لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [سورة الأنعام : آية ٨٨] .

قال ابن جرير الطبري [(٢)] : « يقول ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذِكره فعبدوا معه غيره ﴿ لحبط عنهم ﴾ يقول : لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون ، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً » . فهذا حال الأنبياء فما بالك بحال من دونهم .

والشرك الأكبر أنواع كثيرة ، منها شرك الربوبية وهو أن يعتقد العبد أن هناك مخلوقًا له تصرف في الخلق ، كما هو حال كثير من غلاة عُبَّاد القبور من المسلمين الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ، ويفرجون الكربات ، وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم ، فإن هذه من خصائص الربوبية التي هي من حق الله تعالى وحده ، فلا تُطلب إلا منه كما قال تعالى : ﴿ أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءِلَهٌ مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ [سورة النمل : آية ٦٢] .

وقـال تعـالـى أيضـاً : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لِلَّه قل فأنى تُسْحَرون ﴾ [سورة المؤمنون : آية ٨٨] .

وهؤلاء الغلاة وقوعهم في شرك الربوبية أدى بهم أن وقعوا في شرك العبادة – وهو

(١) في تفسيره (٢٤/٢٤) .

(٢) الطبرى (٢٦٣ / ٧) .

النوع الثاني من أنواع الشرك الأكبر - فتجدهم يدعون أصحاب هذه القبور وغيرهم كما يدعون الله ، والله تعالى يقول : ﴿ ولا تَدْعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين ﴾ [سورة يونس : آية ١٠٦] .

وكذلك تجدهم يذبحون لهم الذبائح ويقربون لهم القرابين والهدايا ، والله عز وجل يقول : ﴿ قل إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٦٢] .

والنسك هو الذبح ، وتجدهم يغالون في ذلك فيرجون أصحاب القبور كما يرجون الله ويحبونهم كما يحبون الله ويخشونهم كما يخشون الله بل أشد خشية ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وقد لا نجد هذه القبور في ديارنا هذه - جزيرة العرب - ولكن نجد من مسلمي هذه الديار من وقع في شرك الربوبية وشرك العبادة ليس في أصحاب القبور ولكن في خلق آخر من خلق الله ألا وهم الجن ، فتجدهم يعتقدون فيها أنها تقضي الحاجات وتفرج الكربات وترزق الأولاد وغيرها . فتجدهم يخشونها كخشية الله أو أشد خشية فيقربون لهم القرابين والذبائح ، ويرجونها كما يرجون الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وللأسف يظن أغلب هؤلاء أنهم يحسنون صنعًا وأن لهم من الأعمال الصالحة الشيء الكثير - من صلاة وصيام وحج وصدقة - ، ولكن إذا جاءوا يوم القيامة وجدوا ذلك هباءً منثورًا ، أحبطها الشرك بالله فخسروا الخسران المبين [١] .

جـ - النفاق :

قد يرتد المسلم عن دينه بأن يصبح من المنافقين الذين تكلمنا عنهم آنفًا أنهم يبطنون الكفر ويُظهرون الإسلام ، فيحبط الله بذلك عمله .

---

(١) ومن أراد الزيادة من موضوع الشرك فعليه بالكتب التالية : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، تطهير الجنان من درن الشرك والكفران ، وغيرهما .

والمسلم قد يعتريه من الفتن والمصائب ما يجعله من المنافقين وهو لا يشعر ، فلذلك وجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله من النفاق وأهله ، ويطلب منه الثبات على هذا الدين ، وأن يجدد إيمانه حتى لا يقع في النفاق وهو لا يشعر ، وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح غفر الله لنا ولهم ، فقد كانوا يخشون النفاق ويَحْذَرونه أشد الحذر ، فعن ابن أبي مليكة رحمه الله – أحد التابعين – قال : أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي – ﷺ – كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل [١] .

د – إنكار ما عُلِمَ من الدين بالضرورة ، بأن ينكر العبد المحرمات التي حرمها الله ولا يخفى تحريمها على مسلم ، كأن ينكر تحريم الربا أو الخمر أو الزنى ، أو ينكر واجبًا أوجبه الله على عباده ولا يخفى وجوبه على مسلم ، كأن ينكر وجوب الصلاة المكتوبة أو صيام رمضان أو الزكاة ، قال شارح العقيدة الطحاوية : وأيضًا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يُسْتَتَاب فإن تاب وإلا قُتل كافرًا مرتدًا [٢] .

هـ – ترك الصلاة : فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر تـرك الصلاة » [٣] ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله قال : « كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » [٤] ، قال الشوكاني رحمه الله : « والحق أنه كافر يقتل ، أما كُفْرُه فَلأن الأحاديث قد صحت أن الشارع سمى تارك الصلاة بهذا الاسم وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز إطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة فتركها مُقْتَضٍ لجواز الإطلاق ولا يلزمنا شيء من المعارضات التي أوردها المعارضون لأنا نقول : لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفرًا ، فلا مُلْجِيء إلى التأويلات التي وقع الناس في مضيعتها » [٥] .

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا في صحيحه (الفتح ١/١٠٩) . (٢) ص ٣٣٥ بتصرف .
(٣) رواه مسلم وغيره . (٤) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .
(٥) في النيل (٢/١٣) بتصرف .

و - تعلم السحر والإتيان به [1] : كما قال تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ [سورة البقرة : آية ١٠٠] ، قال القرطبي رحمه الله : « قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ تبرئة لسليمان ، ولم يتقدم في الآية أن أحدًا نسبه إلى الكفر ولكن اليهود نسبته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر ، ثم قال ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر » [2] .

ويلحق بالسحر الكهانة والعرافة وهي ادعاء علم الغيب وعلم المستقبل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ » [3] .

فهذا حال السائل فما بالك بالمسئول ، وذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل كائنا من كان ، قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يُبعثون ﴾ [سورة النمل : آية ٦٥] .

النوع الثاني : مبطلات تبطل بعض عمل العبد وليس جميعه وهي : –

١ – التألِّي [4] على الله :

عن جندب أن رسول الله ﷺ حدث : أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تعالى قال : « من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان ، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال » [5] .

فهذا الرجل قد تعدى على حق من حقوق الله تعالى وحلف أن لا يغفر الله لفلان وما يدريه لعل الله يغفر له ، فهل لأحد أن يتدخل في رحمة الله ومشيئته أو يقول على الله بلا علم ؟

---

(١) راجع إن شئت الزيادة في هذا الموضوع الكتب التالية : تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٢/٤١ ، تيسير العزيز الحميد ٣٨٣ ، تفسير ابن كثير ١/٢٣٣ .

(٢) في تفسيره : (٢/٤٣) . (٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

(٤) قال النووي في شرح مسلم : يتألى أي يحلف والألية اليمين . (٥) رواه مسلم .

والتألي على الله باب من أبواب القول على الله بلا علم وله من الإثم العظيم ما يحبط عمل صاحبه ، فما بالك بالأبواب الأخرى من أبواب القول على الله بلا علم ، كأن يحلل العبد ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ، أو يشرع لعباد الله ما لم يشرع الله لهم ، أو يتكلم في دين الله بما شاء وكيف شاء ، فهذا بلا شك أعظم جرماً وفرية على الله ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاعٌ قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [سورة النحل : آية ١١٦ ، ١١٧] .

وجعل الله من أعظم الذنوب القول عليه بلا علم ، قال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [سورة الأعراف : آية ٣٣] .

وللأسف فإن كثيراً من المسلمين في يومنا هذا يتقولون على الله بلا علم ويتكلمون في شرعه بدون بينة منه تعالى ولا من رسوله ﷺ ، وتجدهم إذا تكلم الرجل بشيء من أمور الدنيا كالصناعة مثلاً وهي ليست من اختصاصه أنكروا عليه لأنه ليس من أهلها ، وأما إذا تكلم أحدهم بشرع الله بلا علم وهو ليس أهلاً لذلك فلا ينكر عليه أحد – إلا من رحم الله – مع أنه بهذا الفعل قد أغضب الجبار عز وجل ، فالواجب على ولي الأمر أن يردع كل من تسول له نفسه أن يتكلم في دين الله بلا علم .

٢ – رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ :

كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [سورة الحجرات : آية ٢] .

فالله عز وجل يأمر في هذه الآية بتعظيم رسوله ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته حتى لا تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر ، قال ابن كثير (١) : « وقوله عز وجل : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي : إنما نهيناكم عن

---

(١) في تفسيره (٦/٣٧٠) .

رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح : إن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوى بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض »(1) .

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله : « حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه فإذا قرىء كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند التلفظ به ، وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [سورة الأعراف : آية ٢٠٤] . وكلامه ﷺ من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة ، بيانها في كتب الفقه »(2) .

فليت الأمر قد وقف إلى حد رفع الصوت في هذا الزمان ، بل تجاوز هذا إلى ترك هديه وضرب قوله عرض الحائط ، وأخذت أقوال اليهود والنصارى وحكم بها في أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم ونحن بعد ذلك ندعي حبه عليه الصلاة والسلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣ - الاعتداء على حقوق وحرمات المسلم : -

لقد جعل الله عز وجل الاعتداء على حقوق المسلم من الذنوب التي تمحق حسنات العبد ، وذلك تعظيمًا لحقوق المسلمين وحرماتهم ، مصداقًا لقول النبي ﷺ : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم »(3) .

---

(1) كما في حديث النبي ﷺ : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه سخطه إلى يوم القيامة ، رواه أحمد وغيره ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

(2) من كتاب أحكام القرآن للقرطبي ٣٠٧ / ١٦ بتصرف .

(3) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ، ثم طُرح في النار » (١) .

فمن أكل من أموال الناس بالباطل في الدنيا - بالربا وبالغش وبالزور والخداع - أو اعتدى على أعراضهم ، فسيأخذونها منه يوم القيامة حسنات أو يَطْرحون عليه من سيئاتهم ، فإنه لا دينار ولا درهم يوم القيامة ولكن حسنات وسيئات .

٤ - انتهاك حرمات الله في السر : -

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لأعْلَمَن أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورا » ، قال ثوبان : يا رسول الله ، صِفْهم لنا ، جَلِّهم لنا ، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » (٢) .

فهؤلاء أناس من المسلمين يعملون ما يعمل المسلمون من صلاة وصيام وصدقة ، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ، فبدلاً من أن يستعينوا بالله على دفعها ويستعيذوا به من الشيطان الرجيم ، إذا هم ينتهكوها ، والنبي ﷺ قال : إنهم انتهكوا محارم الله ولم يقل : نالوا منها مثلاً ، وذلك لما في الانتهاك (٣) من المبالغة في خرق محارم الشرع وإتيانها ، فهم لم يكتفوا بالنيل منها ، بل انتهكوها بوحشية ، حالهم كحال الذي قد ظفر بمراده بعد عناء طويل ، فهم أمام الناس أتقياء وفي الباطن

---

(١) رواه مسلم .　　(٢) رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب : النَّهك : المبالغة في كل شيء ، قال الأصمعي : النهك أن تبالغ في العمل ، فإن شتمت وبالغت في شتم العرض قيل : انتهك عرضه ، قال ابن الأثير في النهاية ٥/١٣٧ : وفي حديث ابن عباس : إن قوما قتلوا فاكثروا وزنوا وانتهكوا أي بالغوا في خرق محارم الشرع وإتيانها .

منتهكون لمحارم الله عز وجل ، فجازاهم الله بأن فضحهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة وأبطل أعمالهم ، والله على كل شيء شهيد .

النوع الثالث : مبطلات تبطل أعمالاً معينة من عمل العبد عيّنها الشارع :

١ – الرياء (ويبطل العمل الذي يرائي به صاحبه) : [١]

وهو أن يقوم العبد بالعبادة التي يتقرب بها لله لا يريد الله عز وجل بل يريد مدح الناس أو عرضًا دنيويًا ، وهو من الذنوب التي تحبط العمل المراءَى به ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » [٢] . فالله عز وجل يتبرأ من كل عمل أشرك به العبد أحدًا غير الله ويرده على صاحبه ولا يتقبله منه ، قال ابن القيم رحمه الله : « وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا فإنه ينزل منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الأمر فإن الله سبحانه إنما أمره بعبادته خالصة ، قال تعالى : ﴿ وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ [سورة البينة : آية ٥] . فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به بل الذيَ أتى به شيء غير مأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ... » [٣] . وقد حذر النبي ﷺ أمته من هذا الداء أشد تحذير حتى لا تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل فيصلي فيزيد من صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه » [٤] .

وقد ضرب الله عز وجل مثلاً لعمل المرائي كيف يذهب سُدًى ، وكيف أنه قد يظهر

---

(١) مختصرًا من كتاب مقاصد المكلفين للشيخ عمر الأشقر حفظه الله ، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد .

(٢) رواه مسلم .　　　　(٣) الداء والدواء ١٩١ .

(٤) رواه ابن ماجه وحسّنه الألباني في المشكاة .

أمام الناس كأنه عمل عظيم ولكنه عند الله هباءً منثورً ، فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُبطِلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللهّ واليوم الآخر فمَثَلُه كمَثَلِ صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٤] .

قال ابن كثير : « ضرب الله تعالى مثل ذلك المرائى بإنفاقه (فمثله كمثل صفوان وهو الصخر الأملس ، (عليه تراب فأصابه وابل) وهو المطر الشديد (فتركه صلدًا) أي أملس يابسًا لم يبق عليه شيء من ذلك التراب ، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال تعالى : ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ » .

٢ – المن والأذى يبطل الصدقة :

من الذنوب التي تُحبط صدقة العبد المن والأذى فيها ، بأن يمن العبد بصدقته ويؤذي من تصدق عليه بالقول أو الفعل ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٤] ، قال ابن كثير في تفسيره : « أخبر الله أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى » .

وقد وردت أحاديث في النهي عن المن والأذى في الصدقة منها : عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : «المسْبِلُ إزارَه ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » [1] . وقد ضرب الله لنا مثلاً للذي يمن بصدقته أو يؤذي فيها فقال تعالى ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ... ﴾ قال ابن كثير : « أي لا تبطلوا

(١) رواه مسلم .

صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما مقصده مدح الناس له ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية ، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته » .

الخاتمة

أخيرًا تبين لنا مما سبق أن من شؤم الذنوب والمعاصي أنها تمحق بركة الأعمال الصالحة ، وتحبط ثوابها ، فكان لزامًا على كل مسلم يريد الآخرة ويسعى لها أن يتوب من ذنوبه من قبل أن يدركه الموت وهو لا يشعر ، وأن يسارع بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله حتى يتوب الله عليه ، كما قال تعالى : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ﴾ [سورة النساء : آية ١٧] . وأن يحقق شروط التوبة النصوح ، من إقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم أن لا يعود إليه ، ويُرضِي الآدميَ بأن يرد إليه حقه - إن كان الذنب متعلقًا بالآدميين .

ولنعلم أنه إن كان في الدنيا هناك دينار ودرهم ونسب قد نرضي الآدميَ بها في الدنيا ، فإنه في الآخرة لا دينار ولا درهم ولا حسب ولا نسب بل حسنات وسيئات .

ولنعلم أيضًا أنه رُبَّ ذنبٍ صغير - فيما يبدو للناس - قد يحبط ثواب عمل عظيم ، قال ابن رجب الحنبلي (١) : « لقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ضرب عبدًا فأعتقه وقال ليس لي فيه من الأجر مثل هذا - وأخذ عودًا من الأرض - إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لطم مملوكه أو ضربه فإن كفارته أن يعتقه ، فجعل ابن عمر رضي الله عنهما أن عتقه كفارة لذنبه ، ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الأعمال المنافية لها ، كما يُبطل المن الصدقة وتُبْطِل المعاملة بالربا ثواب الجهاد كما قالت عائشة رضي الله عنها لأم ولد زيد بن أرقم إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب » (٢)

---

(١) نقلاً من كتاب لوامع الأنوار البهية للشيخ السفاريني - بتصرف ص ١/٣٧٧ .

(٢) رواه الإمام أحمد والدارقطني عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأته (أم العالية) عن عائشة . قال الدارقطني : أم العالية مجهولة لا يُحتج بها .

ولنعلم كذلك أن الأمر في الآخرة مقاصة بين الحسنات والسيئات ، ثم تسقط الحسنات المقابلة للسيئات وينظر إلى ما يفضل منها بعد المقاصة ، فإن رجحت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة ، وإن رجحت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه بفضله ، وإن شاء عذبه بعدله جل وعلا ، كما قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ [سورة المائدة : آية ٤٠] .

وقد ضرب اللهُ مثلاً للذي يعمل العمل ثم يُتْبِعه بما يبطله ، حتى يتذكر أولو الألباب ، فقال تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الأيت لعلكم تتفكرون ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٦] .

قال ابن كثير : « قال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عبيد بن عمير ، قال : قال عمر بن الخطاب يومًا لأصحاب رسول الله ﷺ : فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ضربت مثلاً بعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غني يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله .

وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية ، وتبين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ، ثم انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه من الصلاح ، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيئًا وخانه أحوج ما كان إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار ﴾ وهو الريح الشديد ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ أي أحرق ثمارها ، وأباد أشجارها ، فأي حال يكون حاله ؟

وكذلك حال الكافر يكون يوم القيامة إذا رُدَّ إلى الله عز وجل ، ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس بستانه ، ولا يجد ما قدم لنفسه خيرًا يعود عليه ، كما لم يُغْنِ عن هذا ولده ، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه ، كما حرم هذا جنته عندما كان أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته »[1] .

والحمد لله رب العالمين

أخي القارئ الكريم :

اعلم أن الخير كل الخير في اتباع سنة النبي ﷺ ، ومن ثم معرفة الكتب التي ترشدك إلى معرفة العلم الصحيح الذي به تنجو ، وينجو كل من حولك ، ونحن نرشدك إلى بعضها ، فاقتنيها فإنها خير لك ولأولادك من الذهب والفضة :

١ – رياض الصالحين . تأليف الإمام النووي . تحقيق العلامة الألباني .

٢ – منهاج المسلم . للشيخ الجزائري .

٣ – تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف . للشيخ أحمد فريد .

٤ – صحيح حادي الأرواح لابن القيم . اختصار عبد الحميد الدخاخني .

٥ – الضياء اللامع في الخطب الجوامع . للشيخ ابن عثيمين .

٦ – العذر بالجهل والرد على جماعة التكفير . للشيخ أحمد فريد .

٧ – الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة . للشيخ مصطفى العدوي .

٨ – الغرباء الأولون . للشيخ سلمان العودة .

---

(١) في تفسيره .

الرسالة الثالثة عشرة:

دعوة الشباب إلى الزواج المبكر

وفضله وعواقبه الحميدة

كتبها

الشيخ سليمان بن محمد الحميضي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين وسلم .

أما بعد أيها الأخوة المؤمنون اتقوا الله تعالى وأطيعوه وتأملوا في عواقب أمور الشباب من الجنسين فقد أحدق بهم أمر عظيم الخطورة ، ينذر بالفناء والفساد ونقصِ الأمة وفساد الأخلاق وتَجَهُّم الحياة وظلام البصيرة وفوات الحظوظ الشرعية بانعكاس المفاهيم وضياع المستقبل وإضاعة المال ، وأخيراً الترمل المزري بعد ما يصبح كل منهما هيكلاً بالياً عالة على أحد أقاربه ثقيلاً على نفسه وعليهم ، ينتظرون رحيله إلى مثواه الأخير بفارغ الصبر ليقتسموا ثروته وربما اختصموا عليها ، وهو حي وأعني بذلك إعراض الشباب من الجنسين عن الزواج المبكر لأعذار سلبية واهية خاطئة ، فالفتاة تَرُدُّ الخاطب الكفء بحجة الدراسة والتدريس أو لأن مع الخاطب زوجة أو لرأي الزميلة أو لرأي حاسدة فتمضي السنون متلاحقة ، وهما ما بين التسويف والتضليل ، ويتعاقب الليل والنهار فيذهب الشباب الرطيب ، ويتجعد الوجه المليح ، وهناك تذبل الزهـرة الوردية ، وتفقد شذاها العطري ، وتفقد الفتوة وتدخل باب الكهولة ، ثم العجوزية ثم الخمول والترمل ، وتتساءل معها ومع أوليائها هل يغني المال عند البعض أغلى من طيب الحياة الزوجية ، وأغلى من الذرية الصالحة بتقدير الله ، وهل نعتبر بمن فاتهن ركب المحظوظات فقعدن بالدركات من غير مبرر ، وهل ترضى الفتاة المؤمنة لنفسها بالتأيُّم مدى الحياة ، وهل يسعها التبتل عن الزواج ، ومخالفة سنة سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم ؟ أليس لهن الأسوة بأمهات المؤمنين ؟ أليس أن الأعمار بيد الله ، ولا يدري الإنسان متى يُدعى فيجيب ، أليس أن الحسنات يذهبن السيئات ، ومنها الزواج المبكر

بنص رسول الله ﷺ بقوله وترغيبه شباب أمته: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء " . ومفهوم الحديث أن التأيم يُفضي بالشباب من الجنسين إلى أمور لا تُحمد عقباها ومنها الفراغ القاتل ، وطول الأرق ، والسام لأجسامهم ، وطول التفكير واليأس من طيب الحياة بالمال والبنين وزينتها وظلام المستقبل أمامهم .

ومنها أن الأيامى من الجنسين يعيشون عيشة المساكين ، حيث حكم عليهم ذل التأيم بالانطواء على أنفسهم ، فأخلدوا إلى الأرض ، واستضعفوا أنفسهم عن محاكاة الآخرين المحظوظين بالأزواج والبنين ، ممن فازوا بالغبطة والسرور والحبور كنص الآية في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٤] . فقدم تعالى ذكر النساء والبنين على سائر المحبوبات من متاع الدنيا ، لما أباح الله بين الزوجين من الإفضاء إلى بعضهم البعض ، والعفاف ، وبلوغ الأرب ، والغايات المنشودة ، والحرث المثمر لجني الكرم ، ونور الحياة ، ومدخر الممات ، وأي مدخر للوالدين بعد موتهما أفضل من ولد صالح يدعو لهما ، ويستغفر ويتصدق عنهما ، ويصل رحمه من قِبَلِهِمَا ، ويكوم صديقهما ، ويعمر منازلهما ، ويحيي ذكرهما الجميل ، ويرفع من شأن أقاربه ، ويكون بصلاحه قدوة حسنة لذريته ، وذويه وجيرانه ، ومعارفه ، ونعم القدوة الحسنة .

ومن بركات الزواج المبكر أنه يفتح باب الأمل الباسم أمام الزوجين ، فتطيب لهما الحياة بالتعاون المثمر على عبور خضم الحياة بسلام من عوائق الشرور والانحرافات المردية والضارة بأصحابها حسًا ومعنًى وبسمعتهم حاضرًا ومستقبلاً ، فإن الشباب مدفوعون بنمو الأجسام ، وبدوافع الغريزة الفطرية ، والفراغ وجحافل الفتن المعروضة بالتلفاز وغيره من المناظر الخليعة ، فإن الزواج المبكر هو العلاج وإلا عاشوا في ذل التسكع على ماضي الحياة ، تتجاذبهم نوازع الشر ، وخيبة الآمال لما يدور في رؤوسهم من الأفكار السوداء ، لا ينظر أحدهم إلى أبعد من إبهام قدمه ، يتتبعون أخبار المحظوظين بالأزواج والبنين ، وهم قاعدون عن اللحاق بهم ، أَقْعَدَهم الخنوع وضعف العزيمة وسفاسف الرأي وذل المعصية وظلام البصر والبصيرة وانعكاس المفاهيم فرأوا حسنا ما ليس بحسن ، بما يسلكون سلوكا مشينا على حساب دينهم ودنياهم وآخرتهم عياذا بالله .

« دعوة الشباب إلى الزواج المبكر »

اعلموا وفقكم الله ، أن إعراض بعضهم عن الزواج المبكر أمر عظيمُ الخطورةِ على الجنسين بما لا يدع مجالاً للشك فى ذلك ، فَهُمْ من البشر وطُبعوا على طبيعتهم بأصل الفطرة والخلقةِ ، ويمرون بظرف المراهقة ، وهو صعب على بعضهم ما بين الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين من أعمارهم ، ظرف نمو الأجسام والعقول ، وشبق البلوغ ، وبدوافع الغريزة والتطلع إلى الكمال الشخصى ، ومحاكاة من سبقوهم إلى ذلك . ولكن العوائق السلبية والتقاليد البالية وانعكاس المفاهيم : جعلت بعض المسلمين (هداهم الله) لا يهتمون بأمور العازبين من الشباب من الجنسين ، ولا يُقدِّرون أخطار العزوبة المحققة ، وحرمانهما من زينة الحياة الدنيا ولذاتها ومتاعها المتجدد بالحصانة والصيانة وإنجاب الذرية وحصول المودة والرحمة والسكن النفسي ، فإن الزواج بوقته المناسب من أهم مقومات الدين والأدب والرجولة ، ولكون ظرف الشباب هو ربيع العمر وبهجة الحياة ونورها وبالتسويف والتعليل سنةً بعد سنة يذبل الشباب النضير ، ويتجعد الوجه المليح ، ويقبلان على منحدر الحياة ، فهناك يندمان على فوات الأوان ، حيث لا ينفع الندم ، حينما يساورهما اليأس من طيب الحياة وثمرةِ الحرث بإنجاب الذرية بفضل الله وتقديره ، وهو أيضا من مقومات الشخصية ، بآثاره الحسنة على الزوجين عاجلا وآجلا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها وأهَّلهم لها فقال تعالى آية ٢١ من سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ أي يتفكرون في عظيم قدرة الله على الخلق والإبداع والإيجاد ومنه ترغيب (النبي ﷺ) شباب أمته بالزواج ، وبيان فضله وما يترتب عليه من المصلحة ومنافع الجسد والروح والصحة وقوام الأحوال وارتفاع المعنويات بتعاون الزوجين على الوفاق والصبر وحسن التفاهم والاحترام المتبادل بينهما وحسن المعاشرة بالمعروف . حيث قال ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء » .

ومفهوم هذا الحديث أن الزواج ضروري للجنسين في الوقت المناسب ، وتأخيره ضرر عليهما وغيرُ خافيةٍ الأخطار ، بما في ذلك تَجَهُّم الحياة وطول التفكير مع الأرق الطويل وفساد التصور وغير ذلك من جيوش الأفكار الضارة بهم حسًا ومعنى .

والفتيات أعضل مشكلة لما جُبِلْنَ عليه بأصل الخلقة من الخوف والحياء ، فهن محفوفات بالمخاوف على أنفسهن من ذئاب الإنس وأغلى ما تتمناه في الحياة الدنيا زوج أمين كريم يحنو عليها ويُحَصِّنها وتحصنه ، يرفع مقامها عن العزوبة والعزلة وعن الوحدة والتأيم والبدعة والخمول وعن الذلة والقلة والضياع ، فعمر الفتاة كعمر الزهرة الوردية ، فإذا حرمت الزواج المبكر (ذبلت) ومعناه حرمت من حقها في الحياة الزوجية ، ومن عضويتها في المجتمع الصالح كزوجة صالحة ، وأم مربية حنون ، وسرعان ما يترآى لها اليأس لفوات الحظ والتسويف والتعليل .

ولنا أن نسأل مع المعوقين لمولياتهم عن الزواج (هداهم الله) هل فهموا معنى البشرية ، وأن الفتيات من البشر فَطَرَهن الله تعالى على طبائعهم بأصل الخلقة ، وأن لهن ما للفتيان من الميول إلى الغرائز الجنسية إلا أن الله فضلهن بلباس الحياء ، وهو زينة الجنسين ودليل الإيمان ، وبهذا اللباس المشرف يظهر جمال الفتيات وتقع المسئولية على وليها في عَضْلها (هداه الله) فعاضل موليته ليستغل رواتبها أو لخدمته أو لخوفه من ذريتها أن يأخذوا فريضتها من ماله أو لغير ذلك من المقاصد السيئة : فهذا من أفظع أنواع الظلم بعد الشرك بالله (هَدَى اللهُ المسلمين إلى رشدهم وصوابهم) فهل المال يغني الفتاة عن الزواج وهل يمكنها الاستدراك بعد فوات الأوان حينما تشرف على منحدر الحياة ؟ كلا لقد فاتها تدارك المحظوظات فأصبحت صفر اليدين من كل شيء من زينة الحياة وهل نسى أولياؤهن أنهن أمانة في أعناقهم ؟ وأن الله يسألهم عنهن لما ظلموهن ومنعوهن حقوقهن في الحياة الزوجية ولما قهروهن وتحكموا في نواتهن الشخصية ولما خالفوا السنة بقول النبى ﷺ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » أو كما قال ﷺ .

فصل في أحوال أولياء الفتيات

من المعلوم شرعا أن شريعة الإسلام المطهرة قد أعطت كلا من الرجل والمرأة حريته الشرعية بحدود ما شرعه الله لهم ، فالرجل حر فيمن يختار من الزوجات ، والمرأة حرة فيمن تختاره من الأزواج بشرط كفاءته الشرعية ، ولا تجبر على من لا تريده ، والأب مُجْبِر على الزواج لا على الزوج ، وفي حالة عضل الوالي الأقرب موليتَه من الزواج من خاطبها الكفء تنتقل الولاية إلى ولي أبعد منه فإن لم يوجد فللفتاة المعضولة رَفْعُ أمرها إلى الحاكم الشرعي ليتثبت من كفاءة الخاطب ويُلزم الوليَّ بعقد نكاحه عليها ، فإن امتنع أذن الحاكم بعقد نكاحه لكون العاضل لا ولاية له والحاقد لا ولاية له عليها ، والمضار لها لمصلحةِ نفسه لا ولاية له كما فى (المغنى ، والشرح الكبير) ما نصه (قال القاضي : والشيخ الكبير الذي ضعف لكبره فلا يعرف موضع الحظ لها لا ولاية له ؛ لأنه يشترط رشد الولي بمعرفة الكفء من الأزواج ومصالح النكاح وهو ما اشترط في الواضح من كونه عالما بالمصالح لا شيخا كبيرا قد أفند أي خرف وضعف في العقل والتصرف ؛ لأن الولاية لا تثبت مع اتصافه بما تقدم ، فوجودُه كعدمِه ، ورضا الزوجين شرط لصحة العقد فإن لم يرضَ أحدهما لا يصح العقد ، ويشترط كون الولي من عصبة المخطوبة وأن يكون العقد على مهر معلوم وإن قل إذا تراضوا عليه ، فإن البركة بالمياسرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : ثلاثٌ حَقٌّ على الله عونُهم : المكاتبُ يريد الأداء والمتزوجُ يريد العفاف ، والمجاهدُ في سبيل الله » « رواه أهل السنن » فرغَّب ﷺ المؤمنين بالبذل والعطاء ، والإحسان ، وساوى ثواب إعانة المتزوج يريد العفاف بثواب عتق الرقابّ ، والجهاد في سبيل الله ، حيث بيَّن ﷺ من يستحق العونَ والمساعدة ، وإعانةُ المتزوج تكون بالمال أو الجاه ، أو دفع بعض الأعيان لمصلحة الزوجين أو تأمين المسكن أو تأثيث أو كفالة صاحب الشأن بضمانه ، ومَنْ أولى بذلك من الشباب المحتاجين ، فهم معرضون لزوابع الفتن ، ولا منقذ لهم منها إلا الله ، ثم قوة الإيمان ، والزواج المبكر لما يترتب عليه من مصالح عظيمة ، وهو العلاج لأخطر الأمراض الاجتماعية ، وهو السبب بتقدير الله لإنجاب الذرية ورفع معنوية الأُسَر ، وبنائها على الفضيلة ومكارم الأخلاق وطرد اليأس عنهم باغتنام فرصة الشباب ربيع العمر واشتغال الجنسين عن الفراغ القاتل وفيه حصول المودة ، والرحمة بحسن المعاشرة بنطاق المحبة

والتسامح ودفن المساوئ بالمحاسن شأن الأخيار الأبرار كما في قوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [سورة فصلت آية ٣٤] وقوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [سورة آل عمران آية ١٣٤] .

فارحموا أبناءكم الشباب (رحمكم الله) وانقذوهم من مشاكل العزوبة وأخطارها ، وأعينوا المحتاجين من حقوق المال الذي أنعم الله به عليكم ، من الزكاة المفروضة ولهم حقوق الإعانة من وجوه البر العامة كالمبرات الملكية ، والمبرات الأميرية خصوصا وأن الله (ولله الحمد) قد وفق أمراءنا وأكثر المسئولين في دولتنا الرشيدة إلى المسارعة في أعمال البر المبرورة فكانوا قدوة حسنة لأبناء شعبهم بالكرم والجود ، وبإغاثة الملهوفين والتفريج عن المكروبين ، ومَنْ أولى بإعانة الشباب من المحسنين ، ومن الجمعيـات الخيرية ، ومن بيت المال ويتأكد وجوب إعانتهم أكثر وأكثر وأكثر على مَنْ فتح الله عليهم الدنيا بغير حساب ، فأين زكواتهم المفروضة من فوق سبع سموات ، والمجموعة مع الصلاة في اثنتين وثمانين آية وموضعا من كتاب الله العظيم ، فأمرُ هذه الفريضة مُهِمٌ وحتمية وجوبها عظيمة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون بإخراج الزكاة واشكروا الله على نعمة الإيمان والإسلام ، ونعمة الأمان ، ونعمة المال ، وخذوا بنصيبكم من خير الدنيا (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا في اثنتين . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها .) [متفق عليه] . ومنه يتضح أنما يدفعه المحسنون لإعانة الشباب ليتزوجوا فهو في سبيل الله وهم بذلك يبنون الأخلاق ، ويصلحون سبل الفساد ، ويدفعون عجلة التقدم الديني ، والثقافي والاجتماعي ، والمادي و الأمني ، وأنتم تشاهدون ثمرات الإصلاح ، والتوعية الإسلامية بين الشباب بإيقاظهم من غفلتهم ومحافظتهم على مكارم الأخلاق ، واعتياد المساجد ، وإن كان سن المراهقة يصعب على بعضهم ، إلا أن البيئة الصالحة تؤثر في إصلاحهم . قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ [سورة الطور آية ٢١] .

فصل في وجوب حسن المعاشرة بين الزوجين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقا رضي منها آخر » رواه مسلم .

فأرشد ﷺ إلى حسن المعاشرة الزوجية لقوله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ . { سورة النساء آية ١٩ } . ﴿ ولهن مثل الذي عليهن المعروف ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٨] . أي باللين والعطف والمروءة وخفض الجناح ودفن المساوئ بالمحاسن فيما يراه كل منهما تقصيرا في حقه ، ويعذرها في ذلك لشئونها الخاصة مع الأطفال وأعمال البيت ومتاعبها الصحية والنفسية داخل البيت أو لظروفها الاجتماعية وينظر إليها بعين الرضا ويتعاون معها على بناء صرح أسرتهما الكريمة ، ومن نَهَجَ هذا المنهج القويم فهو المنصفُ الموفق الحكيم المسدَّد في آرائه وتصرفاته ، وبذاك الصبر الجميل وبُعْدِ النظر تدوم العشرة والوفاء والمحبة ويأخذ عنهما أولادهما أفضل مكارم الأخلاق ، فأولئك الأزواج الموفقون . مَنْ أسعدُ حظًّا ؟ الذي يعرض عن محاسن زوجته وينظر إلى مساوئها ويعددها ويبسطها ويفسرها بفنون تجعل بيتها جحيما لا يطاق . يثور لأتفه الأمور . فظ غليظ القلب أشبه بالمتخلف ، ومن يتصف بهذه الأخلاق الذميمة فهو يهدم بيته بيديه ويُكَرِّه نفسَه إلى أهله وأولاده . ويقلده أولاده على سوء أخلاقه فيتحمل آثام مخالفتهم التربوية من جهته ، وفق الله الجميع للرشد والصواب ولما يحبه ويرضاه .

فصل في أساليب الناس في خطبة الفتيات

تعارف الناس عندنا قديما على أن يبعث مريدُ الزواج من إحدى الفتيات إحدى قريباته لرؤيتها ، ويكتفي بنعتها له ووصفها فيقدم أو ويحجم أو يتربص لرؤيتها ولو من بعيد أو يكتفي بوصف الجارة ، وكان أكثر الأولياء لا يستأذنون المخطوبة على الخاطب ، ولا يصفونه أنه شاب أو مُسِنّ أو متزوج أو أعزب طالما أن وليها قانع به ، فلا رأي لها ولا لأمها فيه فينتج عن هذا التصرف عدمُ الوفاق بين البعض وكثرة النشوز في الماضي لكون رضا الزوجين شرطًا لصحة العقد . وبُعْدُ النظر في مثل هذه الأمور من علامات التوفيق للتوافق بين الزوجين فالأسلوب القديم مخالف للنصوص ، والجديد أقرب للصواب

بحكم تمكين الخاطب من رؤية مخطوبته قبل العقد بدون خلوة بها ولا ذهاب معه بالسيارة ، وليحذر من الاتصال بها تليفونيًا ، أو كتابيا قبل الخطبة فيندم ، وليحذر الممكّن من رؤية مخطوبته في حال ارتفاع نظره عنها أن يذكر سبب عدوله عنها لأحد من الناس فوليُّها مكَّنَه من رؤيتها للمصلحة ، وهذه النظرة أمانة في عنقه فإن أفشاها فقد خان الأمانة ، وما لا يروق له قد يروق لغيره ويعلل عدوله عن خطبتها بأنه لم يُمَكَّنْ من رؤيتها فعدل ، وهذا أفضل من أن يقلل من شأنها ويدلل على ضعف و إيمانه على خيانته إفشاء السر وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

فصل في فضل تخفيض المهور وتيسير أمور الزواج

أُوَجِّهُ هذا الرجاء إلى كل مسلم استرعاه الله رعية من بنات وأخوات وقريبات أن يتقي الله فيهن لقوله تعالى : في { آية ٢ من سورة الطلاق } : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ فهن أمانه في أعناق أوليائهن (وفقهم الله) ومن أفضل الإحسان إليهن حُسْنُ التربية وحسن المعاملة والرعاية وتزويج من تبلغ رشدها من خاطبها الكفء بعد إذنها ورضاها ، واتخاذ جانب التيسير ، والتسامح بالتوافق على أيسر الأمور بتسهيل المهور وقصر تكاليف الحفلات على الضروري فيها كي يرتفع الشباب عن الخمول والانفراد ، والحرمات الذى قد يُفضي بالجنسين يوما ما إلى العجز والترمل وليس الخبر كالمعاينة ، قال تعالى : ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ [سورة الحشر آية ٢] .

وأقول بصرف النظر عن اتباع التقاليد الضارة حسا ومعنى فالغرض الأسمى ما تقدم ذكره . وهو حصول الحصانة والسكن للزوجين . ولِطِفْلٍ أو طِفلَةٍ يرزقانها « يكمل الله لهما به زينة الحياة الدنيا » لا يَعْدِ لهُ عندهما جبال من ذهب . فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فالذرية هم قرة عيون والديهم في الحياة ، ومن أفضل ما يدخرون بعد الموت ، يدعون لهم ويتصدقون عنهم . فحياة الأولاد الصالحين وأحفادهم من أولاد البنين والبنات امتدادٌ لحياة آبائهم وأجدادهم بفعل الخير والبر والإحسان ومن خيار المؤمنين مَنْ يسارعون بتزويج مولياتهم حينما يتقدم الخاطب الكفء وكثيرون يدفعون المهور وتكاليف الزفاف من جيوبهم ابتغاء مرضاة الله ولراحة بناتهم أثاب الله الجميع وأحسن إليهم إنه نعم المولى ونعم النصير .

فصل في تحريم حجر ابن العم لابنة عمه بغير رضاها

من المعلوم شرعا وعقلا وفطرةً ، أن الله تعالى خلق بني آدم أحرارا بحدود الشريعة المطهرة ، فالرجل والمرأة كل منهما حُـرٌّ في تصرفاته في ذاته الشخصية ، ولا يجوز لإنسان أن يبغي على آخر أو يظلمه أو يحجر عليه كما يفعل بعض البادية ، وبعض الجهال إذا خطب أحدهم ابنة عمه ورفضت الزواج منه لأي سبب تعلمه ، إما لكونه مسنًا وهي شابة أو فقيرا وبخيلا أو سيء العشرة أوْ لا يستقر مع نسائـه على حال مرضية مما تنفر منه النساء عادة بحكم الدين والأدب ، والطبائع البشرية أوْ لا ترضى أخلاقه فهي معذورة برفضه ؛ لأن الزواج يراد للرغبة والمحبة ، ويكفيها عذرا عن قبوله كونه يحاول التسلط عليها بحجرها إذا رفضت قبوله – قال . وهذا التصرف والبغي والعدوان على المؤمنات من أعظم الظلم ، ولا يجوز السكوت عليه ؛ لأنه من رواسب الجاهلية . ولأنه بمثابة استرقاق الحرائر بغير حق وهو فعل منكر بقول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفـق عليه . وفيه أنه فضح نفسه وقطع رحمه وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، واحتمل إثما عظيما بنص القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ . آية ٥٨ من سورة الأحزاب . وقوله تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [سورة محمد آية ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤] . وأدلة الكتاب والسنة كثيرة تؤكد الوعيد الشديد على قاطعي أرحامهم ، ومعنى اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله عياذاً بالله من سوء المصير .

فصل في ظاهرة غريبة ينبغي أن تحذر

ظاهرة من أخطر الظواهر الاجتماعية . وأسوئها عاقبةً تناولُ بعض الزوجات حبوب منع الحمل بموافقة زوجها أو بدونه . وبصفة مستمرة على الرغم مما تسببه على المرأة من نتائج سيئة : العقم أحيانا أو التهاب الأرحام أوالنزيف وفقد الدم والدوار أو الضعف العام وقد تصاب بتشنجات أو نوبات إغمائية وقد تتضرر من مباشرة زوجها وتبقى في قلق ، أتوافقه على حساب صحتها أم تمنعه حقه فيساورها الخوف أن يتزوج عليها

ويتركها ضحية الحبوب وهما لا يعلمان أسباب المرض ، فنظرية محاولة تقليل الإنجاب بتناول الحبوب نظرية خاطئة لا تقوم على ذرة من الخير بعد ثبوت ضررها من التجارب وكيف يرضى المؤمن أن يحرم نفسه زينة الحياة الدنيا في قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاً ﴾ { آية ٤٦ من سورة الكهف } . فحبوب منع الحمل بمثابة حرب سرية لمحق ذرية المسلمين وإضعافهم ولا يجوز استعمالها إلا لضرورة المرأة التي تحمل سنويا مثلا فتضعف وتحتاج إلى أخذ الحبوب لتنظيم الحمل ما بين سنتين أو ثلاث ثم تتركها إذا اعتدلت صحتها وفيما تقدم كفاية لبيان سنة الله في خلقه ، وفضل التسبب لإنجاب الذرية .

(ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم) والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه وسلم .

وافق الفراغ من تسويد هذه الرسالة المختصرة ١٤٠٥/٦/٦ هـ بقلم راجي عفو ربه سليمان بن محمد عبد الله الحميضي قاضي المحكمة المستعجلة الثانية بمكة المكرمة سابقا . من قبيلة النواصر من بني تميم غفر الله له ولوالديه ومشائخه وجميع المسلمين . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

* * *

الرسالة الرابعة عشرة :

أخلاق الشباب المسلم

للدكتور

محمد تقي الدين الهلالي

- رحمه الله تعالى -

أخلاق الشباب المسلم (*)

قال الله تعالى فى سورة الإسراء ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ .

قال القاسمي في تفسيره :﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ أي بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة والصورة ، والتسلط على ما في الأرض والتمتع به ﴿ وحملناهم في البر والبحر ﴾ أي يسرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيهما وتحصيلها ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي فنون المستلذات التي لم يرزقها غيرهم من المخلوقات ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ أي عظيما ، فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم بأن يعبدوا المتفضل بها وحده ، ويقيموا شرائعه وحدوده . ا .هـ .

فتفضيل الله للإنسان وتكريمه له بجعله الحاكم المتصرف ، وتسخيره له ما في الأرض من حيوان ونبات وجماد يتصرف فيه كيف يشاء ، ويسيره في خدمته ، لم يكن بقوة الجسم ولا بخواص الأعضاء ، فإن كثيرا من الحيوان ، كالأسد والنمر والفيل والدب ، والفرس والبعير أقوى منه بكثير ، وللحيوان مزايا في خلقه ليست للإنسان ، فمنه ما أعطى مزية السرعة في الجرى والسبق كالنعامة والغزال ، ومنه ما أعطى من حاسة الشم أو البصر أو السمع ما يفوق الإنسان بكثير ، فالمزية الكبرى ، والنعمة العظمى التي وهبها الله للإنسان وفضله بها هي العقل والأدب كما قال الشاعر :

ما وهب الله لامرىء هبة	أفضل من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن فُقدا	فَفَقْدُه للحياة أجملُ به

والمراد بالأدب هنا الأدب النفسي وهو الخلق الحسن ، وبه تتفاوت الأمم ارتقاء وانحطاطا ، وقوة وضعفا وسيادة وعبودية ، فما من أمة كثر حظها من الخلق الحسن إلا

(*) عن مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثاني للسنة الأولى (عام : ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) وكان الشيخ محمد تقي الدين يدرِّس بالجامعة وقتئذ ، وقد وجدتها مناسبة لهذا المجموع فرحم الله الشيخ رحمة واسعة فقد وضع يده على خلل ضياع الأخلاق فكانت هذه الكلمة الفاذة .

بلغت أوج الرقى وغاية السعادة ، وإن كانت قليلة العدد ، أو كانت أرضها ضيقة ، أو قليلة الغَنَاء والخير غير صالحة للزرع والضرع ، قليلة الحواصل والثمرات ضعيفة الغلات فإن جميع ما في الأرض من الخيرات والبركات يحمل إليها ، كما قال تعالى في { سورة النحل ١١٢ } : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ﴾ .

المراد بالقرية هنا أهلها ، وهم الأمة والشعب ، وكما حكى الله عن إبراهيم الخليل في دعائه لأهل مكة فى { سورة البقرة ١٢٦ } : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ﴾ وفي { سورة إبراهيم ٥٧ } : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ .

ومن أقام في مكة شرفها الله حتى قبل عصر الطائرات يرى فيها من فواكه الهند وإندونيسيا والشام ومصر ما لا يكاد عجبه ينقضي منه ، مع أنها أرض جبلية قاحلة . ومن أقام في البلاد البريطانية يرى أكثر ما يؤكل فيها ويلبس ويقتنى ويتخذ للزينة مجلوبا إليها من أطراف الدنيا وهي جزائر في البحر ضيقة الرقعة ، شديدة البرد ، لو اقتصر أهلها على ما يخرج من أرضهم لوقعوا في مسغبة .

فإن قلت : هذه مكة دعا لأهلها خليل الله فاستجاب الله دعاءه ، ويوجد فيها قوم صالحون يعبدون الله ويطيعون أمره ، والحجاج ضيوف الله تعالى يقصدونها من كل فج عميق للحج والعمرة ، شعثا غبرا ، يدعون ربهم ، رغبا ورهبا خاشعين لله . أما البلاد البريطانية فأي مزية في أهلها ، وهم أساتذة الاستعمار والغزو ، وكم شعوب أناخوا عليها بكلاكلهم مئات السنين ، فما تخلصت من استعبادهم إلا بعد اللتيا والتي فبماذا استحقوا ذلك العيش الرغد ، وتلك الثمرات ؟ فأين الأدب النفسي والخلق الحسن من أخلاقهم الاستعمارية ؟ فالجواب أن العدل والمساواة في الحقوق والواجبات هما أساس العمران ، وهما موجودان عندهم بلا شك .

أما استعمارهم للبلدان فللكلام عليه مقام آخر يطول شرحه .

وقال تعالى فى { سورة التحريم ٦ } : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم

وأهليكم نارا ﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية { بتصرف } : عن علي ابن أبي طالب قال : معناها : أدبوهم وعلموهم . وقال عن ابن عباس في الآية : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بتقوى الله . وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها .. وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه .

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها . قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة ، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية ، وترك المنكر ، والله الموفق . ا.هـ

أقول : يمكن أن يقول قائل : إن التربية في هذا الزمان قد بلغت عند الأمم الراقية درجة عالية ، وهي تقتضي عدم ضرب الصبيان ، فهناك وسائل أخرى من الترغيب والترهيب والثواب والعقاب تغني عن الضرب ، وتحبب إلى الناشيء التعلم والعمل المثمر فأقول في جوابه : هذا رأي يقال ، والعمل في الأمم الراقية على خلافه ، ففي البلاد الألمانية يفرض على كل تلميذ أن يحضر إلى الكنيسة مع معلمه يوم الأحد ، ويشهد الصلاة والوعظ ، فإن لم يحضر بلا عذر أدب على ذلك بالضرب ، وإن ترك الصلاة في الكنيسة ثلاثة آحاد متوالية طرد من المدرسة . أما في الأيام الستة الباقية من الأسبوع ، فإن الكنيسة تبعث القسيسين إلى المدارس ليصلوا بالتلاميذ في داخل المدرسة ، ويعلمونهم دينهم ساعتين في كل يوم ، ولا يستطيع تلميذ أن يتغيب في هاتين الساعتين إلا إذا كان على دين آخر غير المسيحية .

ولما كان سكان البلاد الألمانية على مذهبين مختلفين ، كاثوليكيين وبروتستانتيين ، كان الواجب على وزارة التعليم يقضي بإعداد المدارس لكل من الفرقتين في كل مدينة أو قرية يكون سكانها مختلفين في المذهب حتى يتمكن التلميذ الذي أبوه كاثوليكي أن يجد مدرسة على مذهبه وكذلك التلميذ الذي يكون أبوه بروتستانتي يتعلم في المدرسة الموافقة

لمذهبه ، فإن وجدت مدينة أو قرية سكانها كلهم على مذهب واحد وسكن بينهم عدد قليل من أهل المذهب الآخر ، يبعثون أولادهم إلى مدينة أخرى توجد فيها مدرسة على مذهبهم ، هذا في المدارس الابتدائية والثانوية . أما في الجامعات ففي كل جامعة كلية لاهوت مختصة بتعليم الدين وهذه الكلية محترمة جدا ، يؤمها الأساتذة في الأعياد والمناسبات للصلاة وسماع الوعظ ، ويتخرج فيها كل سنة كثير من الدكاترة في علم الديـن ، وكلهم يجدون أعمالا في الكنائس والإرساليات ، وتعليم الدين في المدارس العامة .

وهناك مدارس دينية خالصة ، تديرها الكنائس ، ولها مناهجها الخاصة لا تدخل تحـت وزارة التربية والتعليم . وبهذه المناسبة أذكر هنا نبأ تاريخيا يخفى على أكثر الناس ، وذلك أن هتلر اختلف مع الكنيسة الكاثولكية في قضيتين : إحداهما أنه أوجب على المدارس الدينية التابعة للكنيسة أن تطبق منهاج وزارة التربية والتعليم ، فعدت الكنيسة الكاثولكية ذلك تدخلا في شؤون الدين ، وعدوانا على الكنيسة . والثانية أنه استولى على الذهب المخزون في الكنائس ، وفرض لرجال الكنيسة رواتب يعطونها من وزارة المالية ، ولهاتين القضيتين انضم الكاثولكيون إلى اليهود في عداوة هتلر ، وأخذوا يكيدون له .

وهذا كله يبطل ما ينشره دجاجلة الاستعمار الروحي من زعمهم أن الأمم الأوربية التي بلغت أوج الرقي هجرت الدين وضربت به عرض الحائط ، وكان ذلك سبب تقدمها ، والأدلة على كذب هذه الدعاية أكثر من أن تحصى . وقد نشرت في « مجلة دعوة الحق » أدلة بأرقام مأخوذة من سفارات الدول الراقية في أوربا على تدين شعوبها ، وقلة المارقين من الدين فيها ، هذا مع أن دين النصرانية لا يتكفل بتدبير شؤون الدين والدنيا كما يفعل الإسلام الحنيف ، بل يقول من جملة ما يقول : أعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر . أما الإسلام فيقول : ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ، ليجزي الذي أساؤوا بما عملوا ، ويجزي الذي أحسنوا بالحسنى﴾ . { سورة النجم : ٣١ } .

ويقول في { سورة المائدة : ١٨ } ﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ ويقول في { سورة الاعراف : ١٢٨ } ﴿قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا ، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين﴾

ويقول في { سورة النجم : ٢٥ } ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ ففي نظر الإسلام كل شيء لله ، وليس لقيصر شيء ، بل قيصر نفسه مملوك لله .

وقد جرب المسلمون السابقون التمسك بالإسلام فوجدوه كفيلا بسعادة الروح والبدن ، وضابطا لمصالح الدين والدنيا ، فالعجب من قوم يكون عندهم هذا الدين الحنيف محفوظا خالصا ، لا تشوبه شائبة ، ويرون كيف سعدت به أسلافهم ، ثم يتنكرون له ويجهلونه ويحهلون عليه ، ويرددون أقوال أعدائه ، وينشرونها بين قومهم ، مع ما فيها من الكذب والتدليس والتمويه والتحريف .

وقال تعالى في { سورة طه : ١٣٢ } :﴿ وَأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقوله تعالى ﴿ وَأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ أى استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة ، واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ قال ابن أبي حاتم بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ (كذا) ، وكان له ساعة من الليل يصلي فيها ، فربما لم يقم فنقول : لا يقوم الليلة كما كان يقوم ، وكان إذا استيقظ أقام ، يعني أهله وقال : ﴿ وَأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ .

وقوله ﴿ لا نسألك رزقا نحن نرزقك ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب وقال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون – إلى قوله – إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ { الذاريات : ٥٦ – ٥٨ } ، ولهذا قال :﴿ لا نسألك رزقا نحن نرزقك ﴾ وقال الثورى : لا نسألك رزقا ، أي لا نكلفك الطلب .

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفا ، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ﴿ ولا تمدن عينيك – إلى قوله – نحن نرزقك ﴾ ثم يقول : الصلاة الصلاة رحمكم الله .

وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى ثابت قال : كان النبي ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا صلوا . قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة .

وقد روى الترمذى وابن ماجة من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ، ولا أسد فقرك .

وروى ابن ماجة من حديث ابن مسعود : سمعت نبيكم ﷺ يقول : من جعل الهموم هما واحدًا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك .

وروى أيضا من حديث ثابت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة .

وقوله ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ أى وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة لمن اتقى . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع ، وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة ، وأن ديننا قد طاب . ا هـ

شروح وإيضاح

١ - قوله « كان يبيت عنده أنا ويرفأ يظهر لي في هذه العبارة خلل إلا إذا أولناها على أن اسم كان ضمير الشأن ، وجملة يبيت خبرها وحتى على هذا التأويل يبقى الخلل كما هو ، إذ لا يقال يبيت أنا ، فلعله تحريف من بعض النساخ ، والصواب كنا نبيت عنده أنا ويرفأ ، ويرفأ اسم علم كيزيد ويشكر .

٢ - قوله « فربما لم يقم » يعني أن عمر رضي الله عنه كان له وقت من الليل ، وكان خادماه زيد بن أسلم ويرفأ يراقبان قيامه ، وفي بعض الأحيان كان يتأخر عن القيام ، ولعل ذلك لغلبة نوم ، وكان إذا قام لصلاة النافلة بالليل يقيم أهل بيته للاشتراك معه فى العبادة اقتداء بالنبي ﷺ الذي أمره الله أن يأمر أهله بالصلاة ويصبر عليها ، وستأتى زيادة بيان لهذا المعنى .

٣ - فهم المفسرون من قوله تعالى ﴿ لا نسألك رزقا نحن نرزقك ﴾ أن من لم يشغله طلب الرزق عن صلاته عناية بها ومحافظة عليها رزقه الله وأغناه بفضله ، وأن من

ظن أن المحافظة على الصلاة في أوقاتها تنقص رزقه أو تمنعه ملأ الله قلبه هما وغما ولم يأته من الرزق إلا ما كتب له كما سيأتي في الحديث صريحا .

٤ – قوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ { سورة الذاريات : ٥٦ – ٥٨ } . أخبر الله سبحانه أنه خلق الخلق لغرض واحد يعود عليهم بالخير والسعادة وذلك الغرض هو عبادته وحده لا شريك له ، وهو غني عن العالمين ، وهم محتاجون إليه ، فمن اشتغل بالغرض الذي خلقه الله لأجله فقد أفلح وسعد ورشد واهتدى ، وقد ضمن الله له رزقه يأتيه من حيث لا يدري ، ومن لم يثق بوعد الله ، وشغله طلب الرزق عما خُلق له شتت الله شمله ، وأكثر همه ، ولم ينل من الرزق إلا ما قدر له .

٥ – قوله (هشام عن أبيه) يعني عروة بن الزبير بن العوام (كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا) المراد بالطرف نفائس الأموال التي يندر مثيلها (فإذا رجع إلى أهله ودخل بيته ، ولم ير فيه تلك النفائس التي رآها في بيوت أهل الثراء المترفين يتلو قوله تعالى ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ الآية .

قال ابن كثير في تفسيره : يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : لا تنظر إلى مافيه هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم من النعيم ، فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة ، ليختبرهم بذلك أيشكرون أم يكفرون ، وقليل من عبادي الشكور ، وقال مجاهد (أزواجا منهم) يعني الأغنياء ، فقد آتاك الله خيرا مما آتاهم . وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف ، كما قال تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ولهذا قال : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ ا هـ .

أقول : في هذا الخطاب تزهيد للنبي ﷺ ولأمته في الدنيا وزخارفها وإبعاد لهم عن الافتتان بزهرتها وزينتها ، لأن من فتن بها أهلكته وشغلته عن ذكر الله ، هذا مع العلم بأن النبي ﷺ كان رئيس الدولة وهو الذي كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، والأموال كلها بيده ، ولكنه كان زاهدا فيها ، مفضلا التقشف في المعيشة طوعا واختياراً ، لا حاجة واضطرارا ، فكان ينام على الحصير حتى يؤثر في جسمه الشريف وكان يمر الشهر والشهران لا توقد النار في بيته ، وإنما يعيش هو وأهله على الماء والتمر كما في حديث عائشة في الصحيحين . فكان عروة بن الزبير إذا دخل بيته يعظ نفسه

وأهله بهذه الآية وينادي فيهم : الصلاة الصلاة ، ففي الصلاة نعيم وقرة عين للمتقين كما قال النبي ﷺ : « وجُعلت قرة عيني في الصلاة » والمراد بقرة العين الفرح والسرور .

٦ - قوله (إذا أصابه خصاصة) أي حاجة وضيق في المعيشة ، أمر أهله بالصلاة امتثالا لأمر الله تعالى لأن الصلاة تعين كل محتاج وتفرج كربه كما قال تعالى في { سورة البقرة : ١٥٣ } ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ وهذه سنة سائر الأنبياء إذا نزل بهم أمر يكرهونه يفزعون إلى الصلاة ، فيدفع الله عنهم بها كل مكروه ، ويبدلهم بالعسر يسرا ، وبالضيق سعة ، وبالشدة رخاء ، وهكذا ينبغي للمؤمنين الصادقين ، شبابا كانوا أم كهولا أم شيوخا أن يفعلوا إذا نزل بهم ما يكرهون أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فالصبر يهون عليهم المصيبة ويفتح لهم باب الفرج والصلاة استغاثة واستعانة بالله تعالى .

وقد رأينا محمد علي كلاي الملاكم العالمي المشهور إذا أراد أن ينازل بطلا من أبطال الملاكمة يصلي ويدعو الله تعالى ، ويستمد منه القوة على خصمه ، فينصره الله ، ويهزم عدوه ، فهذا هو الأدب المحمدي الذي ينجح في كل زمان ومكان .

٧ - حديث أبي هريرة القدسي ، يقول الله تعالى : « يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » . في هذا الحديث جواب للذين يسألون عن أوقات الصلاة إذا فرض فيها شغل دنيوي كالمعلمين وتلامذة المدارس ، والموظفين في الإدارات ، وفي سائر الأعمال إذا دخل وقت العصر ، هل يتفرغون لعبادة الله لمدة خمس دقائق ، ويؤدون فريضتهم ، ويدعون شغلهم جانبا ، فإن فعلوا ذلك ملأ الله صدورهم وأيديهم غنى ، وأزال فقرهم الحسي والمعنوي ، فالمعنوي هو فقر القلب وجزعه ، وشغله بالتفكير في الرزق ، أو في الوسيلة التي يظن أن الرزق يأتي بسببها ، وإن هم لم يستجيبوا لدعوة الله ، وتمادوا في شغلهم وأعرضوا عن صلاة العصر وحدها ، لأنها هي التي تجيء عادة في وسط الأشغال ، وبها يمتحن المؤمن ، فإن كان صادق العزم ثابت اليقين ، وقف الشغل الدنيوي من بيع وشراء وعمل في مزرعة أو مصنع ، أو مدرسة أو مختبر ، أو غير ذلك وتفرغ لعبادة الله واستجاب لدعوته ، فيزيده الله قوة إلى قوته ، ويملأ صدره غنى وثقة به ، وذلك هو الظفر والنصر

المبين ، وإن كان خائر العزم ، ضعيف الإرادة ، كبر عليه ترك شغله وخيل له أن في تركه خسارة لا تعوض ، فيستمر في شغله ، عاصيا ربه ، خائنا دينه ، خائسا [1] بعهده ، فحينئذ يمتليء صدره غما وشغلا يلازمانه أبدا .

أخرج البخاري في كتاب المواقيت من صحيحه عن أبي المليح قال : كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال : بكروا بصلاة العصر ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » .

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول ﷺ قال : « الذي تفوته صلاة العصر ، كأنما وتر أهله وماله » .

نفهم من الحديث الأول ومن غيره من الأحاديث الصحاح والآيات البينات أن من ترك صلاة العصر عمدا بلا عذر شرعي حتى خرج وقتها فقد بطل عمله الصالح كله ، لأنه كفر فإن تاب ورجع إلى الإسلام ، وعاهد الله عهدًا صادقًا أن لا يتعمد ترك صلاة مفروضة أبدا ، فإن الله يرد له ما حبط من عمله .

ومثل هذا قوله تعالى في [سورة الزمر : آية ٦٥] ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ﴾ وقول النبي ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » [2] . وإذا كان ترك الصلاة عمدا كفرا فلا إشكال في حبوط العمل .

وأما الحديث الثاني « الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » ، أي خسر ماله وأهله ، وبقي فردا بلا أهل ولا مال ، ومثل ذلك قوله تعالى في [سورة الزمر : ١٥] ﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ وكل فريضة حدد وقتها يجب على المسلم أن يترك كل شغل يشغله عن أدائها ، قال تعالى في [سورة الجمعة : آية ٩ – ١٠] ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ، فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ فحرم الله على المسلمين أن

(١) يُقال : خاس بعهده – إذا غدر ونكث .

(٢) رواه مسلم من حديث جابر

يشتغلوا بالبيع أو غيره من أمور الدنيا بعد أذان الجمعة ، وأوجب عليهم أن يسعوا إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة حتى إذا سلم الإمام من صلاة الجمعة فقد أذن الله لهم أن يخرجوا من المسجد ، وينتشروا في الأرض ليشتغلوا بأعمالهم التي تكفل لهم رزقهم .

ومثل ذلك قوله تعالى في [سورة المعارج : آية ١٦ - ٣٥] ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم بشهاداتهم قائمون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون ﴾ .

أخبرنا الله سبحانه أن الإنسان ، يعني جميع الناس خلق هلوعا ، جعل من طبعه الهلع وهو الجزع وشدة الحرص ، فتفسير هلوعا هو ما بعده (إذا مسه الشر) المرض والفقر ، وسائر المصائب (جزوعا) يائسا خاضعا ، منقطع الرجاء (وإذا مسه الخير) وهو الغنى والصحة والقوة والنصر ، وسائر النعم (منوعا) بخيلا ، لا ينفع غيره بشيء .

ثم استثنى الله تعالى من الناس المجبولين على ذلك الطبع الخبيث المصلين ، وأكد وصفهم بقوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) أي محافظون على أوقاتها وشروطها وأركانها وآدابها . ووصفهم بصفات بدأها بالمحافظة على الصلاة ، وذكر بينهما صفات ، أولاها : أن في أموالهم حقا معلوما للفقراء والمحتاجين ، سواء أكانوا من الذين يظهرون فقرهم وحاجتهم ، ويسألون الناس ، أم كانوا من المتعففين الذين يكتمون فقرهم ، ولا يسألون الناس وهم القسم المعبر عنه بالمحروم ، لأن أكثر الناس يحرمونهم من الصدقة .

ثانيتها : أنهم يصدقون بيوم الدين ، أي يؤمنون بيوم القيامة ، وهو يوم الجزاء ، ويجعلونه نصب أعينهم فيبعثهم ذلك على مراقبة الله تعالى ، فلا يفعلون إلا ما يرضيه .

ثالثتها : الخوف من الله تعالى ، فهم يخافون عذابه ، ولا يأمنون مكره ، فإنه لا يأمنه إلا القوم الخاسرون . رابعتها أنهم يحفظون فروجهم عما حرم الله ويقتصرون على ما أحل الله . خامستها أنهم يحافظون على عهدهم إذا عاهدوا مسلما أو ذميا ، أو معاهدا أو مصالحا ، لا ينقضونه أبدا . سادستها أنهم يقومون بشهاداتهم فيؤدونها كما علموها ، ولو كانت على الوالدين والأقربين ، لا يزيدون ولا يغيرون ، ولا يكتمونها أبدا ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه .

فهذه صفات المؤمنين الصادقين ، لا جرم أن كل شعب سادت فيه هذه الصفات يكون سعيدا في دنياه وأخراه ، عزيزا مؤيدا منصورا ، جعلنا الله من أهلها .

٨ – رأى النبي (ﷺ) في المنام – ورؤيا الأنبياء حق – أنه كان مع بعض أصحابه في دار عقبة بن رافع ، فوضع لهم رطب من النوع المسمى ابن طاب وهو نوع من رطب المدينة ، ففسر النبي ﷺ هذه الرؤيا بأن العاقبة الحسنة والرفعة له ولأمته في الدنيا والآخرة ، وأن دين الإسلام طاب ، أي زكا وبورك فيه فعلا وانتصر ، وكذلك وقع ، ، وهذا مضمون للأمة الإسلامية إلى يوم القيامة بشرطه ، وهو الإيمان ، والاجتماع على إعلاء كلمة الله ، والجهاد في سبيل الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى في [سورة غافر : ٥١] ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ .

قال القاسمي في تفسير هذه الآية : أي لننصرهم في الدارين . أما في الدنيا فبإهلاك عدوهم واستئصاله عاجلا ، أو بإظفارهم بعدوهم وإظهارهم عليه ، وجعل الدولة لهم والعاقبة لأتباعهم . وأما في الآخرة فبالنعيم الأبدي والحبور السرمدي ، والأشهاد جمع شاهد ، وهم من يشهد على تبليغ الرسل وتكذيب من كذبهم ظلما . أو جمع شهيد ، كأشراف وشريف . ا هـ

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وفي الحديث القدسي ، إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب . ا هـ و معناه أن الله ينتقم لأوليائه ، وهم المؤمنون ، كما ينتقم الأسد

الغضبان ممن أغضبه ، والله عزيز ذو انتقام .. وقال تعالى في [سورة الصافات : آية ١٧١ - ١٧٣] ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ وقبلها [الآية : ١٦٧ - ١٦٩] ﴿ وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين . لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ﴾ .

أخبر سبحانه وتعالى أن كفار العرب كانوا يقولون قبل نزول القرآن وبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام (لو أن عندنا ذكرا من الأولين) أي كتابا من الكتب التي أنزلها الله عليهم لاهتدينا به ، وتطهرنا به من جهالاتنا (وكنا عباد الله المخلصين) المطهرين من كل ضلال وشر وشرك ، فلما جاءهم أفضل كتاب بوساطة أفضل رسول كفروا به وكذبوه قال الله تعالى (فسوف يعلمون) هذا تهديد لهم بعذاب عظيم لم يكن لهم في حسبان ، وهو تهديد لكل أمة بلغها هذا الكتاب ، فأعرضت عنه ، ولم تتخذه إماما وحكما ، ولم تستضيء بنوره ، ولا اهتدت بهداه ، لابد أن يصيبها عذاب عظيم فوق ما يخطر بالبال ، ونحن نشاهد هذا العذاب اليوم بأعيننا يصيب الشعوب التي أعرضت عن كتاب الله ، ورفضت شريعته وسنة رسوله بعدما علمت يقينا ما أدركه أسلافها من السعادة والعز والنصر المبين باتباع هذا الكتاب الكريم ، والرسول ذي الخلق العظيم .

وبعد هذا التمهيد قال سبحانه وتعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ اللام واقعة في جواب قسم ، أي وتالله لقد سبقت كلمتنا لعبادنا الذين أرسلناهم إلى الإمم ليقوموا بإرشادها وهدايتها وإنقاذها من أوحالها ونكباتها ، وإخراجها من الظلمات إلى النور ، وتلك الكلمة التي سبقت من الله تعالى هي قوله سبحانه ﴿ إنهم لهم المنصورون ﴾ على كل من عاداهم من أقوامهم وغيرهم ، ﴿ وإن جندنا ﴾ وهم المرسلون وأتباعهم الصادقون (لهم الغالبون) لكل من عاداهم ووقف في طريقهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

وقد رأينا هذا الوعد بعيون بصائرنا عبر التاريخ الطويل يتحقق على أيدي شعوب مختلفة في الجنس ، واللون والأوطان ، ولكنها متفقة في الاهتداء بالقرآن ، وحروب المغاربة في أوروبا من طارق إلى المرينيين ، وحروب المسلمين في فلسطين وبلاد الشام

لجميع الدول النصرانية مدة مائتي عام ، وقبل ذلك حروب العرب في العراق وخراسان ، وإفريقية ، وبلاد السند ، كل ذلك أدلة قاطعة ، وبراهين ساطعة .

وما أصاب المسلمين من الشتات والذلة والهوان وضنك العيش في هذه الأزمنة المتأخرة حجج قائمة عليهم تسجل عليهم أنهم هم الذين أخلفوا ونقضوا عهدهم كما قال تعالى في [سورة الأنفال : آية ٢٣] ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإن الله سميع عليم ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : يخبر تعالى عن تمام عدله ، وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال ﴾ . ا هـ

وقال تعالى في [سورة مريم آية ٥٤ - ٥٥] ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضيا ﴾ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه صادق الوعد . وقال ابن جريج : لم يَعِد ربه عِدَةً إلا أنجزها ، يعني ما التزم عبادة قط بنذر إلا قام بها ووفاها حقها .

وقال ابن جرير بسنده إلى سهل بن عقيل إن إسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسي الرجل ، فظل به إسماعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ها هنا ؟ قال : لا ، قال : إني نسيت ، قال : لم أكن لأبرح حتى تأتيني ، فلذلك كان صادق الوعد .

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث ، فبقيت له على بقية ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك ، قال : فنسيت يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك ، فقال لي : يا فتى لقد شققت علي ، أنا ها هنا منذ ثلاث انتظرك .

فصدق الوعد من الصفات الحميدة ، كما أن خلفه من الصفات الذميمة . قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتُمِنَ خان » .

ولما كانت هذه صفات المنافقين ، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد ، وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضا لا يعد أحدا شيئا إلا وفى له به . وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال : حدثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي .

ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق : من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني أنجز له ، فجاء جابر بن عبد الله فقال : إن رسول الله ﷺ كان قال لي : لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ، يعني ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابرا ، فغرف بيديه من المال ، ثم أمره بعده ، فإذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثليها معها .

وقوله ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق ، لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » ، وذكر تمام الحديث . فدل على صحة ما قلناه .

وقوله ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وكان عند ربه مرضيا ﴾ هذا أيضا من الثناء الجميل ، والصفة الحميدة ، والخلة السديدة حيث كان صابرا على طاعة ربه عز وجل ، آمرا بها أهله كما قال تعالى لرسوله ﴿ وَأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية . وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ الآية . أي مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر ، ولا تَدَعوهم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة .

وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله رجلا قام الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل

فصلت وأيقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء . أخرجه أبو داود وابن ماجة .
وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة . ا هـ

توضيحات

١ - وصف الله سبحانه إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بصفات كريمة أولاها صدق الوعد ، وثانيتها أنه كان رسولا نبيا أنزل الله عليه وحيه ، وأرسله لهداية خلقه . وثالثتها أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وأخيرا أنه كان عند ربه مرضيا . فلماذا قدم صفة صدق الوعد على ذكر الرسالة والنبوة ، وأمره أهله بالصلاة والزكاة ؟

الجواب ، لأن صدق الوعد دليل على الإخلاص ، فمن لم يكن صادق الوعد لم يقبل الله منه صلاة ولا زكاة ، ولنا على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة .

وبيان ذلك أن العبادات كلها من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة ، وتعلم وتعليم ، وجهاد للنفس ، وجهاد للعدو ، وغير ذلك إنما هي وسائل لتهذيب النفس ، وليست في أنفسها غايات ، فإذا لم يحصل بها التهذيب المطلوب فهي لغو لا قيمة لها يزاد على ذلك أنها تدل على عدم إخلاص فاعلها ، ورياءه ومخادعته لله ولعباده المؤمنين .

وقد وصف الله المنافقين بقوله في [سورة النساء : آية ١٤٢ - ١٤٣] ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ فصلاة هؤلاء المنافقين لم تغنِ عنهم شيئا ، وهم في الدنيا مجللون بالخزي وفي الآخرة في الدرك الأسفل من النار .
وقال تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ أي يقصدون بعبادتهم أن يراهم الناس فيمدحونهم وقلوبهم خربة ليس فيها خير ، فلذلك ﴿ يمنعون الماعون ﴾ المراد بالماعون على تفسير عبد الله

ابن مسعود وكثير من أصحاب رسول الله ﷺ هو ما يعيره بعضهم لبعض كالفأس والقدر والدلو والميزان والمد ونحو ذلك . قال ابن كثير رحمه الله : والذي يمنع الماعون مع بقاء عينه أجدر وأحرى أن يمنع الزكاة ، والصدقة والإحسان .

وقد وضع النبي ﷺ ميزانا يمتحن به الناس ، يتميز به المؤمن من المنافق ، وهو قوله فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتُمِنَ خان) . زاد مسلم في روايته : « وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » . فأخبر النبي ﷺ بعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غموض أن من اجتمعت فيه الخصال الثلاث ، وصارت له خلقا وديدنًا لا يتحرج منها ، هو كافر خالص الكفر من شرار الكفار ، وهم المنافقون ، وأن هذه الخصال لا تكاد تجتمع في مؤمن البتة ، فإن قال : أنا مسلم ، فقد أمرنا أن لا نصدقه ، وإن صلى وصام فلا صلاة له ولا صيام .

وقد أعطانا رسول الله ﷺ هذه العلامات لنستدل بها على المؤمن الصادق ، ونعرف بفقدها أعداء الإسلام المتقمصين ثوبه لمآرب يبتغونها ودسائس يرجونها ، وليس معنى ذلك أن نطردهم من المساجد ، ولا من المجتمعات الإسلامية ، ولا أن نحكم عليهم بالردة ، ونعاملهم معاملة غير المسلمين في الأحكام الشرعية ، بل نعتبرهم مسلمين ظاهرا ، ونحترز منهم ، ولا نأمنهم على مصالح الإسلام .

٢ - قوله (وهو والد عرب الحجاز كلهم) من المعلوم أن العرب فريقان : العرب العاربة ، وهم أبناء يعرب من قحطان ، وهم سكان جنوب الجزيرة العربية ، ولهم تاريخ حافل ، وآثار قديمة باقية ، وقد كانت لهم دول عظيمة عريقة في القدم ، كدولة حمير ودولة سبأ ودولة معين .

وأما الشماليون فيسمون العرب المستعربة ، لأن أباهم إسماعيل لم يكن عربيا في الأصل ، وإنما تعلم العربية لأنه نشأ بين العرب في مكة وتزوج منهم ، وبارك الله في ذريته كما جاء في سفر التكوين من العهد القديم في الباب السادس عشر أن ساراى امرأة أبرام لم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لإبرام : إن الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين ، فسمع أبرام لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين

لإقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها أبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها ، فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينها يحكم الله بيني وبينك ، فقال أبرام لساراي : هذه جاريتك في يدك ، افعلي بها ما يحسن في عينك ، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها ، فوجدها ملك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور ، وقال : يا هاجر جارية ساراي ، من أين أتيت وإلى أين تذهبين ؟ أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي ، فقال لها ملك الرب : ارجعي إلى مولاتك ، واخضعي تحت يديها . وقال لها ملك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وإنه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن . ا هـ

وهذه بشارة جاءت في العهد القديم بأن الله يكثر أولاد إسماعيل . وقول المترجمين للتوراة (إنه يكون إنسانا وحشيا ، يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه) من أفسد الترجمات ارتكبها أولئك المترجمون تعصبا وتحريفا للكتاب ، ولم يفطنوا إلى التناقض الذي بين الصفتين ، فالإنسان الوحشي لا يتصل بالناس ولا يألفهم ولا يألفونه ، ويحبهم ويحبونه .

ولا يستغرب التحريف من المترجمين فقد أخبر العالم اللغوي الأديب المحقق إبراهيم اليازجي أنهم دعوه إلى لندن ليعينهم على ترجمة التوراة ، فكان يختلف معهم كثيرا ، فكلما ذكر لهم عبارة فصيحة تؤدي المعنى يرفضونها ، ويقولون : إنها تشبه عبارات القرآن ، وهم يريدون أن يبتعدوا عن عبارات القرآن كل الابتعاد وقد نظرت في الكلمة التي ترجموها وهي (بري آدم) في معجم (روبين أفنيوم كوسمن) فوجدت لها المعاني التالية أنقلها بأمانة من الإنجليزية إلى العربية : ١ - الحمار الوحشي ٢ - الحيوان الوحشي ٣ - ساكن الصحراء ٤ - خشن الطبع ٥ - وحشي ٦ - همجي ٧ - إنسان وحشي سيء الخلق .

فأي هذه الألفاظ يصلح للترجمة ذلك اللفظ الوراد في مقام البشارة والمدح والثناء

على مولود ، علم الله أنه يكون نبيا رسولا ، أبا لأمة عظيمة ، ولأفضل الخلق ، وهو محمد ﷺ ، لا شك أن اللفظ الوحيد الذي تصح به الترجمة هو الثالث ، وهو أنه ساكن الصحراء وهو المطابق للواقع ، فإن إسماعيل كان يسكن بمكة شرفها الله ، ويعيش في الصحراء على لحم الصيد ، وفي الحديث (ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا) وفي صحيح البخاري أن إبراهيم توجه لزيارة ابنه إسماعيل في مكة فلم يجده ، فسأل عنه زوجته فأخبرته أنه ذهب للصيد ، ثم ذهب لزيارته مرة ثانية ، وثالثة فلم يجده ، إنه كان غائبا يصطاد للمعيشة لا للتنزه ، وفي كل مرة كان يوصي زوجته بشيء تقوله له إذا رجع .

وقد تبين أن أولئك المترجمين أخطئوا خطأ فاحشا في ترجمة ذلك اللفظ ، وأغلب الظن أن يكونوا متعمدين ، فقبح اللهّ التعصب ، فإنه ما دخل شيئا إلا أفسده . والمراد بعرب الحجاز : ربيعة ومضر .

٣ - انتظــر إسماعيل الرجل الذي وعده في المكان الذي وعده أن يجتمع به يوما وليلة . وانتظر محمد ﷺ الرجل الذي تبايع معه في الجاهلية قبل أن يكون نبيا في المكان الذي وعده ثلاثة أيام ، فما المراد بهذا الانتظار ؟ هل هو الحرص على قضاء تلك الدريهمات ؟ لا والله ، ولكنه تلقين درس في الأخلاق ، يعتبر به كل موفق ، ويلتزمه كل إنسان ذى شرف ومروءة يحترم نفسه . والعادة الجارية اليوم في الشعوب الراقية التي تقدس الأخلاق أن المتواعدين إذا مرت خمس دقائق إلى ربع ساعة ، ولم يجيء أحدهما فقد برئت ذمة المنتظر ، وبقيت ذمة صاحبه معلقة ، فإن كان له عذر قاهر برئت ذمته هو أيضا ، وإلا توجه اللوم إليه ، وكان هو الخاسر الذي يجب عليه أن يعتذر لصاحبه ويخجل كل الخجل .

وكل أمة شاع فيها الوفاء بالوعد وتنافس أبناؤها في التخلق بهذا الخلق الجميل الذي هو أحد أركان الأخلاق سعدت وقويت ، وانتصرت على أعدائها ، وبلغت من ذلك فوق ما أملت ، كما أن كل أمة شاع فيها إخلاف الوعد ، ونقض العهد ، وما إلى ذلك من الكذب والخيانة والغدر والظلم والخداع ، فإنها لن تفلح أبدا ولن تكتب لها الحياة الحقيقية ما دامت متخلقة بتلك الأخلاق المرذولة ، سواء استوطنت الصحراء أم استوطنت أغنى الأراضي وأجملها ، فإنها تعيش في شقاء دائم ، وظلام مدلهم .

وهذه الحقيقة لا تتغير أبدًا بتغير المكان والزمان أو القوم . ومساوىء الأخلاق سبب شقاء الشعوب الأعظم ومن ينتسب إلى إسماعيل بالبنوة ، وإلى محمد ﷺ بالإيمان والاتباع يجب عليه أن يعتبر هذا الدرس أكثر من غيره ليكون وارثا لهما إرثا حقيقيا يرفعه ويعلي درجته ، فإن لم يفعل ، فإن انتسابه إليهما لا يزيده إلا خزيا وعارا .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٤ - قوله (وقد أثنى على أبي العاص) هو أبو العاص بن الربيع العبشمي القرشي ، اشتهر بكنيته كان من أعيان مكة ، زوجه النبي ﷺ أكبر بناته زينب ، فولدت له أمامة التي كان النبي ﷺ يحملها على كتفه ، وصلى بالناس في المسجد وهو حاملها ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها .

ولما كانت غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة خرج أبو العاص مع المشركين فأسر ، فبعثت زينب بقلادة لها لتفديه بها ، وكانت أمها خديجة رضي الله عنها قد وهبتها لها حين تزوجت ، فلما رأى النبي ﷺ تلك القلادة رق لابنته ، وقال للمسلمين : إن رأيتم أن تردوا لها قلادتها ، وتطلقوا أسيرها ، فأطلق سراح أبي العاص ، فشرط عليه النبي ﷺ أن يبعث له ابنته زينب ، فوفى بوعده وبعثها .

وفي السنة الرابعة للهجرة سافر أبو العاص ، ومعه قافلة لأهل مكة متوجها إلى الشام فأسره المسلمون مرة ثانية ، فلما سمعت بذلك زينب قالت : يا رسول الله ، أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا ؟ قال : نعم قالت : فاشهد أني أجرت أبا العاص فأطلقوا سراحه ، فتوجه إلى مكة ورد الأمانات إلى أهلها ، ثم قام فقال يا أهل مكة ، أوفيت ذمتي ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ثم قدم المدينة مهاجرا ، فدفع إليه رسول الله ﷺ زوجته بالنكاح الأول ، وقيل : بعقد جديد ، والأول أرجح . وماتت زينب في حياة النبي ﷺ . أما أبو العاص فتوفي في السنة الثانية عشرة للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق .

٥ - وينبغي لنا أن نتأمل تأملا طويلا في وفاء الخليفة الأول أبي بكر الصديق بوعد

النبي ﷺ للصحابي الجليل جابر بن عبد الله على أحسن وجه ، وزاده مثلي ، فبلغ مجموع ما أعطاه ألفا وخمسمائة درهم .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المحافل

بمثل هذه الأخلاق بلغ المسلمون الأولون من المجد والسؤدد غايتهما حتى وصلوا إلى بلادنا وفتحوها ، وهي أقصى المعمور من جهة الغرب حسبما كان معروفا في ذلك الزمان ، وبهذه الأخلاق نفسها يمكن أن ينهض المسلمون المتأخرون من كبوتهم ، وينفضوا غبار الذل عنهم ، ويستأنفوا الحياة من جديد ، وإلا فلا بعث لهم من مرقدهم بإعراضهم عن أخلاق سلفهم الصالح ، واستبدالها بمحاولة التشبه بالأجانب ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

٦ - قوله (وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل) ويشهد لذلك ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم في الآية ١٨ وما بعدها من الباب السابع عشر : وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة . ا هـ

٧ - حديثا أبي سعيد وأبي هريرة في إيقاظ الرجل زوجته وصلاتهما ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والذاكرون الله كثيرا أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما كما في [سورة الأحزاب : ٣٥] . وهذا الأجر العظيم كفيل بسعادة الدنيا والآخرة . وقال تعالى في [سورة البقرة : ١٥٢] ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ فإذا كان رجال الأمة ونساؤها متخلقين بهذا الخلق فبشرهم بالعظمة والقوة والمجد والرفعة ، وإذا كانوا عنه معرضين فبشرهم بعذاب أليم .

وتأمل دعاء النبي ﷺ بالرحمة لكل رجل قام من الليل لذكر الله بالصلاة ، وأيقظ زوجته لتشاركه في هذه الغنيمة ، فإن امتنعت رش على وجهها ماء يُطير النوم عن عينيها وينشطها للقيام ، وبمثل ذلك دعا للمرأة الصالحة التي تقوم من الليل لذكر الله ، ومناجاة

ربها في صلاتها ، فتوقظ بعلها ليشاركها الخير ، فإن أبى رشت على وجهه ماء يوقظه من سِنَته ، وينشطه للقيام فهذه صفة الأمة السعيدة القوية المنصورة المؤيدة ، وخلافها صفة الأمة الخائرة الضعيفة المتخاذلة الشقية .

فنسأل الله أن يوفقنا لإحياء ما اندثر من مجدنا ، واسترداد ما فقدناه من تراثنا حتى نكون خير خلف لخير سلف . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بعض ما صح من جوامع كلام النبي ﷺ في حسن الخلق (١)

* « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا ، الموطّؤون أكنافًا ، الذين يألفون ويؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » .
* « إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها » .
* « ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة » .
* « عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش »
* « من يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير كله » .
* « عليك بحسن الخلق ، وطول الصمت ، فوالذي نفسي بيده ما تجمّل الخلائق بمثلهما » .
* « ليس منّا من لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » .
* « صِل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك » .
* « لا تغضب » ، « لا تغضب ولك الجنة » .
* « اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة ، اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدّوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضّوا أبصاركم ، وكفّوا أيديكم » .

(١) تخيّرت هذه الأحاديث من كتاب صحيح الجامع للعلامة الألباني .   { عماد بن صابر }

الرسالة الخامسة عشرة :

المثل العليا فى الإسلام

وصفات عباد الرحمن

لفضيلة الأستاذ الشيخ

حسنين محمد مخلوف

المثلُ العليا فى الإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فمن حسن التوفيق أن نتحدّث الليلة ، ونحن فى رحاب بيت الله الحرام ، ومهبط الوحى على سيد الأنام ، فى مقر رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة عن (المُثل العليا) فى الإسلام الحنيف ، والمبادئ الحقة التى جاء بها ودعا إليها فى فجر الدعوة الإسلامية والبعثة المحمدية ، فانتشرت أضواؤها فى الآفاق ، وأينعت ثمراتها فى كل واد ، وأخرجت الناس من ظلمات الجهالة إلى نور العرفان ، ومن دَرَكات الضلالة إلى درجات الهداية ، ومن الهمجية إلى عز المدنية والحضارة الإسلامية .

إن الإسلام ، وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده ، قد قام على مبادئ صريحة وتعاليم قويمة صحيحة تقتضيها الفطرة ، وأسلمت من الشوائب وصفَتْ من الأكدار . دعا إليها كتاب الله العظيم ، وأقام دعائمها اعتقادًا وقولاً وتخلُّقًا وعملاً رسولُ الله الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ودرج عليها وتربّى بها أصحابه الهداة المجاهدون ، وهى أسمى السعادة البشرية لمن اهتدى بهديها واتخذها منهاجًا فى حياته فردًا كان أوجماعة .

لذلك آثرنا الكلام الآن فى هذا الظرف على هذه (المُثل العليا) لتكون لنا نبراسًا هاديًا ومَثَلاً مرشدًا فى جهادنا المقدس لإعزاز الإسلام ومجده ، وتطهير بلاده ومقدساته من رجس الصهيونية التى اجترأت عليه فانتهكت حرماته واعتدت على المسجد الأقصى ، وغيره من بلاده بمؤازرة أعداء الإسلام .

وما أحوجنا فى هذه الآونة الخطيرة إلى الناس السابقين ، والاقتداء بالمثل العليا فى الإسلام ، وجماعة المسلمين لتدارك ما فات ، واستقبال ماهو آت ، وإن الله لمع المحسنين.

وليس فى استطاعتنا إحصاء هذه المُثل ، وهى مبثوثة فى تضاعيف كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا بلا حصر ولاعد ، فنكتفى بالإشارة إلى بعضها ، ومن أجمع آياتها آيات كريمات

فى [سورة الفرقان / ٦٣ - ٧٦] .

قال تعالى ﴿ وعبادُ الرَّحمن الذين يَمْشُونَ على الأرْض هَوْنًا وإذا خَاطَبَهُمُ الجاهلونَ قالوا سَلامًا ، والذين يبيتون لربِّهمْ سجَّدًا وقيامًا ، والذين يقولون رَبَّنا اَصْرِفْ عنَّا عَذابَ جهَنَّمَ إنَّ عَذابَها كانَ غَراماً ، إنَّها ساَءتْ مُسْتَقراً ومُقاما ، والذين إذا أنفقوا لَم يُسْرِفُوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لايدعون مع اللّه إلهًا آخر ولايقتلون النفس التى حرم اللّه إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفورًا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى اللّه متابا ، والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بمــاصبــروا ويُلقَّونَ فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مســتقرًا ومقاما ﴾ .

يبين القرآن الكريم فى آيات سابقة حال أولئك الجاحدين الذين عتوا عن أمر ربهم فاستكبروا عن عبادته والإذعان بوحدانيته والقيام بحق ربوبيته مع نصوع الدلائل ووضوح البراهين على وحدانية اللّه تعالى ، وأنه الخالق البارئ الذى خلق فأبدع صنعًا وبرأ فأحكم أمرًا ، جعل فى السماء بروجًا ، جعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا ، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا ، وغير ذلك مما يعجز عنه الخلق كافة .

ومع ذلك ظلوا على غوايتهم وعتوهم واستكبارهم جاحدين ، فمناسب أن تعقب تلك الآيات ببيان أوصاف أضدادهم ، وهم عباد الرحمن الذين عرفوا ربهم ، فراقبوا جلاله وعظمته ، وشاهدوا فى صحائف الكون قدرته ، ودانوا له بالعبودية ، وأقروا بالربوبية ، وكانوا فى حالهم وتعالهم وقرارة نفوسهم عبيدًا للّه حقًا ، ولمولاهم ملكًا ورقا ، فكتب اللّه لهم سعادة الدنيا والآخرة .

أولئك هم الذين شرَّفهم اللهّ بوصف العبودية له وخصهم بالإضافة إليه هذه الآية وغيرها من الآيات ، قال تعالى : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطـان ﴾ [الحجر /

٤٢] وقـــال : ﴿ نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾ [الحجر / ٤٩ ، ٥٠]. وقال : ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمةً من عِندنا ، وعلَّمناه من لدنَّا علْما ﴾ [الكهف / ٦٥] .

يضيف العباد فى هذه الآية إلى اسمه تعالى (الرحمن) دون غيره من الأسماء الحسنى إشعارًا بتخصيصهم برحمته وتفضيلهم بها ، لقيامهم بحق ربوبيته ، وتقريعًا لأولئك الجاحدين الذين قيل لهم : ﴿ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ، أنسجد لما تأمرنا ؟ ﴾ [الفرقان / ٦٠]. فقال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن ﴾ ، وهم ضد أولئك الجاحدين وَوصَفَــهم الله تعــالى : ﴿ الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ .

امتدحهم بالوقار ، وحسن السمت ، وجمال الظاهر ، إذ خلعوا رداء الخيلاء والتجبر ونزعوا من قلوبهم الميل إلى الزهو والتكبر ، فعاشوا بين الناس فى هيبة ولين ، يزينهم الخشوع ، ويرفعهم التواضع .

جمَّلوا ظواهرهم بحسن السمت والوقار ، وطهروا سرائرهم من رذيلة الصلف والعجب والاختيال ، فكانوا أحبابًا لله ، وأحبابًا للناس ، غرست فى القلوب مودتهم ، وتوثقت فيها محبتهم ، وعظمت فى الناس كلمتهم .

وفى وصية لقمان لابنه : ﴿ ولاتصعِّر خدك للناس ولاتمشِ فى الأرض مرحًا إن الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك ﴾ [لقمان / ١٩]، وتصعير الخد كناية عن الكبر والتعالى والتعاظم والصلف ، والمرح هو الاختيال ، والتيه فى المشى تكبرًا وعتوا ، والقصد فى المشى هو التواضع فيه والاتئاد .

وليس الهون فى المشى فى الآية هو ذلك التماوت والانكماش الذى يتكلفه بعض الناس فى المشية رياء وخداعًا ، وإنما هو السكينة فى قوة ، والوقار فى تحفز ، والتؤدة فى اعتدال ، كمشية الرسول ﷺ ، فقد كان مع السكينة والوقار ، واسع الخطى فى مشيته ، يرفع رجليه بسرعة ويمد خطوه . كأنما ينحط من صَبَبٍ .

رأى عمر رضى الله عنه رجلاً يمشى رويدًا ، فقال له مالك : أأنت مريض ؟ . قال : لا ياأمير المؤمنين ، فعلاه بالدرة ، وأمره أن يمشى بقوة .

وكان عليه الصلاة والسلام ، مع سكينته ووقاره فى مشيته متواضعًا فى غير مذلة ، فكان كما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يعلف البعير ، ويقم النبت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع خادمه ، ويحمل بضاعته من السـوق لأهله ، ويسلم مبتدأ بالسلام ويصافح من يسلم عليه . كل ذلك مع لين الجانب ، وكرم الطبع وجمال المعاشرة ، وطلاقة الوجه ، ولكنه إذا غضب لايغضب إلا لله ولا يقوم لغضبه عند ذلك شيء .

فالتواضع والسكينة المشار إليهما فى الآية إنما يُحمدان فى مواضعهما ، كما أُثِر عن الرسول ﷺ وهو المعلم الأول والقدوة الحسنة ، هذه أولى صفات (عباد الرحمن) الذين بهم يُقْتدى فى حسن سمتهم ووقارهم .

ثم امتدحهم الله تعالى بفضيلة أخرى لاتصدر إلا عن طبع سليم ، وخلق كريم ، وهى فضيلة العفو والصفح والتجاوز عن الإساءة . فقال تعالى : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ ، أى إذا جهل عليهم جاهل وبادرهم بالسوء سفيه أغضوا عنه وأعرضوا عن مقابلته بالمثل عفوًا وحلمًا وتحملوا أذاه لطفًا وتكرمًا ، ودفعوه بالرقيق من القول والسديد منه ، المبعد من الأذى صبرًا وحكمة ، تحرزًا من الإثم واللغو ، وتنزيهًا لألسنتهم عن السوء ، وتأليفًا للقلوب الجامحة ، وإرشادًا وتعليمًا للجاهلين . قال الله تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكـم سـلامٌ عليكم لانبتغى الجاهلين ﴾ [القصص / ٥٥]. ذلك دأب أصفياء النفوس راجحى الأحلام .

وهذه ثانية صفات (عباد الرحمن) الذين بهم يستضاء فى الظلمات فى معاملتهم للجاهلين .

ثم وصفهم الله تعالى بالدأب على العبادة والطاعة ، ومجاهدة النفس فقـال تعالى : ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدًا وقياما ﴾ ، فيحيون الليالى بالتهجد لله برًا وخوفًا ، والسجود والقيام فى الصلاة رجاء رحمة الله وطمـعًا فى ثـوابه وخـوفًا مـن عقـابه : ﴿ كانوا قليلاً من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات / ١٧ / ١٨]. ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعًا ومما

رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ماأُخْفِى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة / ١٧]

والسجود من أبلغ مظاهر العبادة ، وأظهر مراسم الطاعة ، والعبد أقرب مايكون من ربه وهو ساجد ، ولذلك قدم السجود فى الآية على القيام ، مع أن القيام تقدم عليه فى الصلاة : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكّروا بها خروا سجدًا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون ﴾ [السجدة / ١٥].

وبالاستدامة على العبادة والطاعة تصفو النفوس ، وتزكو وتخلص من شوائب الرذائل والموبقات ، وتستعد لقبول فيض الرحمن والهبات ، فهى طهرة للنفوس ، وعلاج للنزعات والشهوات لتقبل على الله إقبالاً لايعوقها عنه معوق ، ولا يصرفها عنه صارف ، مهما قوى سلطانه ، لأن وازع الدين والخشية والمراقبة أمور من كل السلطان .

وفى هذه الصفة الثالثة لعباد الرحمن تعتبر مع الأولين الجاحدين الذين حين أمروا بالسجود للرحمن قالوا : ﴿ وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا ﴾ .

وهؤلاء مع حسن معاملتهم للخلق واجتهادهم فى عبادة الحق يخشون ربهم ، ويخافون عذابه ويبتهلوا إليه تعالى أن يتجاوز عنهم ، ويرحمهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم وحسبوا فى أنفسهم بجانب إنعام الله عليهم وإحسانه الوافر إليهم . مقصرين فى حقه ، غير موفين بشكره فيخشون عقابه ، فقال تعالى فى وصفهم : ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ﴾ . أى هلاكًا دائمًا . ﴿ إنها ساءت مستقرًا ومقاما ﴾ .

والخوف والرهبة فى أن شعار النفوس المؤمنة العارفة المراقبة لله تعالى فى كل شأن وكلما قرب العبد من ربه ازداد رغبة فى تواتر إحسانه ورهبة من اقتراب حسابه .

وأبعـد العباد عن الله من لايراقبه ولايخشاه ، ويرضى لنفسه فى اقتراف معاصى الله ، وهذه رابعة صفات عباد الرحمن الذين هم أسوة العباد فى عبادتهم لربهم وخوفهم منه ، ثم أثنى الله على عباده الموصوفين بهذه الصفات بالاعتـدال فـى أمورهـم فقـال : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ﴾ .

فدأبهم فى الإنفاق فى المباحات ترك الإسراف والتقتير فلا يتجاوزون الحد المعروف الذى أباحه الشارع فى الإنفاق ولا يقصرون عنه بل يكون إنفاقهم عدلاً وسطًا بين الطرفين .

والعدل الوسط يختلف باختلاف الناس والأحوال والبيئات ، وهو معروف عرفًا ، وفى الحديث : « من فقه الرجل رفقه فى معيشته » . ومن الإسراف المذموم إنفاق المال وإن قلّ فيما حرمه الله ، قال تعالى : ﴿ ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين ﴾ . وهو التبذير المذموم فى قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ [الإسراء / ٢٧] .

ومن الإقتار البخل بالمال فيما أوجب الله ورغب فيه ، قال تعالى : ﴿ وأما من بخل واستغنى ،وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ [الليل / ٨ . . / ١١] .

وهذه الشح المذموم ، قال الله تعالى : ﴿ وأُحْضِرَتْ الأنفس الشح ﴾ [النساء / ١٢٨] ﴿ ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [الحشر / ٩] ، [التغابن / ١٦] .

وليس من السرف إنفاق المال مهما كثر فى طاعة الله ، وكذلك لما خرج الصديق رضى الله عنه عن كل ماله وخرج الفاروق رضى الله عنه عن نصف ماله ، وجهز عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف مقاتل فى غزوة (تبوك) ، وكان المسلمون إذ ذاك فى جهد شديد قبل الرسول ﷺ منهم ذلك ، ودعا لهم بخير ورضى عنهم ، ولم يعد ذلك مسرفًا إذ لاسرف فى الخير . هذا الدستور الاقتصادى المهم الذى شرعه الله فى هذه الآية ، وفى قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا ﴾ [الإسراء/ ٢٩] ، هو أقوم سبل النجاح والحياة وتجنبه عنه مضلة ومهلكة ، وانتهاجه أمن وسلامة ، وسعادة للفرد والأمة فى الحياة الفردية والاجتماعية .

وهاتان الآيتان ، وماجاء بمعناهما من الأحاديث فى هذا الباب دعامات علم الاقتصاد المعروف ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

وهذه خامسة صفات عباد الرحمن فى أموالهم ، وبهم يُقتدى .

ثم وصفهم الله تعالى بصفة سادسة ، وهى أنهم المؤمنون بالتوحيد ، النابذون للشــرك ، المتنزهون عن الغرور والمشى فى الكبائر ، فقال : ﴿ والذين لايدعون مع الله إلهًا آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ﴾ [الفرقان / ٦٨]

والشرك أعظم الذنوب وأفحش الكبائر ، فقال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تَهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ [الحج / ٣١]

وقتل النفس من أعظم الذنوب .

والزنا من أعظم المحرمات .

وجريمة الشرك عدوان على العقول ، وجريمة القتل عدوان على الأنفس ، وجريمة الزنا عدوان على الأعراض ، والثلاثة عنوان على ما وراء أمهات المعاصى والآثام والبراءة من الفواحش والكبائر من صفات عباد الرحمن فى طاعتهم لله وتنزههم من معاصيه ، ثم قال تعالى مبينًا مصير من يقترف هذه الفواحش وسوء عقباه : ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾ [الفرقان / ٦٨ ، ٦٩]

والآثام والعقاب فالجزاء فى الآخرة .

ثم قال تعالى ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ،وكان الله غفورًا رحيما ﴾ [الفرقان / ٧٠]

بيانًا لقبول توبة التائبين من هذه الفواحش ، المنيبين لربهم ، النادمين على مافرط منهم العازمين على أن لايعودوا إليها ، وبدأ العاملون بعد توبتهم الأعمال الصالحة بنبذ تلك الأعمال الفاسدة ، فإنه تعالى الرحمن بعباده ، يغفر الذنوب جميعًا ، ويبدل السيئات

بالحسنات والإسلام يجب ماقبله من الشرك والذنوب والتوبة النصوح تمحو الذنوب ، غير أنه لابدّ فى التوبة من الذنوب المتعلقة بحقوق العباد من ردّ المظالم لأهلها ، وإيصال الحقوق لأربابها .

قال تعالى : ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عـباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ماتفعلون ﴾ [الشورى / ٢٥]، وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى مــن تحتها الأنهــار ﴾ [التحريم / ٨]

وبالتوبة تحل عقدة الإصرار على الذنب فيكف العبد عن ارتكاب المحظورات ، ويكبح جماح نفسه عن الطواعية للشهوات . ثم قال تعالى : ﴿ ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ . لبيان أن قَبول التوبة ليس قاصرًا على ذنب الشرك والقتل والزنى ، بل هو موعود به وواقع فى كل ذنب يقترفه العبد ، ولو كان غير هذه الثلاثة .

ثم وصفهم الله بصفة سابعة وهى إعراضهم عن الباطل واللغو فقال : ﴿ والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مرُّوا كرامًا ﴾ . والزور كل باطل مائل عن جهة الحق وسمته من الكفر والكذب وشهادة الزور المعروفة ، وغير ذلك من المحرمات .. واللغو كل كلام أونقل باطل ، لا حقيقة له يطلب أن يترك ويهجر ويطرح ، ومنه السبّ الباطل وذكر ماهو مستقبح فى الآداب العامة .. والكرام جمع كريم وهو الصفوح عن الإساءة .. فوصفهم الله بأنهم لايشهدون الباطل ولايحضرون مجالسه ، ولا يجالسون أهله ، ولا يقولون الكذب ، ولايشهدون الزور ، ولا يقترفون المسكرات والمحرمات عامة ، وأنهم إذا مروا عفواً بالباطل نزهوا أنفسهم عنه ، ولم يدنوا منه وأعرضوا عن المبنى وصفحوا عن إساءته .. فديدنهم حب الحق وإقامته ، وكراهية الباطل وإقامته ، وأخذ النفس بالفضائل والمكارم وتنزيهًا عن دنس الرزائل والإعفاء والصفح استدامة للود وقطعًا للنزاع والتخاصم .. ذلكم شأنهم فى مجتمعهم المثالى الكريم ، وإن للمسلمين فى رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين الأسوة فى مجتمعهم لفعل المسلمين فى هذا العصر يدركون ذلك فيقتدون ويعملون بهذا التراث المجيد الذى سنّه أفضل الرسل ودرج عليه أصحابه الأكرمون .. وبهذا التعدد العزة للمسلمين ، وبهذا تكون النجاة مما أصابهم من الذل

والهوان لمخالفتهم ذلك الهدى النبوى الكريم .. ذكر تعالى وصفًا ثامنًا لعباد الرحمن فقال : ﴿ والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًا وعميانًا ﴾ ، أى لا كأولئك الجاحدين الذين عَمُوا وصَمُّوا عن الهدى فلم يدركوا حقًا ولم يسمعوا نصحًا .

ثم ختم الله تعالى أوصافهم بوصف تاسع فقال : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما ﴾ ، فهم يطلبون من الله تعالى أن يسرهم بالزوجات الصالحات والذريات النافعة الصالحة لبناء أسرهم على أمتن أساس ، وأقوى دعامة ، وليسعفوا بعد موتهم بدعاء الذرية الصالحة ، ولتكون هذه الذرية أضواءاً الحياتهم الكريمة . ويطلبون من الله تعالى أن يجعلهم أئمة يهتدى بهم ويقتدى ، وقد استجاب الله دعاءهم ، ولذلك اتخذناهم قدوة ومُثُلاً عليا فى هذه المحاضرة كما طلبوا . وفى الحق إنهم أئمة هدى وصلاح وتقوى ونجاح وخير وفلاح ، فنسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين للاقتداء بهم فى سائر أحوالهم ليدركوا ما أعد الله لهم فى قوله فى ختام الآية يشير إليهم : ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ﴾ ، أى بكبحهم أنفسهم عن الشهوات ورياضتها بفعل هذه الخيرات .

والغرفة أعلى منازل الجنة فيكافئون بها جزاء صبرهم على مشاق التكاليف ، وكبح النفوس ومجاهدتها واحتمال مايعز احتماله فى سبيل طاعة الله وتقواه : ﴿ ويُلَقَّون فيها تحية وسلامًا خالدين فيها حسنت مستقرًا ومُقَاما ﴾ .

هذه الصفات التسع التى وصف الله بها الأصفياء من عباده وهى ثمرة الإيمان الحق واليقين بالله والصدق فى طاعته وعبادته هى صفات لمُثُل الأوَل من أصحاب رسول الله ﷺ وهى آدابهم التى كانوا عليها ، وكانت نبراسًا لمن بعدهم من أئمة الهدى وأعلام الإسلام ، وتقاة المؤمنين .

فأى مجتمع بشرى تكاملت فيه هذه الفضائل التى اجتمعت لهؤلاء الأمجاد ؟ . وأى مدنية أرقى من مدنية هذه الأمة الإسلامية التى درجت فى الصحراء تتولاها عناية الرحمن ، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطًا مستقيمًا ونهجًا قويمًا ، فكانوا كما وصف الله ، علماء حكماء راضوا أنفسهم على الحق ، وأقاموا بينهم العدل ، وطهروا

مجتمعهم من الرذائل والآثام ، وأدوا حق الله وحق الناس . بهذه الصفات كانوا أمة عزيزةَ الجانب منيعةَ الحمى ، مرهوبة القوة ، لها مدنيتها الحق الأصيلة ، وحضارتها السامية الرفيعة التى اعتدل بها ميزان الروح والمادة فلم تطغَ فيها المادة طغيانها فى الأمم الأخرى التى خضعت لسلطانها فاستحالت حضارتها إلى جشع وطمع واستبداد واستعباد ، ولم تطغَ فيها الروحية طغيانًا يقطعها عن مجال الحياة والعمل فى المعترك الإنسانى ، بل كانت قوامًا بين هذين ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [آل عمران / ١١٠] ، لهذه المثل العليا انتشر الإسلام ودخل الناس فيه أفواجًا وأفرادًا وأممًا ، وأشرق نوره فى الآفاق ، وامتدت ظلاله الوارفة إلى أقصى المعمورة من الأرض فكانت هُدى بعد ضلال ، وعلمًا بعد جهالة ، ومدنية بعد وحشية وحضارة بعد همجية . وكان إنقاذًا للإنسانية من شرور وطغيان ، سيظل كذلك إلى يوم الدين ، وسنظل به أعزة إذا استمسكنا بهداه ، وترسمنا مثله العليا ومبادئه الحقة ، ولم ننحرف عنه ونفضل غيره عليه غرامًا بالتقليد واستحسانًا لآراء ومبادئ أجنبية على تعاليم ديننا الحنيف . وحتى نتَّجه إلى الإسلام ، ونستمد منه العون فى جميع شئوننا ، وخاصة فى مشاكلنا الاجتماعيــة ، وأنظمة حكمنا ودساتيره نجد فيه خيرًا عظيمًا وتبصرة وهداية تُبلغنا الغاية ، وتجنبنا الزَّلل ، وترفعنا إلى ذلك المستوى العالى الرفيع الذى خفقت أعلامه فى صدر الإسلام . ﴿ وهذا صراط ربك مستقيمًا قد فصلنا الآيات لقوم يذَّكرون ، ومايتذكر إلا أولو الألباب ﴾ ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين .

(*) هذه الرسالة هى فى الأصل محاضرة كان الشيخ – رحمه الله تعالى – قد ألقاها فى موسم حج ١٣٨٨ هـ ، وقد رأينا نشرها كتتمة للرسالة السابقة (عماد بن صابر) .

الرسالة السادسة عشرة:

النفاق وضرره

وصفات المنافقين

لفضيلة الشيخ

علي الحذيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

أما بعد ... فإن العلم بالأعمال التى تقرب إلى الخالق سبحانه هو ما يحرص عليه المسلم الصادق ، حتى يفعل من صالح الأعمال مايحبه مولاه ، ولا يستعظم المؤمن مايقدمه لربه من نفس أومال ، فإن النفس إلى موت والمال إلى فوت ، ويشفق قلبه من كل عائق يحول بينه وبين الله تعالى ، ويخاف من كل قاطع يقطع عليه الصراط المستقيم الذى بدايته الطاعة ، ونهايته الجنة .

وإن أكبر المصائب ، وأعظم المعوقات عن الله تعالى استيلاء النفاق على القلب ، أو مخالطته للأعمال ، كيف لا وقد كان سلف الأمة رضى الله عنهم يخافون من النفاق أشد الخوف ، لما يعلمون من خطره ، ولما تبين لهم من ضرره ، فقد قال { البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه } : وقال ابن أبى مليكة : « أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ ، كلهم يخاف النفاق على نفسه » ، ويذكر عن الحسن البصرى رحمه الله قال : « ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق » انتهى . وقال عمر رضى الله عنه لحذيفة رضى الله عنه : « ياحذيفة نشدتك بالله هل ذكرنى لك رسول الله ﷺ فى المنافقين ؟ » قال : « لا ولا أزكى بعدك أحداً » ومعنى هذا أن حذيفة أراد أن يسد باب السؤال على نفسه حتى لايسأل غير عمر رضى الله عنه ، فيزكيه وهو لا يستحق ، لا أن غير عمر رضى الله عنه منافق وسُئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ماتقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق قال : ومن يأمن على نفسه النفاق ؟ . وفى { صحيح البخارى } عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قيل له : إنا ندخل على سلطاننا فنقول له بخلاف مانتكلم به إذا خرجنا من عنده قال كنا نعد هذا نفاقا .

وفى { المسند } عن حذيفة رضى الله عنه قال : إنكم لتكلمون كلاماً إن كنا لنعده على

عهد رسول الله ﷺ النفاق ، وفى رواية قال : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقًا ، وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم أو فى المجلس عشر مرات .

فهذه حال القوم من الخوف من النفاق ، والإشفاق من التلوث به ، مع امتلاء قلوبهم إيمانًا ويقينًا . وسبقهم فى الخيرات ، ونُصرتهم لدين الله تعالى ، فأين الحال من الحال، اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وأعيُننا من الخيانة .

النفـاق

قال فى القاموس : نافق فى الدين ستر كفره وأظهر إيمانه وقال الجوهرى فى صحاحه : والنفاق عمل المنافق وقال الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن : ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب واشتقاقه من النافقاء وهو جحر اليربوع الذى يحفره فيجعل له بابين بابًا ظاهرًا يُرى وبابًا آخر رقيقًا لا يُرى حتى إذا طلبه الصائد دفع برأسه مارقًا من الجانب الآخر ونجا .

والنفاق فى الشرع نفاق اعتقاد ونفاق عمل ، فنفاق الاعتقاد أن يظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو فى الباطن مكذب لرسول الله ﷺ أومكذب لبعض ماجاء به رسول الله ﷺ أومبغض له عليه الصلاة والسلام ، أومبغض لبعض ماجاء به ﷺ ، أو كاره لانتصار الإسلام ، أويفرح بانهزام الإسلام والمسلمين فصاحب هذا النفاق فى الدرك الأسفل من النار قد خلع الإسلام من عنقه قال تعالى :﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليـوم الآخر وما هـم بمؤمنين ﴾ { البقرة : ٨ } وقال تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ { النساء : ١٤٥ } .

وأما نفاق العمل فهو أن يكذب فى الحديث أويخون فى الأمانة أويفجر فى الخصومة أويخلف الوعد ، من غير كفر بالله تعالى ولا بغض ولا تكذيب للرسول ﷺ قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : من النفاق اختلاف القلب واللسان ، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج .

ظهور النفاق

لقد كان العهد المكّى خالياً من النفاق لأن المسلمين كانوا مستضعفين فلا دولة ولا مغانم فما كان يدخل فى الإسلام إلا من أخلص لله تعالى لايخشى قوة فيصانعها ، ولا يرجو منافع لينالها ، بل إن الدعوة فى مكة مطاردة ، وأتباعها مضطهدون يعذبون بأنواع التعذيب من المشركين لذلك لم يكن إلا إيمان خالص أوكفر صريح ، أما بعد هجرة رسول الله ﷺ فقد تغير الحال وأصبح الإسلام قوة تخشى ، واشتبك المسلمون مع عدوهم فى قتال كان لهم النصر من الله تعالى فى بدر وما بعد بدر ، فدخل المنافقون فى الإسلام ظاهرًا لمصالح عاجلة قدروها فى أنفسهم تفوت فى نظرهم لولم يتظاهروا بالإسلام ، حتى قال عبد الله بن أبىَ بعد بدر : هذا أمر قد توجه ، فبايع وأسلم هو ومن معه من المشركين ، ومن ثم نشأ النفاق فى المدينة ، ووجدت هذه الطائفة ظاهرها مع الإسلام والمسلمين وباطنها مع الكافرين .

صفات المنافقين [1]

لقد هتك الله أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم ، وأظهر مخبوء صدورهم ، وأخرج أضغانهم وجلى أمرهم لعباده المؤمنين لعظم ضررهم وشدة البلية بهم ليحذروهم ، ولئلا يتلبسوا ببعض صفاتهم وأنزل فيهم قرآنا يُتلى ، حتى لتكاد الأصابع أن تشير إلى هذا النموذج المكرور ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ { محمد : ٣٠ } وفى سورة التوبة من صفاتهم العجب حتى قال ابن عباس رضى الله عنهما : « ما زالت تنزل ﴿ ومنهم﴾ حتى ظننا أنه لايبقى منا أحد إلا ذكر فيها » رواه أبو عبيد وابن المنذر وأبو الشيخ .

الكـذب

الكذب هو السمة الظاهرة ، والميزة الغالبة على أعمال المنافقين ، وهذا الخلق الذميم اختلط باللحم والدم والعصب منهم ، وحل فى سويداء قلوبهم ، فهو شعار أعمالهم

---

(١) وراجع كلام الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – فى أوصافهم فى رسالة مختصر طبقات المكلفين وهى الرسالة السادسة فى هذا المجموع .

ودثارها وهو الذى جرّهم إلى الفجور والآثام ، فهم كاذبون مع ربهم ، وكاذبون مع المؤمنين وكاذبون فى الدنيا والآخرة ، وكاذبون مع الكافرين وكاذبون مع أنفسهم .

أما كذبهم مع ربهم فهو أنهم يعاملون الله تعالى معاملة المخادع لامعاملة المخلص معاملة الكاذب لا معاملة الصادق ، يعملون العمل والشك يأكل قلوبهم ، ويقومون بأفعال الخير والمرض مُسْتَوْلٍ على أفئدتهم ، يسيرون إلى الله تعالى على حرف الطريق فما إن تقع أرجلهم على حرف الطريق حتى تخرج قال تعالى : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة : ٩] أى يُظهرون الإيمان بألسنتهم ويعتقدون الكفر بقلوبهم ظانين أن ذلك هو الكياسة والفطنة ، وأن عملهم هذا نافعهم عند الله ، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين ، ولو علموا أن الله تعالى قد أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددًا وأنه يعلم السر وأخفى لو علموا ذلك لكان هذا مزدجرًا لهم عن مخادعة الله عز وجل ، فإن العاقل يأنف أن يخادع مخلوقًا مثله إذا علم أن لديه من العلم ما يعرف به خداعه ، ولكن المنافقين لجهلهم ، وقلة فقههم وعلمهم وعزوب عقولهم يظنون أن أمرهم على السداد ، وأنهم سالكون سبيل الرشاد ، فهذه الصلاة أشرف الأعمال وأفضلها إذا قاموا إليها قاموا كسالى متثاقلين كارهين ، متباطئين ، لأنهم كذبة فى معاملة ربهم لا رغبة لهم فيها ، ولا خشوع ولا يعقلون معناها ، فلا أثر للصلاة عليهم بالبعد عن الفحشاء والمنكر ، لا يقومون بأفعال الصلاة إلا كما يقومون بالتمارين الرياضية المحضة ، ولذلك كانت صلاة المنافقين جسدًا بلا روح ، ميتة بلا معنى قال الله تعالى : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ [النساء : ١٤٢] هذه صفة ظاهرهم ، وصفة باطنهم ﴿ يراءون الناس ﴾ [النساء : ١٤٢] أى لا إخلاص لهم ، إنما يشهدون الناس تقية ومصانعة ، فالصلاة عليهم ثقيلة ، [وفى الصحيحين] : أن رسول الله ﷺ قال « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا » وقوله تعالى: ﴿ ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ [النساء : ١٤٢] أى فى صلاتهم لا يخشعون ، ولا يدرون مايقولون ، بل هم فى صلاتهم ساهون لاهون غافلون ، وإذا كان ذكرهم فى الصلاة قليلاً وهى موطن استحضار القلب وكثرة الذكر ففى غير الصلاة لا يذكرون الله تعالى إلا نادرًا كأن تصيبهم مصيبة أويقعوا فى هلكة ، وقد [روى مسلم] وغيره عن أنس بن مالك رضى

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعًا لايذكر الله فيها إلا قليلاً » إذا كان هذا فعله فى صلاة العصر أوالصبح فغيرها من باب أولى !

وحال المنافقين فى الصلاة تبعث الوجل فى القلب ، والإشفاق من لوثة النفاق أن يكون المسلم مفرطًا فى صلاته أوساهيًا غافلاً ، فمن أراد النجاة والقبول فليحاسب نفسه ، وليزن عمله قبل أن يحصل ما فى الصدور ، وتبلى السرائر . والزكاة قرينة الصلاة ، لا يبذلها المنافقون بسخاوة نفس ، وسماحة عطاء ، بل يؤدونها بتثاقل وكراهة وانقباض قال تعالى : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ { التوبة : ٥٤ } وهذا حالهم فى ركنين عظيمين من الإسلام فما بالك بغير ذلك ، ألا ما أكذب معاملتهم لربهم ، وجدير بالقلب الكاذب أن يكون فعله كاذبًا ، وحق للقلب المريض أن يكون عمله مريضًا قال تعالى : ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ { البقرة : ١٠ } فى قلوبهم مرض أى شك ونفاق ﴿ فزادهم الله مرضًا ﴾ أى ضلالا إلى ضلالهم ، وشكًا إلى شكِّهم كما قال تعالى : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ { التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥ } والجزاء من جنس العمل شرعاً وقدراً فالمؤمنون لاهتدائهم واستقامتهم يزيدهم الله هدى كما قال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ { محمد : ١٧ } ، ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ { العنكبوت : ٦٩ } والمنافقون يخادعون الله تعالى وهو خادعهم ومن أثر خداع الله لهم أن يستدرجهم فى طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الوصول إلى الحق ويكلهم إلى أنفسهم ، حتى يترديوا فى الهلكات فى الدنيا والآخرة ولكذبهم مع ربهم تراهم جبناء فى النزال . قاعدين عن القتال ، قد خلع الجبن قلوبهم فتلمسوا المعاذير فى تخلفهم عن الجهاد ، ونكصوا عن نصرة الإسلام ، واجتذبوا من أصغى إليهم وثبطوه عن حماية الدين ، كما قال تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً أشحة

عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ { الأحزاب : ١٨ ، ١٩ } فأنت ترى من هذه الآية أنهم يثبطون المؤمنين عن القتال ويدعونهم لترك الاشتراك فى الجهاد ، وأنهم لايباشرون القتال إن حضروه إلا قليلاً خشية الذم والتعيير ، وأنهم يبخلون بمعاونة المؤمنين بالنفس أو المال وأنه إذا جاءت الحرب خفتت منهم الأصوات ، وحفزتهم الأنفاس ودارت منهم الحدقات ، كمن نزل به الموت فهو منه فى غشية بعد غشية ، فإذا علموا أن الخوف ارتفع والشدة زالت انطلقت منهم الألسن السليطة تفتك بأعراض المؤمنين ويقول تعالى : ﴿ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم ، طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ { محمد : ٢٠ ، ٢١ } ولا ينتظر من كاذب مع ربه أن يقدم نفسه أوماله لنصرة دين الله تعالى. إنما يكون بذل النفس والمال من صادق مع ربه ، مخلص فى إيمانه ولهذا قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ { الحجرات : ١٥ } وقد جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة « من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

وأما كذبهم مع المؤمنين فهو إظهارهم محبتهم ومودتهم ، وهم فى الباطن عدو لهم ، وحرب عليهم يتربصون بهم الدوائر ، ويبغونهم الغوائل ، يشحون عليهم أن ينفقوا معهم قبضة ، أو يضربوا معهم بسوط ، لأنهم لا يريدون للإسلام نصرة ، ولا لحزب الله رفعة ، قال تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ { البقرة : ١٤ ، ١٥ } وقول الله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ يفيد أنهم كانوا يتجنبون مجالسة المؤمنين كثيراً ، لأنهم لا يأنسون

بهم ، ولكن إذا جمعهم مكان أو التقوا فى طريق على وجه الندرة ، ﴿ قالوا آمنا ﴾ ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ يفيد أنهم مدفوعون بالرغبة إلى مجالسة شياطينهم وهم اليهود ، وأن الأنس والفرح قد تملك قلوبهم ، فالإنسان لايخلو إلا بمن يأنس به ، وفى غمرة الأنس يبوحون بمخبوء ضمائرهم ﴿ إنا معكم ﴾ فى الباطن والحقيقة ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ بهؤلاء السفهاء ، لنقف على أخبارهم ، ونتقى ما عسى أن يكون من شرهم ، وما إن يحكى القرآن فعلهم وقولهم حتى يصب عليهم الوعيد المخيف ﴿ الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ وما أشقى من استهزأ الله به ، إنه لايفلت من العقوبة ولا ينجو من الأخذ والهلكة ، وقد روى { الشيخان } من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . رضوا بهذه الحال المهينة ، وهذه الصفة الوضيعة ، رضوا بالذبذبة والاضطراب بين حزب المؤمنين ، وحزب الكافرين ، ليسوا مع أحد الفريقين ظاهرًا وباطنًا .

قال تعالى : ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ { النساء : ١٤٣ } أى متحيرين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ، ولا مع الكافرين ظاهرًا ، بل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين ، فلا يستقر لهم حال ، أعاذنا الله من النفاق وقد روى { مسلم } عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، ولا تدرى أيهما تتبع » والعائرة المترددة من عارت الشاة بين الفحلين إذا ترددت لاتدرى أيهما ينزو عليها ، وروى { الإمام أحمد } بعض لفظه ومعناه من حديث ابن عمر ، وما دفعهم إلى هذا الطريق المظلم ، وهذا المسلك الوضيع إلا مصلحتهم الذاتية ومآربهم الدنية ، ومرض قلوبهم فكروا وقدّروا أنهم إن اتبعوا داعى الإيمان ظاهرًا وباطنًا فقد تكون العاقبة لأهل الإيمان ، فاتخذوا صفة المراوغة والمخاتلة والغدر والدس ، شأن النفس المهينة الضعيفة الحقيرة قال تعالى : ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها ﴾ { النساء : ٩١ } أي انهمكوا فى الفتنة والضلالة وأوغلوا فيها ويقول تعالى : ﴿ الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله

يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ { النساء : ١٤١ } وقوله تعالى : ﴿ ألم نستحوذ عليكم ﴾ توليناكم وناصرناكم وخذلنا المؤمنين عن قتالكم فإذا انكشف بعض أمرهم وظهر شيء من خداعهم ومكرهم ، وتناقلت الألسن بعض عوار كلامهم لجوا فى الأيمان الكاذبة ، وفزعوا إلى الحلف المتتابع ليدفعوا عن أنفسهم مابه يفتضحون وما به تحل بهم العقوبة كما قال تعالى : ﴿ يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾ { التوبة : ٧٤ } ، ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين ﴾ { التوبة : ٩٦ } ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ { التوبة : ٥٦ } فهم يكثرون الحلف لأنهم فقدوا الثقة فى أنفسهم فعلموا أنهم كاذبون فأرادوا أن يعوضوا تلك الثقة المفقودة ، ويغطوا كذبهم بالأيمان الكاذبة ، ويلبسوا على الناس هذا الكذب .

إن شأن اليمين كبير ، فهى تعظيم لله تعالى ، لا تكون إلا لأغراض عالية كقطع النزاع بين المتخاصمين وتأكيد الأخبار الصحيحة ، ولكن المنافقين اتخذوها وقاية لهم من انكشاف حالهم ، وفضيحة أمرهم فهان عليهم اسم الله تعالى ، ونُزِع خوف الله وتعظيمه من قلوبهم كما قال تعالى : ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ { المنافقون : ٢ } والعجب كل العجب أن الوقت الذى تبعثر فيه القبور ، ويقوم الناس لرب العالمين ، تتجلى للكافرين الحقائق لا يمترون فيها فيقولون فيما ذكر الله عنهم ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أونرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ﴾ ويقول تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون ﴾ { السجدة : ١٢ } أما المنافقون فإنهم فى هذا الوقت لا يزالون فى ريبهم يترددون ويحلفون لله تعالى كذبا أنهم كانوا طائعين ظانين أن ذلك نافعهم كما كان الحال فى الدنيا قال تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ { المجادلة : ١٨ } فهم كاذبون فى الدنيا والآخرة ، وهم كاذبون حتى مع أوليائهم الكافرين إن وعدوهم لم يفوا ، وإن ضاقت بهم الأمور تخلوا عنهم كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع

فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ، ولئن نصروهم لَيُولُّن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ [الحشر : ١١ ، ١٢] وهم يعلمون من أنفسهم أنهم كاذبون قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرســـوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [المنافقون : ١] أى كاذبون فى اعتقادهم وفى أنفسهم وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه كان منافقًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر » وخرجاه فى الصحيحين أيضًا من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وفى رواية لمسلم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم » .

خلف الوعد

هذا فرع من الكذب لكنه من أخطر أنواع الكذب وأضرها بمصالح الناس ، فإن الموعود يترك مصالحه الحقيقية للمصالح المظنونة فتفوته مصالحه كلها ، ويذهب وقته بلا عوض وتضييع حقوق العباد المنوطة بالموعود ، وخلف الوعد يزرع العداوة والبغضاء والحقد ، ويؤدى إلى الانتقام وإثارة الفتن ، وينزع الثقة والصدق من صاحبه وما أكثر هذه الخلق البغيض من الكثرة الكاثرة من أرباب الوظائف المتولين أمور الناس ، فهم يعدون ولا يوفون ، ويقولون ولا يفعلون ، فالمواعيد عندهم لاتنتهى حتى تبدأ ، وقد يموت من يبتلى بهم وحاجته فى صدره فتموت معه ، وخلف الوعد على نوعين : أحدهما أن يعدو من نيته ألا يفى بوعد وهذا أشر الخلق ولو قال أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته ألا يفعل كان كذبًا وخلفًا .

الثاني أن يعد ومن نيته أن يفى ثم يبدوله فيخلف من غير عذر له وكلا الأمرين من كبائر الإثم ، وخلق من أخلاق النفاق قال الله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصدَّقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقًا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا

الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ { التوبة : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ } .

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام « وإذا خاصم فجر » أى خرج عن الحق عامداً وفى سنن أبى داود عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « من خاصم فى باطل وهو يعلمه لم يزل فى سخط حتى ينزع » وفى رواية له أيضاً : « ومن أعان على خصومة بظلم فقدباء بغضب من الله » ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « وإذا عاهد غدر » أى نقض العهد والعقد والمواثيق التى تراضى عليها العباد واشتملت على مصالحهم والله تعالى وصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والمنافق لا هَمَّ له إلا مصلحته الذاتية فإذا لاحت له نقض للوصول إليها العهود والمواثيق ، وداس الأخلاق وتخطى الحواجز والموانع ، هذه معاملتهم للخلق ، وتلك معاملتهم للخالق سبحانه .

نبذهم الوحى

لقد وصف الله المؤمنين بأنهم يخضعون باطناً وظاهراً لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وأنهم يستجيبون لما دعاهم إليه ربهم قال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ لأن الله تعالى أمرهم بذلك فى قوله ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ { النساء : ٥٩ } فعند التنازع والاختلاف توزن الأمور بميزان الوحى الذى لايخيس شعيرة ، ومن ثم يرضى المؤمنون ويظهر الحق ، وتستبين الجادة ، وحال المنافقين بخلاف هذه الحال إذ دعوا إلى حكم الله ورسوله ليفصل بينهم فى المنازعات ، ويهديهم من الضلالات ، ويخرجهم من الظلمات أعرضوا إعراض المتكبرين وإن كان لهم نفع وحق طلبوه بحكم الله وأقبلوا خاضعين كما قال تعالى : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ { النور : ٤٨ ، ٤٩ } فلن يضر الله إعراضهم ، ولن ينفعهم ما وافق أهواءهم ، وقد نفى الله الإيمان عمن هذه صفته فى قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا

قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلي الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ﴾ [النساء : ٦٠ - ٦٢] فهذه الآيات تبين صفة المنافقين فى التحاكم ، وفى تقاضى الحقوق ، وفى مرجعهم فى التنازع فأنت ترى أن طريقتهم مزدوجة مرة إلى الطاغوت ، ومرة إلى الوحى ، ولكن تحاكمهم كثيراً مايكون إلى الطاغوت وهو الباطل من الكهان أويهود أوحكم الجاهلية ، وقليلاً ما يكون تحاكمهم إلى الوحى كما ذكر الله ذلك بـ إن الدالة على التقليل فى قوله تعالى : ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ وكما ذكر الله تعالى فى قوله ﴿ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً ﴾ [النساء : ٦٢] فهذا يفيد أنهم يقدمون التحاكم إلى الطاغوت ، ولا يتحاكمون إلى الرسول الله ﷺ إلا إذا عضتهم الشدائد ، وأحاطت بهم المصائب وفى أثناء الحكومة يعتذرون من سوء صنيعهم وعدولهم عن كتاب الله وسنة رسوله بالحلف إننا ما أردنا إلا الخير والمداراة والمصانعة هذا حالهم فى التحاكم وتلك حالهم فى الولاء ، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أى متشابهون وإن تراخى الزمان وبعدت المسافة ، ومنافقو زماننا أغلظ نفاقاً من المنافقين فى زمن رسول الله ﷺ فمنافقو عهد رسول الله ﷺ كانوا يرجعون إلى حكم الله فى المصائب ، ويتحاكمون إلى الوحى فى بعض الأوقات ، ومنافقو زماننا لا يتحاكمون إلى الوحى لا فى المصيبة ولا فى العافية اللهم سلّم والمنافقون متشابهون إذا قال مؤمن : شريعة الله هى أولى بعباد الله فى حكم مابينهم وفصل خصوماتهم ، وإصلاح حياتهم قال المنافقون : هذا إذا كان المواطنون مسلمين أما الآن فإن تحكيم الشريعة يثير حساسية الأقليات غير المسلمة ويعرض البلاد للانقسام الطائفى ، ولكن نوفق بين الشريعة والقانون الوضعى فيكون هناك محاكم شرعية ومحاكم قانونية وضعية ﴿ ألا فى الفتنة سقطوا ﴾ [التوبة : ٤٩] ونسوا أن الأقليات غير المسلمة لم تتفيأ ظلال العدل إلا فى حكم الإسلام ولم تعرف الحياة الآمنة إلا فى عهده . وإذا قيل تعالوا لمذهب سلف الأمة من سادات العارفين واسمعوا ما قال الله تعالى وقال رسول ﷺ قال المنافقون : هذه ظواهر لفظية لا تفيد اليقين وهذه أحاديث آحاد لاتثمر القطع ولا يعمل بها فى العقيدة ، والسلف

لم يكونوا متبحرين فى العلوم ، ولم يحرروا المسائل الكلامية ، ويؤصلوا القواعد ، ويدققوا النظر فقد كانوا مشتغلين بالأوامر تاركين النواهى ونحن نريد أن نوفق بين القواعد العقلية والنصوص الشرعية ، وإذا قيل : المسلم مأمور بترك التعصب المذهبى والرجوع عند اختلاف الأئمة رحمهم الله تعالى إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فما شهد له الدليل يؤخذ به ويعمل بمقتضاه ، وما لا دليل عليه يطرح إذا قيل هذا رأيت الصدود والإعراض ، والرجوع إلى ما أنزل الله هو كتاب الله والرجوع إلى الرسول هو الرجوع إلى سنته بعد وفاته .

موالاتهم للكافرين

أصل الولاء هو المحبة وأصل العداوة البغض والمنافقون يحبون الكفار ويبغضون المؤمنين ولذلك يتخذونهم أولياء من دون المؤمنين ، فيعاشرون الكفار ويصادقونهم ويصافونهم ويوادونهم ، مرة لأنهم يريدون ارتفاع المنزلة والمكانة ، وتعزيز أمرهم أمام الناس ، فهم يلوذون بالكافرين ظانين أنهم يملكون شيئًا من الرفع والخفض بما عندهم من مال وأسباب ، ولو كانت قلوبهم سليمة من المرض لعلموا أن مالك العزة رب العزة وأنها لاتنال إلا بطاعته قال تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا ﴾ { النساء : ١٣٨ ، ١٣٩ } وحينًا يوادون الكفار طمعًا وأملاً فى أن يصرفوا عنهم المكاره ، وأن يكونوا فى صفهم عندما تدور الدوائر ، وتختلف الأحوال قال تعالى : ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ { المائدة : ٥٢ } فهم عند مايرون حال الإسلام فى ضعف والكفر ظاهر فى الأرض يقفون مع شهود الأسباب الظاهرة ويظنون بالله ظن السوء ، يظنون إن إدالة الكفر إدالة مستقرة ، وأن أمر الإسلام مضمحل ولذلك يسارعون فى تولى الكافرين فرد الله عليهم ظن السوء الذى أسروه بقوله : ﴿ فعسى الله أن يأتى بالفتح أوأمر من عنده ﴾ وعسى من الله تعالى وعد لا يتخلف والفتح ظهور المسلمين على الكافرين ، وأمر الله تعالى كل مايندفع به شر الكافرين لصالح الإسلام والمسلمين

مما لا صنع للبشر فيه وهناك يندم المنافقون على مافى أنفسهم ، وتتغير الموازين ، وتبطل الأسباب التى تخيلوهـــا قـــال تعـــالى : ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ { يوسف : ٢١ } .

أخرج ابن جرير والبيهقى فى الدلائل وغيرهما عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله ﷺ « إنى أبرأ إلى الله وإلى رسوله من بنى قينقاع » وذلك بعد غدرهم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن عبد الله بن أُبَىّ قال : إنى أخاف الدوائر .. فهذا هو المسارعة فى توليهم .

قول المنافق وعمله

المنافق يعجبك قوله ، ويسوؤك عمله ، قوله قول الصالحين وعمله عمل المفسدين قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويُشْهِدُ الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد ﴾ { البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ } فإذا تكلم أظهر الفصاحة وأكد كلامه بأن الله يشهد أنه صادق كأن يقول : ربى يطَّلِع على الضمائر والخفايا وأن ما أقوله حق فيغتر سامعه بمعسول قوله ، وهو أبعد الناس عن العمل بما يقول ، ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ شد الخصومة لجوج فى الباطل ، وإذا ذكر بالله تعالى ليكف عن فعله وإفساده حملته الأنفة والحمية على الاسم ضرارًا وتماديًا . ﴿ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ { البقرة : ٢٠٦ } قال ابن القيم رحمه الله تعالى « أحسن الناس أجسامًا ، وأخلبهم لسانًا ، وألطفهم بيانا ، وأخبثهم قلوبًا ، وأضعفهم جناناً ، كالخشب المسندة التى لا ثمر لها قد قلعت من معارسها فتساندت إلى حائط يقيمها لئلا يطأها السالكون » ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مســندة ، يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ { المنافقون : ٤ } .

تشابه المنافقين

المنافقون متشابهون فى الباطل فأفعالهم متماثلة فى السعى بالفساد والصد عن سبيل الله وإن تراخى الزمان وبعدت المسافة قال تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات

بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ﴾ { التوبة : ٦٧ } ومعنى قوله تعالى ﴿ بعضهم من بعض ﴾ متفقون فى الفعل يشبه آخرهم أولهم ويماثل بعضهم بعضًا يحسنون المنكر حتى يصورونه بصورة المعروف فيقولون عن الخمر إنها المشروب الروحى ، وإنها تشحذ الذهن وتكسب القوة ، وتحدث نشوة وفرحًا . وعن الدخان إنه يزيل الهم . ويدخل السرور على القلب ، ويجلب صفاء الذهن ويعين على السهر ، وعن الربا إنه ضرورة اقتصادية ، ومعاملة عالمية وعن السكوت عن المنكر إنه مصانعة ومداراة للناس وحسن خلق وعن من يخالط الفجار والأبرار بلا إنكار للمنكر إنه اجتماعى وهكذا وينهون عن المعروف فيقولون عن الجهاد فى سبيل الله إنه يصم المسلمين بالتعصب ويؤلب عليهم الدول الكبرى ، ويهدد مصالح البلاد ، وعن الإسلام عامة : إنه قيود ثقيلة وتكاليف شاقة على الإنسان تولد فيه العقد النفسية وعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : إنه يجر على القائم به معاداة الناس وكراهيتهم ويجلب الأذية لصاحبه ، وخير منه المجاملة والمداهنة وهلم جرا فهم يحسنون المعصية ويقبحون الطاعة قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟

ولعلك قائل : إن صفات المنافقين قد زادت على ماصح عن رسول الله من أن خصال النفاق الكذب وخلف الوعد والفجور فى الخصومة والغدر فيقال لك إن ماظننته زائدا داخل فى الكذب فإن الكذب هو الذى جرَّهم إلى الفجور كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ولا يزال الرجل يَصدُق ويتحرى الصدق حتى يُكتَب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

اجتماع النفاق والايمان

قد يجتمع الإيمان والنفاق العملى فى العبد فيكون مؤمنا بما معه من حقيقة الإيمان منافقا بما فعل من الأعمال فقد روى الإمام أحمد بسند جيد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس ، وقلب مصفح فأما القلب

الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » وقوله أجرد متجرد مما سوى الله ورسوله فأحب الحق وآثره . والقلب الأغلف الداخل فى غلافه وغشائه والقلب المنكوس المنكب كالإناء المنكوس على وجهه فلا يصل داخله هدى ، والقلب المصفح المائل فيه إيمان ونفاق .

ضرر النفاق

ماتقدم كاف فى بيان ضرر النفاق ، وعظيم خطره ، ويحسن أن أجمل فى النهاية خطر النفاق على الإسلام والمسلمين لنحذر هذا المرض الفتاك الذى جر على الأمة أعظم المصائب فى الدين والدنيا .

أولاً : النفاق ضرر على صاحبه ، فهو يرديه فى المهالك ، ويسقيه كأس العطب ، ويحطم النفس البشرية ويجعل صاحبه فى دوامة من القلق والخوف خشية أن يؤخذ بجرمه ويقاد بجريرته ، ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ وفى الآخرة يزج فى قفا صاحبه إلى النار ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ { النساء : ١٤٥ }.

ثانياً : النفاق ضرر على الدين يصد عن اتباع الحق وذلك بسلوك المنافقين المشين الذى اتصفوا به فإن من يراهم على هذا الخلق القبيح يرغب عن الإسلام لأنهم محسوبون على المسلمين فيصير المنافقون فتنة للذين كفروا فالكافر الذى لايعلم الحال يقول : لوكان دينهم حقًا ماكانوا على هذه الصفات ، ويصدون الناس عن سبيل الله بنقضهم عرى الإسلام عروة عروة ﴿ اتخذوا أيمانهم جُنَّة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ { المنافقون : ٢ } شنوا على نصوص الوحى الغارات المتتابعات لايتحرجون من التأويل الباطل ولا يألون جهدا فى دفع مانزل عليه من اليقين والحقائق ، قد عزلوا كتاب الله تعالى عن العمل ، بل إن بعضهم تطاول علــى النور والهدى فأراد أن يحجب الشمس بيده ، فانتزع آيات من القرآن زعم أنها متناقضة ، وعن السنة بأن العمل بها غير واجب ولكنهم لا يقدرون أن يقولوا كلمة تقدح فى إنجيل

متى أو إنجيل لوقا ، وإذا أفسد المنافقون الدين فسدت الحياة وصارت جحيمًا لا يطاق ظلمات بعضها فوق بعض كما قال تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ { المؤمنون : ٧١ } .

ثالثًا : النفاق ضرر على الأمة المسلمة فإن المنافقين وكر لأعداء الإسلام ، وعيون لهم يطلعونهم على عوراتهم ، ولايستبقون جهدًا فى إشاعة الأكاذيب والإرجاف بالإسلام وأهله ،والسعى بفساد ذات البين بين المسلمين حتى تتناكر القلوب ، وتختلف الصفوف لأن من المؤمنين من ينخدع بهم ويسمع لحديثهم قال تعالى ﴿ لوخرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ { التوبة : ٤٧ } ، ﴿ مازادوكم إلا خبالاً ﴾ أى فسادًا ونميمة وإيقاع فتنة فى ذات البين ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ أى لأسرعوا بالتحريش ونقل الكلام على وجه الإفساد للتفريق بين الأحبة ولهذا حذر الله أن نتخذهم بطانة فى قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم ﴾ { آل عمران : ١١٨ } يقول ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية . « والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لايألون المؤمنين خبالاً أى يسعون فى مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة » ففى مشورتهم الهلاك ، وفى رأيهم العطب ، ومثال يدلنا على ضرر المنافقين على المسلمين فعل محمد بن العلقمى وزير المستعصم الخليفة العباسى فقد كاتب التتر ودله على عورات المسلمين وأطمعه فى غزو بغداد وحجب عن الخليفة أخبار العدو حتى غشوا الأمة فقتلوا الرجال والنساء والأطفال هذا المنافق لعنه الله ولذلك قال تعالى ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ { المنافقون : ٤ } .

رابعًا : المنافقون ضرر على أخلاق الأمة لأنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يحسنون المعصية ويقبحون الطاعة يحببون إليها الشهوات ويزهدونها فى الجهاد . ويحملون غيرهم على خلقهم .

خامسًا : المنافقون ضرر على اقتصاد المسلمين لأنهم يهلكون الحرث والنسل وهما المصدران الأساسيان للإنتاج ، وازدهار الحياة ونمائها وإذا كانوا يُهلكون الحرث والنسل فغيرهما من مصادر الإنتاج أولى والنسل هو نتاج الأنعام ولأنهم إذا ائتمنوا

على مال المسلمين خانوا كما ذكر ذلك رسول الإسلام ﷺ ولأنهم يقبضون أيديهم فى سبيل الخير ويبسطونها فيما يضر الأمة وبالجملة فضررهم أكبر من كل ضرر وخطرهم على الدين أكبر من الكافرين والشياطين .

معاملة المنافقين

والرسول ﷺ كان يقبل من المنافقين علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله وأمر أن يعظهم بما يبلغ إلى نفوسهم ويؤثر فى قلوبهم ، كما أمر أن يعرض عنهم ويهملهم ليشعروا بالذلة والحقارة حتى يكفوا عن سوء فعالهم كما أمر عليه الصلاة والسلام أن يجاهدهم بإقامة الحجة عليهم ، وبيان ماهم عليه من ضلال وكشف شبهاتهم ودفعها ، وأمر ألا يتخذهم بطانة ولا يكل إليهم الأمور العامة ولا يأمنهم على الأسرار لأن هواهم مع الكافرين .

التوبة

بعد أن سمعت أحوال المنافقين وسوء فعالهم قد يساورك الظن أن أبواب الخير موصدة فى وجوههم وأن التوبة لاتنفعهم ، ولكن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وفتح أبواب الخير لكل طارق ، وقبل التوبة من كل مذنب كما قال تعالى : ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾ [الشورى : ٢٥] والله تعالى يأمر الذين يقولون : إن عيسى ثالث ثلاثة وإنه ابن الله – تعالى الله عن ذلك – يأمرهم ويحضهم على التوبة فى قوله : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ ، ويتوعد الله المنافقين بأعظم عذاب فى جهنم إلا أن يتوبوا توبة نصوحًا ويجعلون ولاءهم لله تعالى ولرسوله ﷺ والمؤمنين فإذا تابوا توبة صادقة كان لهم الأجر العظيم والثواب الجسيم قال تعالى ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٤٥ ، ٤٦] .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم

الرسالة السابعة عشرة :

معركة الشيطان مع بني الإنسان

وحيد عبد السلام بالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد .

فإن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان فلابد أن نعرف خطط ذلك الشيطان ، ونعمل على إبطال تلك الخطط حتى لا يستطيع الشيطان أن ينتصر علينا ، ولقد حذرنا الله منه في قرآنه فقال ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا ﴾ فلابد أن ننصب العداء للشيطان كما أمرنا ربنا تبارك وتعالى .

ومن هنا كتبت هذه الرسالة مبينًا فيها خطط الشيطان حتى يحذرها الإنسان .

والله أسأل أن لا يجعل للشيطان علينا سلطانًا ولا إلى قلوبنا سبيلا ،

وحيد عبد السلام بالي

الفصل الأول

عداوة الشيطان للإنسان

من هو الشيطان ؟ يقول ابن جرير الطبري : الشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء .

قال : وكذلك قال ربنا جل ثناؤه ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١١٢] فجعل من الإنس شياطينَ مثل الذي جعل من الجن ، ثم ساق بسنده عن أسلم العدوي رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه ركب برذوناً فجعل يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً ، فنزل عنه وقال : « ما حملتموني إلا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي » قلت وسنده حسن والبرذون هو الدابة (١) .

قال وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده عن الخير (٢) .

البداية : — عندما خلق الله آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا جميعاً لأنهم ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [سورة التحريم : الآية ٦] ولكن كان هناك مخلوق يتعبد معهم وليس من جنسهم إذ إنهم خلقوا من نور وهو خلق من نار فخانه أصله ساعة الابتلاء فأبى أن يسجد لآدم متعللاً بأنه أشرف من آدم فقارن بين الأصول ولم يلتفت إلى الآمر بالسجود فقال ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٢] ويا للعجب إنه يقر بأن الخالق هو الله بل ويقر بأن المحي والمميت هو الله حيث قال ﴿ أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ [الأعراف : ١٤] ولكن هل ينفع العلم بدون العمل ؟ كلا ثم كلا بل يكون وبالاً على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة : وهنا صدر الأمر الإلهي بالطرد واللعن ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ [سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥] ومن

---

(١) لسان العرب (١/٢٥٢) . (٢) جامع البيان (١/٤٩) .

هنا تأصلت العداوة بينه وبين آدم ففكر في الانتقام والتشفى .

التخطيط العاجل : وهنا فكر فى خطة ماكرة خبيثة فنطق على عجل ﴿ رب فانظرنى إلى يوم يبعثون ﴾ [سورة الحجر الآية ٣٦]

قال الأستاذ سيد قطب : لقد طلب النظرة إلى يوم البعث ، لا ليندم على خطيئته فى حضرة الخالق العظيم ، ولا ليتوب إلى الله ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم ، ولكن لينتقم من آدم وذريته جزاء ما لعنه الله وطرده . ويربـط لعـنة الله له بـآدم ولا يربطها بعصيانه لله ا . هـ .[1] .

الأهداف المنشودة :

وبعد ما اطمأن لبقائه إلى يوم البعث حين قال الله له ﴿ فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ [الحجر ٣٧ - ٤٠] بدأ يسرد تفاصيل الخطة ويفصح عن الأهداف المنشودة غير خائف ولا هيّاب فقال ﴿ رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [الحجر ٣٧ - ٤٠] قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله : وبذلك حدد إبليس ساحة المعركة إنها الأرض ﴿ لأزينن لهم فى الأرض ﴾ وحدد عدته فيها إنه التزين ، تزيين القبيح وتجميله ، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحه تزينه وتجمله وتظهره فى غير حقيقته وردائه فليفطن الناس إلى عدة الشيطان . وليحذروا كلما وجدوا فى أمر تزيينا ، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاءً ، ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك ، إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فليس للشيطـان بشـرطـه هـو على عباد الله المخلصين من سبيل ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [2] .

الهجمة الأولى : لقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً ليعادين بنى آدم أجمعين ومن هنا يقوم بالهجمة الأولى على الآدمى لحظة ولادته لينذره بالحرب فلا صلح ولا هوادة إنما هى حرب ضروس ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل بنى آدم يطعـن فى جنبيـه بإصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن فى

(١) الظلال (٤/٢١٤١) . (٢) الظلال (٤/٢١٤١) .

الحجاب »[1] .

ولذلك يستهل المولود صارخًا من طعنة الشيطان فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه . ثم قال : أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ متفق عليه [2] .

الفرق بين عداوة الشيطان وعداوة الإنسان

قال تعالى ﴿ خذ العفو وَأْمُر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ [الأعراف ١٩٩ - ٢٠٠] وقال سبحانه وتعالى ﴿ ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون . وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ [المؤمنون ٩٦ ، ٩٧] .

وقال تعالى ﴿ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [سورة فصلت ٣٤ - ٣٦] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعه فى معناها وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسى والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطانى لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا ولا يبتغى غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل . ا. هـ [3] .

التشكيك فى التوحيد :

إن التوحيد هو أساس الإسلام وصرحه الشامخ ، وهو السر فى انتصارات المسلمين

---

(١) رواه البخارى . (٦/٣٣٧ فتح) .

(٢) رواه البخارى (٨/٢١٢ فتح) ومسلم (١٥ / ١٢١ نووى) . (٣) تفسير ابن كثير (١/١٣) .

الأول ، وعليه قامت الإمبراطورية الإسلامية لأنه هو الذى يصنع الرجال وعليه مدار الإسلام ولهذا كانت معظم هجمات الشيطان موجهة نحو هذا الأساس وذلك الصرح ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » اللفظ للبخارى [1] .

عقد الشيطان وكيفية حلها

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » [2] .

قال النووى رحمه الله : واختلف العلماء فى هذه العقد فقيل هو عقد حقيقى بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام قال تعالى ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر فى تثبيط النائم كتأثير السحر ، وقيل يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات فى العقد ، وقيل هو من عقد القلب وتصميمه ، فكأنه يوسوس فى نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتتأخر عن القيام ، وقيل هو مجازى كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل . ا . هـ [3] .

قال الحافظ : وقوله « يضرب » أى بيده على العقد تأكيدًا وإحكامًا لها قائلاً ذلك ا . هـ [4] قلت : ولذلك يسمى بعض الناس هذا الحديث حديث الضرب على القفا ، وهذه الصفات الثلاث لا ينالها إلا الغافل الذى ينام دون أن يذكر الله أو دون أن يقرأ آية الكرسى . فإن قال قائل إن لفظ الحديث عام فى الغافل وغيره ، نقول إن عموم هذا الحديث مخصص بحديث أبى هريرة فى قراءة آية الكرسى عند النوم وإلى هذا مال الحافظ فقال : يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ آية الكرسى لطرد

---

(١) رواه البخارى (٦/٣٣٧ فتح) ومسلم (٢/١٥٤ نووى) .

(٢) رواه البخارى (٣/٢٤ فتح) ومسلم (٦ / ٦٦ نووى) .

(٣) شرح مسلم (٦/٦٥ نووى) .

(٤) فتح البارى (٣/٢٥) .

الشيطان ا . هـ [1] .

قال النووى « فأصبح نشيطًا طيب النفس » معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ووعده به من ثوابه ، مع ما يبارك له فى نفسه وفى تصرفه فى كل أموره ، مع مازال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه ا . هـ [2] .

قال الحافظ : والذى يظهر أن فى صلاة الليل سرًا فى طيب النفس وإن لم يستحضر المصلى شيئًا من ذلك ا . هـ [3] .

قلت : وهو الحق ولا يشعر بذلك إلا من ذاق حلاوتـه وأنس قرب الله فى هذه اللحـظات .

قال النووى : « وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه .

قال : وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهى الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان ا . هـ [4] .

قال الحافظ : ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين فى شرح الترمذى أن السر فى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد الشيطان [5] ا . هـ قلت : وهذا ملحظ جيد لولا ما يعكر عليه من حديث عائشة رضى الله عنها « ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثًا » [6] .

وهدف الشيطان من هذا كله تثبيط العبد عن قيام الليل وضرب الكسل عليه حتى يتمكن من الاستيلاء عليه طوال يومه ، وهذه من المكائد الخبيثة التى يكيد بها الشيطان للإنسان ولكن كيف تبطل هذه المكيدة ؟ .

---

(١) فتح البارى (٣/٢٧) .
(٢) شرح مسلم (٦/٦٦) .
(٣) فتح البارى (٣/٢٦) .
(٤) شرح مسلم (٦/٦٧) .
(٥) فتح البارى (٣/٢٧) .
(٦) أخرجه البخارى (٣/٣٣ فتح) ومسلم (٦/١٧ نووى) .

* بالوضوء قبل النوم لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال للبراء بن عازب « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة » [1] .

* أن توتر قبل النوم لما جاء عن ابن عمر أنه قال « ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا » قال الحافظ رواه سعيد بن منصور بسند جيد [2] أما إذا كنت تقوم قبل الفجر فتوتر فبها ونعمت والجرير هو الحبل الذى يخطم به البعير [3] فكأن الشيطان أمسك بزمامه فهو يوجهه حيثما شاء .

* تجمع كفيك وتقرأ فيها المعوذات ثم تنفث فيهما ثم تمسح بهما ما استطعت من جسدك بادئًا برأسك وهذا ثابت فى صحيح البخارى من حديث عائشة [4] .

* تقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة لما جاء فى الصحيحين من حديث أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه » [5] .

قال النووى : قيل معناه كفتاه من قيام الليل وقيل من الشيطان وقيل من الآفات ويحتمل الجميع [6] ا . هـ قال ابن القيم رحمه الله : الصحيح كفتاه شر ما يؤذيه ا . هـ [7] قلت وهل هناك أذى للإنسان أعظم من تسلط الشيطان عليه فيتناوله من باب أولى .

* تقرأ سورة من كتاب الله لما رواه أحمد والترمذى [8] عن شداد بن أوس رضى الله عنه مرفوعًا « ما من امرىء مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكًا يحفظه من كل شىء يؤذيه حتى يهب » حسنه الحافظ فى تخريج الأذكار .

* تقرأ آية الكرسى بتدبر وتفهم فهى تحفظك من الشيطان حتى تصبح وهذا ثابت

---

(١) رواه البخارى (١/٣٥٧ فتح) ومسلم (١٧/٣٢ نووى) .
(٢) فتح البارى (٣/٢٥) .
(٣) لسان العرب (١/٥٩٢).
(٤) البخارى (١١/١٢٥ فتح) .
(٥) رواه البخارى (٧/٣١٨ فتح) ومسلم (٢/٩٢ نووى)
(٦) شرح مسلم (٦/٩١) .
(٧) الوابل الصيب (٩١) .
(٨) سنن الترمذى (٥/١٤٢) .

فى البخارى من حديث أبى هريرة وفى الترمذى من حديث أبى أيوب وابن حبان من حديث أبى بن كعب .

تسبح ثلاثًا وثلاثين وتحمد ثلاثًا وثلاثين وتكبر أربعًا وثلاثين وهذا ثابت فى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه [1] .

* تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن وتنام على جنبك الأيمن وتقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » [2] .

* ثم تقول « بسم الله وضعت جنبى ، اللهم اغفر لى ذنبى ، وأخسىء شيطانى وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى » قال النووى رواه أبو داود بإسناد حسن [3] .

* ثم تذكـــر اللـــه حتـى يغلبك النوم فـــعن جابر رضـــى الله عنـــه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أوى الإنسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر فإذا ذكر الله حتى يغلبه يعنى النوم – طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه – أى يحرسه – فإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك : افتح بخير ويقول الشيطان افتح بشر فإن قال الحمد لله الذى أحيا نفسي بعد موتها ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . الحمد لله الذى يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ما أمسكهما من أحد من بعده . الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه » صححه الحاكم ووافقه الذهبى .

إستهزاء الشيطان بمن أهمل قيام الليل

إذا نام الإنسان حتى يصبح ولم يقم شيئًا من الليل ازداد عليه الشيطان تسلطًا ويتضح ذلك مما ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ذكر عند

---

(٢) رواه البخارى (١١/١١٩ فتح) ومسلم (٧/٤٦ نووى) .

(٣) رواه البخارى (١١ / ١٢٦ فتح) ومسلم (١٧/٣٧ نووى) .

(٤) الأذكار (٧٧) .

رسول الله ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح قال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه أو فى أذنه » (١) .

قال الحافظ : واختلف فى بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته . قال القرطبى وغيره لا مانع من ذلك إذ لا إحالة (٢) فيه ، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب . وينكح فلا مانع من أن يبول وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر وقيل معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر ، وقيل هو كناية عن ازدراء الشيطان به . وقيل إن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكثيف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشىء أن يبول عليه ا . هـ (٣) . وروى الإمام أحمد عن الحسن البصرى قال « إن بوله والله لثقيل » وقال ابن مسعود رضى الله عنه « حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان فى أذنه » رواه محمد بن نصر ، وقال الحافظ صحيح الإسناد . (٤) .

تنغيص النوم وتحزين المسلم

ومن مكـائده أعـاذنا الله مـنه أنـه يُرِى الإنسـان فى منـامه أحـلامًا مزعجة كى يحزنه ويؤله فقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عـنه قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله رأيت فى المنام كأن رأسى ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابى : لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك (٥) . وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا والرؤيا ثلاثة فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصلِّ ولا يحدث بها الناس (٦) وفى الصحيحين من حديث أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الرؤيا الصالحة من الله

---

(١) رواه البخارى (٣/٢٨ فتح) ومسلم (٦/٦٤ نووى) .

(٢) لا إحالة فيه : أى هذا جائز غير مستحيل .

(٣) فتح البارى (٣/٢٨) .

(٤) فتح البارى (٣/٢٩) .

(٥) رواه مسلم (١٥/٢٧ نووى) وابن ماجة (٢/١٢٨٧) . .

(٦) رواه البخارى (١٢ / ٤٠٤ فتح) ومسلم (١٥/٢١ نووى) .

والحلم من الشيطان . فمن رأى شيئا يكرهه فلينفث [1] عن شماله ثلاثًا وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره [2] .

ويجمع طرق هذا الحديث يتبين أن للرؤيا آدابًا يستحب للمسلم اتباعها إذا كانت الرؤيا صالحة : يحمد الله عليها ويستبشر بها ويتحدث بها لمن يحب دون من يكره .

وإذا كانت الرؤيا مكروهة : يتعوذ بالله من شرها ، ومن شر الشيطان ، وأن يتفل [3] عن يساره ثلاثًا ، ولا يذكرها لأحد ، ويتحول عن جنبه ، ويقوم فيصلى قال الحافظ : قد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور ؛ فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح وهى مشروعة عند كل أمر يكره ، وأما الاستعاذة من الشيطان فلما وقع فى بعض طرق الحديث أنها منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمى والتهويل عليه .

وأما التفل فقال عياض : أمر به طردًا للشيطان الذى حضر الرؤيا المكروهة وتحقيرًا له واستهزاء وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها ، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التى كـــان عليها ، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجأ إليه . مختصرًا [4] .

أما صفة الاستعاذه فقد قال إبراهيم النخعى « إذا رأى أحدكم فى منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ « أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه أن يصيبنى منها ما أكره فى دينى ودنياى » قال الحافظ أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد الرازق بأسانيد صحيحة [5] قال النووى : وأما قوله فإنها لا تضره معناه أن الله تعالى جعل هذا سببًا لسلامته من مكروه يترتب عليها كما جعل الصدقة وقاية للمال وسببًا لدفع البلاء ا. هـ [6] .

الشيطان يضحك من المتثائب

وذلك لأن التثاؤب ينشأ عن الكسل فيكون المتثائب فى حالة لا يستطيع معها أن يؤدى

---

(1) النفث : هو تفل بدون ريق .
(2) رواه البخارى (١٢/٣٨٣ فتح) ومسلم (١٥/١٦ نووى) .
(3) يتفل : يبصق بصقًا خفيفًا .
(4) فتح البارى (١٢/٣٧١) .
(5) فتح البارى (١٢/٣٧١) .
(6) شرح مسلم (١٥/١٨) .

الطاعات على أكمل وجه ، ومما يضحك الشيطان أن المتثائب يكون فى منظر غير جميل ولذلك يقول رسول الله ﷺ « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته [1] وأما التثاؤب فهو من الشيطان فليرده ما استطاع فإذا قال ها ضحك منه الشيطان » [2] رواه البخارى ومسلم .

وفى سنن ابن ماجة عن أبى هريرة مرفوعًا « إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوى فإن الشيطان يضحك منه » [3] وفى إسناده عبد الله بن سعيد قال أحمد منكر الحديث [4] . قال الحافظ : شبه التثاؤب الذى يسترسل معه بعواء الكلب تنفيرًا عنه واستقباحًا له » فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوى . والمتثائب إذا أفرط فى التثاؤب شابهه . قال : ومن هنا تظهر النكتة فى كونه يضحك منه لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقه فى تلك الحالة ا.هـ [5] .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل » [6] قال الحافظ : يحتمل أن يراد به الدخول حقيقة ، وهو وإن كان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرًا لله تعالى ، والمتثائب فى تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة ، ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه لأنه من شأن من دخل فى شىء أن يكون متمكنًا منه ا . هـ [7] .

قال النووى : قال العلماء : أمر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضحكه منه ا . هـ [8]

---

(١) يشمته : أى يقول له يرحمكم الله ، فيرد عليه العاطس ويقول : يهديكم الله ويصلح بالكم .

(٢) رواه البخارى (٦/٣٣٨ فتح) ومسلم (١٨/١٢٢ نووى) بنحوه .

(٣) سنن ابن ماجة (١/٣١٠) . (٤) التهذيب (٥/٢٣٧) .

(٥) فتح البارى (١٠ / ٦١٢) .

(٦) مسلم (١٨ / ١٢٢ نووى) ورواه الدارمى أيضًا (١/ ٣٢١) .

(٧) فتح البارى (١٠ / ٦١٢) .

(٨) شرح مسلم (١٨/١٢٣) .

ومن الجميل هنا أن نذكر ما رواه ابن أبى شيبة والبخارى فى التاريخ من مرسل يزيد ابن الأصم قال : ما تثاءب النبى ﷺ قط [1] .

أين يبيت الشيطان ؟

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه » اللفظ لمسلم [2] والخيشوم الأنف والاستنثار هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه والمقصود هو تنظيف الأنف من الداخل قال القاضى عياض رحمه الله : يحتمل أن يكون قوله ﷺ « فإن الشيطان يبيت على خياشيمه » على حقيقته فإن الأنف أحد منافذ الجسم التى يتوصل إلى القلب منها قال : ويحتمل أن يكون على الاستعاذة فإن ما ينعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان [3] ا . هـ .

قال الحافظ : ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ويحتمل أن يكون مخصوصًا بمن لم يحترز من الشيطان بشىء من الذكر كحديث أبى هريرة الذى فيه « فكانت له حرزًا من الشيطان وحديث آية الكرسى وفيه « ولا يقربك شيطان » ويحتمل أن يكون المراد بنفى القرب هنا لا يقرب من المكان الذى يوسوس فيه وهو القلب فيكون مبيته على الأنف ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ ا . هـ [4] .

من خططه الخبيثة

روى الأمام أحمد بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا ، فقام أهل الذكر فحجروا بينهم فتفرقوا » .

بعث الشيطان جنوده لفتنة الناس

روى مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « إن إبليس يضع عرشه على الماء

---

(١) فتح البارى (٦١٢/١٠) .
(٢) صحيح مسلم (٣ / ١٢٧ نووى) .
(٣) شرح النووى لمسلم (١٢٧/٣) .
(٤) فتح البارى (٣٤٣/٦) .

ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئًا . قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت » قال الأعمش : « أراه قال : فيلتزمه » [1] .

عن أبى موسى الأشعرى قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلمًا ألبسته التاج . فيقول له القائل : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته قال : يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى قال : أنت ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب الخمر قال : أنت . قال : ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل فيقول أنت أنت » [2] . رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى .

الوسوسة دليل عجز الشيطان

إن الشيطان يتلاعب بالكافر تلاعبًا ويغــويه ويقوده إلــى الفســاد فــى الأرض ويريد أن يفعل ذلك بالمؤمن فيعجز ، ولا يستطيع إلا الوسوسة لا يــزيد عليها ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة قال : تلك محض الإيمان [3] رواه مسلم .

وجاء أناس إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال « وقد وجدتموه » قالوا نعم قال ذاك صريح الإيمان » [4] مسلم قال النووى رحمه الله : ذاك صريح الإيمان ، ومحض الإيمان معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان . فإن استعظام هذا ، وشك الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققًا وانتفت عنه الريبة والشكوك [5] .

الوسوسة فى الصلاة

روى مسلم فى صحيحه عن أبى العلاء أن عثمان بن أبى العاص أتى النبى ﷺ فقال إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها علىّ : فقال رسول الله ﷺ « ذاك شيطان يقال له خنزب فــإن أحسسته فتعوذ بالله منــه واتفل علــى يســارك

---

(1) رواه مسلم (١٧ / ١٠٧ نووى) .

(2) صححه الألبانى فى الصحيحة برقم (١٢٨٠) .

(3) رواه مسلم (٢/١٥٣ نووى) .

(4) رواه مسلم (٢/١٥٣ نووى) .

(5) شرح مسلم (٢/١٥٤ نووى) .

ثلاثًا » قال ففعلت فأذهبه الله عني [1] .

تنبيه : أورد الغزالى فى الإحياء [2] هذا الحديث عن عمرو بن العاص وتبعه على ذلك دكتور السيد الجميلى [3] وهو غلط فتنبه .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أحدكم إذا قام يصلى جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدرى كم صلى ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس » [4] .

واعلم أن الشيطان يدخل على المصلى من بابين لا ثالث لهما . المدخل الأول ما يتعلق بالحواس الظاهرة كمن يصلى وهو يسمع صوتًا عاليًا فيشغله عن صلاته ومن يقع نظره أثناء الصلاة على شيء يعجبه كزخرف وغيره وهذا الباب إنما يُسد بقطع تلك العلائق والشواغل ولذلك لما لبس رسول الله ﷺ الخميصة التى أهداها إليه أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال « اذهبوا بها إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى وائتونى بأنبجانية أبى جهم » متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها .

وروى النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان على المنبر وفى يده خاتم فرماه وقال شغلنى هذا نظرة إليه ونظرة إليكم » [5] قال العراقى سنده صحيح .

ولذلك كره العلماء زخرفة المساجد لأنها تلهى المصلى عن الصلاة فقد روى ابن خزيمة وصحيحه : أن عمر أمر ببناء المساجد فقال : « أكن الناس من المطر ، وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس » وعلقه البخارى رحمه الله [6] . وقال الإمام أحمد « ولا يكتب فى القبلة شيء لأنه يشغل قلب المصلى » [7] .

---

(1) رواه مسلم (١٤ / ١٩٠ نووى) .
(2) الإحياء /١٣٨٧ .
(3) فى كتابه السحر وتحضير الأرواح ٨٥ .
(4) البخارى (٣ / ١٠٤ فتح) ومسلم (٥ / ٧٥ نووى) .
(5) رواه النسائى (١٩٥/٨) .
(6) البخارى (٥٣٩/١ فتح) .
(7) المغنى (٧٣/٢) .

أما المدخل الثانى فهو ما يتعلق بالقلب فمن أشرب قلبه حب الدنيا فلا يمكن أن يتخلص منها لا فى الصلاة ولا فى غيرها لأن من أحب شيئًا أكثر من التفكير فيه فتراه فى الصلاة يقوم ويقعد وينحنى ويسجد وقلبه بالدنيا مشغول وعليها ملهوف يطير به الشيطان من واد إلى واد ومن فكرة إلى أخرى .

ولعمر الله إن هذا المدخل عظيم لا يكاد ينفك عنه إلا من وفقه الله وليس له علاج إلا معرفة قدر الدنيا وحقارتها وأن نكثر من قول « اللهم اجعل الدنيا فى أيدينا ولا تجعلها فى قلوبنا » وأن نتذكر هيبة الله أثناء الوقوف أمامه فهو الذى قصم الفراعنة وانحنت له رقاب الجبابرة .

النسيان من الشيطان

قال الدكتور الأشقر : ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربه ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزمًا ﴾ [سورة طه الآية ١١٥] وقال صاحب موسى لموسى عليه السلام ﴿ فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ [سورة الكهف الآية ٦٣] .

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو أحد من أصحابه فى المجالس التى يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد ينسى الإنسان مراد ربه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوى الظالمين ﴾ [سورة الأنعام الآية ٦٨] .

وطلب نبى الله يوسف عليه السلام من السجين الذى ظن بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه وأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبى الله يوسف فمكث يوسف فى السجن بضع سنين ﴿ وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ [سورة يوسف الآية ٤٢] وإذا تمكن الشيطان تمكنا كليًا فإنه ينسيه الله بالكلية ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن

حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ [سورة المجادلة الآية ١٩] والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية وسبيل التذكر هو ذكر الله لأنه يطـرد الشيطـان ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [سورة الكهف الآية ٢٤] . ا . هـ (١) .

إشعال العداوة بين الناس

وهذا هدف من أهداف الشيطان الخبيثة يسلك إليه كل طريق يتخذ له كل وسيلة ومن هذه الوسائل الخمر فإنها تزيل العقـل وتفقد التوازن وعندئذ يتمكن الشيطان من الإنسان فيقوده إلى ما يريد ، فقد روى البيهقى بسنده . عن عثمان بن عفان رضـى الله عنه قال :

اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة فدخل معها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت إنى والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علىّ أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر . فسقته كأسًا فقال : زيدونى فلم يدم حتى وقع عليها وقتل النفس) صحح ابن كثير سنده (٢) .

ومن هذه الوسائل أيضًا الميسر « القمار » لأنها توقع العداوة بين الناس وتورث الحقد فى النفوس ، ومنها الأنصاب التى تعبد من دون الله وهى وسيلة كبرى لتسلط الشيطان على الإنسان فيلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة ومن هذه الوسائل أيضًا الأزلام أى القداح التى يستقسم بها الكفار فى الجاهلية وهى تساوى فى زماننا هذا ما يسمونه « الحظ » وكذا « الاستفتاح » وهو فتح المصحف ثم النظر فيه فالآية التى يقع نظره عليها يظن أنها حظه وهذا كله من عمل الشيطان ولذلك حذرنا الله منـه بقـوله :
﴿ إنما الخمر والميسر الأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [سورة المائدة

---

(١) عالم الجن والشياطين / ٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٩٧) .

الآيتين ٩٠ – ٩١] .

ومن تلك الوسائل أيضًا الكلمة فإنها أحيانًا تحمل على غير معناها فتوقع العداوة والبغضاء ولذلك أمرنا الله بالقول الحسن فقال سبحانه وتعالى ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم . إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا ﴾ [سورة الإسراء الآية ٥٣] .

قال سيد قطب : ﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ﴾ على وجه الإطلاق وفى كل مجال . فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيىء يتلوها فإذا روح الود والمحبة والوفاق يشوبها الخلاف ثم الجفوة ثم العداء والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب تندى جفافها وتجمعها على الود الكريم (١) . ا . هـ . وإذا انتقل بنا الحديث إلى الآداب النبوية وجدنا رسول الله ﷺ يسد كل ثغرة يدخل منها الشيطان .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان أن ينزغُ فى يده فيقع فى حفرة من النار » (٢) رواه البخارى ومسلم وقال رسول الله ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (٣) من حديث عدى بن حاتم وهذا كله إنما هو لسد باب عظيم من أبواب الشيطان الرجيم ألا وهو التحريش بين المسلمين وإشعال نار الفتنة بينهم ، فعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم » (٤) رواه مسلم .

مكان الشيطان فى الإنسان

قال النبى ﷺ « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » (٥) متفــــق عليه وفى

---

(١) الظلال (٢٢٣٤/٤) . (٢) الظلال (٢٢٣٤/٤) .

(٣) البخارى (٢٣/١٣ فتح) ومسلم (١٧٠/١٦ نووى) .

(٤) البخارى (٢٨٣/٣ فتح) ومسلم (١٠١/٧ نووى) .

(٥) رواه مسلم (١٥٦/١٧ نووى) .

رواية أخرى « إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم » (1) متفق عليه .

قال الحافظ : قيل هو على ظاهره وأن الله تعالى أقدره على ذلك ، وقيل هو على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه ، وكأنه لا يفارق كالدم فاشتركا فى شدة الاتصال وعدم المفارقة ا . هـ (2) .

وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس ا . هـ (3) .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيطان يستطيع أن ينفذ فى جسم الإنسان ولذلك يختار القلب مكانًا لأنه هو القائد والأعضاء جنوده فإذا سيطر الشيطان على القلب خضعت الجوارح ولذلك يقول النبي ﷺ « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » متفق عليه من حديث النعمان بن بشير (4) . ولكن هناك قلوبًا تحيط بها أسوار الإيمان وحصون التقوى وعليها حراس الذكر فلا يستطيع الشيطان أن يدخلها إلا خلسة فإذا دخلها قام حراس الذكر فطردوه خارج الحصون مذمومًا مدحورا .

قوة الإيمان تضعف الشيطان

قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب « والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك » (5) متفق عليه . قال الحافظ فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه ، لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها ولا يمنع ذلك من وسوسته بحسب ما تصل إليه قدرته فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه

---

(1) رواه البخارى (٤/٢٨٢ فتح) ومسلم (١٤/١٥٥ نووى) .
(2) البخارى (٤/٢٧٨ فتح) ومسلم (١٤ / ١٥٧ نووى) .
(3) فتح البارى (٤/٢٨٠) .
(4) تفسير ابن كثير (٤/٥٧٥) .
(5) البخارى (١/١٢٦ فتح) ومسلم (١٠ / ٢٨ نووى) .
(2) رواه البخارى (٦/٣٣٩ فتح) ومسلم (١٥ / ١٦٥ نووى) .

إذا منع من السلوك فى طريقه فأولى الا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان .

قال ووقع فى حديث حفصة عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ « إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أن أسلم إلا خر لوجهه » ا . هـ [1] .

فانظر أخى المسلم إلى قوة الإيمان كيف تؤثر فى الشيطان حتى تصل إلى درجة الخوف والهروب .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسٍ ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبرعار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول ؟

فقال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعًا ، وأذا ادهن سمى الله فأظل شعثًا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانًا ، وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانًا فقال : ولكنى مع رجل لا يفعل شيئًا من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه .

وروى ابن أبى الدنيا عن قيس بن حجاج قال : قال شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور أى البعير وأنا فيك اليوم مثل العصفور قال : قلت ولم ؟ قال : تذيبنى بكتاب الله .

وقال أحد الصحابة كنت ردف النبى ﷺ على حمار ، فعثر الحمار فقلت تعس الشيطان ، فقال لى النبى ﷺ لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم فى نفسه وقال صرعته بقوتى وإذا قلت بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب » قال المنذرى رحمه الله رواه أحمد بإسناد جيد [2] .

مزامير الشيطان

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « الجرس مزامير الشيطان » [3] رواه مسلم ولما كانت الشياطين تصحب الجرس تخلت الملائكة عن الرفقة التى معها

(١) فتح البارى (٧/٤٧) .

(٢) الترغيب والترهيب (٥/٢٧٦) .

جرس فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس [1] » رواه مسلم .

الشيطان لحاس

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال : « إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم . ومن بات وفى يده ريح غَمَر [2] فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه » رواه الترمذى [3] الحاكم كلاهما من طريق يعقوب بن الوليد المدنى ، ويعقوب هذا قال عنه الحافظ . كذبه أحمد وغيره [4] .

قال المنذرى لكن رواه البيهقى والبغوى وغيرهما من حديث زهير بن معاوية عن سهيل بن أبى صالح عن أبى هريرة وحسنه البغوى وهو كما قال [5] ا . هـ . قلت : وروى الشطر الثاني منه أبو داود [6] من طريق أحمد به يونس حدثنا زهير به ، وفى صحيح مسلم [7] عن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شىء من شأنه حتى يحضره عند طعامه . فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة وفى الصحيحين [8] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال « إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يُلعقها » .

الأسواق معركة الشيطان

قال سلمان [9] « لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته »

---

(١) رواه مسلم (١٤/٩٤ نووى) .

(٢) الغَمَر بالتحريك : الدسم والزُّهومة من اللحم ، كالوضَر من السمن ، أثر طعمه ورائحته .

(٣) الترمذى (٣/١٩٠) .

(٤) تقريب التهذيب (٢/٣٧٧) .

(٥) الترغيب (٤/٢١٢) .

(٦) أبو داود (٣/٣٦٦) .

(٧) رواه مسلم (١٣/٢٠٧ نووى) .

(٨) رواه البخارى (٩/٥٧٧ فتح) ومسلم (١٣/٢٠٣ نووى) .

(٩) رواه مسلم (١٦ / ٧ نووى) .

قال النووى رحمه الله : شبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة والعقود الفاسدة والبخس والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه والسوم على سومه وبخس المكيال والميزان .

قال : وقوله « بها تنصب رايته » إشارة إلى ثبوته هناك أو اجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها فهى موضعه وموضع أعوانه ا . هـ [1] .

نسأل الله تبارك وتعالى أن
يعصمنا من الشيطان بفضله ورحمته
فهو ولى ذلك والقادر عليه .

---

(١) شرح النووى (١٦ / ٧) .

الرسالة الثامنة عشرة :

ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة

للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان
رئيس قسم الدراسات العليا

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي أنعم على عباده المؤمنين بالهداية والاعتصام بحبله المتين ، وجمعهم على الحق ، ووقاهم شر التشاحن ، وذل التخاذل ، ومنّ عليهم بالإخاء والألفة ، وجنّبهم الاختلاف والفرقة .

أحمده أن هدانا لمعرفة الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله لبيان سبيله الموصلة إليه ، والتحذير من سلوك سبل الضلال ، فجمع به القلوب بعد الفرقة ، وأعز به بعد الذلة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فإنه لا يستقيم للناس حال في دنياهم ومآلهم إلا بالاتفاق ، والائتلاف واجتناب التنابذ والاختلاف .

ولابد أن يكون الاجتماع والاتفاق على أمر عام ، يشتركون في نفعه ، ويؤمِّلون جميعًا عائدته وفضله ، في عاجل أمرهم وآجله .

ولا يحصل الاتفاق الكامل ، الذي تكون فيه المحبة والألفة ، إلا مع اتفاق الدين ، والعقيدة ، فإذا كان الدين حقاً ، والعقيدة صافية من الشوائب ، وسالمة من الانحرافات والغوائل ، فهناك يقوى الاتفاق ويتم ، وتتأصل الرابطة ، ويحصل البذل والإيثار ، ولهذا أمر الله تعالى عباده بتقواه المستلزم لحصول الإيمان ، وفعل المأمور ، واجتناب المحظور ، ثم أمر بالاعتصام بحبله جميعا ونهى عن التفرق والاختلاف فقال تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنت تكفرون ، وأما الذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [آل عمران : آية ١٠٢ - ١٠٧] .

قال ابن جرير : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ، المعنى : وتعلقوا بأسباب الله جميعًا ، يريد بذلك أن تمسّكوا بدينه الذي أمركم به ، وعهده الذي عهده إليكم ، في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .

والاعتصام : هو الامتناع بالشيء والاحتماء به ، والعصم : هو المنع ، فكل مانعٍ شيئًا فهو عاصمه ، والممتنع به معتصم به ، ومن ذلك قول الفرزدق :

أنا ابْنُ العاصِمين بني تميمٍ إذا ما أعظم الحَدْثان نابا

والحبل : هو السبب الذي يوصل إلى المراد ، ولذلك سمي الأمان حبلاً ، لأنه يوصل إلى زوال الخوف ، والنجاة من الفزع والذعر ، ومنه قول أعشى بني ثعلبه :

وإذا تُجوِّزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿ إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ (١) .

وقد فُسر حبل الله بأنه الاجتماع على الحق .

وفُسر بأنه القرآن ، وعهد الله الذي عهده إلى عباده فيه .

وفُسر بأنه التوحيد ، وإخلاص العمل لله تعالى .

روى ابن جرير بسنده إلى ابن مسعود ، قال : حبل الله الجماعة (٢) .

وروى عن قتادة قال : حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به : هذا القرآن .

وكذا قال مجاهد ، والضحاك وعطاء .

وروى عن ابن مسعود ، قال : إن الصراط محتَضر ، تحضره الشياطين ، ينادون : يا عبد الله هلم هذا الطريق ، ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله هو كتابه (٣) .

وقال مجاهد : حبل الله عهده وأمره .

---

(١) تفسير الطبري جـ ٧ ص ٧١ بتحقيق محمود شاكر ط المعارف .

(٢) تفسير ابن جرير ج ٧ ص ٧١ .

(٣) المصدر نفسه .

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي قال : حسن غريب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »[1] .

وروى ابن جرير عـن أبي العالية :

قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ قال : الإخلاص لله وحده[2] .

وهذه الأقوال كلها حق ، وليس فيها اختلاف ، فحبل الله هو كتابه ، ودينه وأمره الذي أمر به عباده ، وعهد إليهم به ، وهو الذي أمر بالاجتماع عليه ، ونهى عن التفرق فيه .

والمقصود من ذلك كله أن يوحّدوا الله تعالى بالطاعة والعبادة ، ويخلصوا له العمل . والاعتصام بحبل الله يتضمن الاجتماع على الحق ، والتعاون على البر والتقوى والتناصر على أعداء الله وأعداء المسلمين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ولذلك بعد أن أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله ، وهو الاجتماع على دينه والاحتماء به ، أكد ذلك بالنهي عن الفرقة ، فقال تعالى : ﴿ ولا تفرقوا ﴾ قال ابن جرير : يعني ألا تفرقوا عن دين الله وعهده إليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعة الله ، وطاعة رسوله – ﷺ – والانتهاء إلى أمره ، ثم روى عن قتادة ، قال : إن الله تعالى كره لكم الفرقة ، وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ورضى لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .

وروى عن ابن مسعود قال : « يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تحبون في الفرقة »[3] .

ومن الأمور المسلّم بها أنه لابد للناس من أمر يجتمعون عليه ، يحكم بين المختلفين ويفصل بين المتنازعين إذ الاختلاف من طبيعتهم ، ولابد له ممن يلزم من يأبى ذلك ، وينفذ الأحكام ، حتى يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم ، ويكون اتجاههم موحدا ، كما

---

(١) المسند جـ ٣ ص ٢٦ ، ٥٩ ، ١٤ ، ١٧ وانظر الترمذي جـ ٤ ص ٣٤٣ [وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع] .

(٢) تفسير الطبري جـ ٧ ص ٧٣ .

(٣) ابن جرير جـ ٧ ص ٧٥ .

قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه :

وما الدِّينُ إلا أن تُقَام شريعةٌ وَتَأمَنَ سُبُلٌ بيننا وشِعابُ (١)

ولهذا اتفقت المجتمعات على اختلاف أديانها ، ووجهاتها على وضع قانون يرجعون إليه عند الاختلاف ، ويحكمونه عند المنازعات ، فهو من الضروريات التي لا تصلح دنياهم إلا به .

ومعلوم أن الإنسان ظلوم جهول ، فلابد أن يقع في الجهل والظلم في وضع القانون وغيره ، ولذلك أنزل الله تعالى الشرائع من عنده ، لتحكم بين العباد بالعدل وأوجب تعالى على عباده الرجوع إلى شرعه ، عند الاختلاف ، ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ، وجعل ذلك شرطًا في حصول الإيمان .

فقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [الآية : ٦٥ من سورة النساء] .

ثم لا بد للمجتمع من رئيس مطاع ، ذي قوة وسلطان حتى يقوم بتنفيذ شرع الله تعالى على من يَلْزَمُهُ الحكم ويأباه ، أو يجهله ، وأمر الله تعالى عباده أن يكونوا عونا له على ذلك ؛ لأن هذا هو الذي تحصل به مصالح الدنيا والآخرة ، وبدونه يعم الفساد والفوضى ، والظلم ، فلابد من إلزام الخلق بالحق ، ومنعهم من الظلم والتعدي في الدماء والأموال ، والأعراض ، وقطع السبل ، وإلا فسدت الأمور ، وانتهكت الأعراض ، ونُهبت الأموال ، وسُفكت الدماء .

ولابد من العدل في ذلك ، وهو الميزان الذي أنزله الله على رسله ،

قال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [الآية : ٩٠ من سورة النحل] .

---

(١) نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية إليه ولم أجده في ديوانه .

وقال تعالى : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [الآية : ٥٨ من سورة النساء] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ [الآية : ١٥٢ من سورة الأنعام] .

وقد جاء عن رسول الله – ﷺ – أنه قال : « لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالتْ صدقتْ ، وإذا حكمتْ عدلتْ وإذا استُرْحِمَتْ رَحِمَتْ » (١) .

ومفهوم ذلك أنها إذا لم تكن كذلك فهي في شر .

قال الحسن : « إن الله أخذ على الحكام ثلاثا ، أن لا يتبعوا الهوى ، وأن يخشوه ولا يخشوا الناس ، وأن لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا » .

قال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [الآية : ٢٦ من سورة ص] .
وقال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ [الآية : ٤٤ من سورة المائدة] .

والمقصود أن الله تعالى أوجب على المسلمين أن يجتمعوا على دين الحق الذي هو الإسلام وأن يعتصموا بكتاب الله تعالى ، وأن تكون وحدتهم عليه ، فعليه يجتمعون وبه يتحدون ، لا بالقوميات والجنسيات ، ولا بالمذاهب والأوضاع السياسية التي اخترعوها بأفكارهم القاصرة .

ونهاهم تعالى عن التفرق والانقسام ، بعد الاجتماع والاعتصام بكتاب الله تعالى لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العز والقوة فبالاجتماع تقوى الأمة ، وبالقوة يعتز الحق فيعلو على الباطل ، ويُحفظ من هجمات المواثبين ، ويحمي من كيد الكائدين ، قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم

---

(١) قال السيوطي رواه أبو يعلي [وهو في أبي يعلي برقم ٣٦٤٢] والخطيب في المتفق والمفترق .
انظر الجامع الكبير المصور عن المخطوطة جـ ١ ص ٨٨٧ .

عن سبيله ﴾ [الآية ١٥٣ من سورة الأنعام] . فالإسلام هو سبيله ، والعصبيات والقوميات هي السبيل المشتتة التي تؤدي إلى الضعف والهلاك .

والإسلام يأمر بالوفاق والاتفاق بين كل من تحكمهم شريعته ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا ، وقد بددت العصبياتُ القبلية العربَ قبل الإسلام ؛ فلم يكن لهم شريعة تجمعهم ولا نظام يحكمهم ، وحينما لجؤوا إلى الإسلام نالوا به العزة والسيادة والسعادة ولما سرى سم العصبيات الموبوءة التي نقلها متفرنجة المسلمين إليهم ، يخادعون بذلك قومهم ، موهمين بأنهم يريدون النهوض بأوطانهم ، وإعلاء شأنهم ، أصبح الأمر معكوسًا فلم يجنوا من ذلك سوى الضعف والتفكك والتفرق الذي مهّد السبيل أمام أعدائهم للاستيلاء على خيرات بلادهم ، وعلى أفكارهم ، وفي النهاية أصبح أعداؤهم يتحكمون فيهم ، وإن أوهموهم بأن الأمر بأيديهم .

فالإسلام وحده هو الأساس الذي ينبع منه إيجاد المجتمع المتكامل ، المتساند الذي يعمل من أجل خير الجميع ، لأن الإسلام يعتبر الفرد هو النواة للجماعة ، ولا يعترف بالجماعة إلا إذا كانت لا تعمل على ضمان صالح الفرد .

ومن المتيقن أن المسلمين لن تقوم لهم دولة عزيزة قوية إلا إذا اجتمعوا على ما اجتمع عليه أوائلهم وأسلافهم ، الذين فتحوا البلاد بعدل الإسلام وعزّته ، وفتحوا القلوب لعبادة الله وحده لا شريك له ، وبذلك صاروا هم القادة .

ولتكن دويلة اليهود في فلسطين معتبرا لمن يعقل ويعتبر ، كيف أصبحت تتحداهم وتهددهم ، ولا يستطيعون الامتناع منها ، وليس لذلك سبب سوى انصراف المسلمين عن دينهم الذي هو مصدر عزهم وقوتهم .

فبالإسلام وحده استطاع أجدادنا لما كان إمامهم رسول الله – ﷺ – وقائدهم القرآن أن يكونوا أكبر دولة وأعظمها ، لا تستطيع القوى المادية مجتمعة إيجاد مثلها .

وقد علم لكل من يقرأ التاريخ أن المسلمين كلما حادوا عن دينهم ، حاق بهم ما وقع بهم في الأندلس وغيره ، إن ما وقع للمسلمين قديمًا وحديثًا كله بسبب انصرافهم عن دينهم ، فيجب أن يكون ذلك لهم عبرة ، فقد أبيدت أمم من المسلمين وسلبت بلادهم ،

وسبيت نساؤهم وأولادهم ، وارتد من بقي منهم في تلك البلاد عن الإسلام كما حصل في الأندلس ، بسبب التفكك والاختلاف الذي نهاهم عنه دينهم وحذرهم الله منه على لسان رسوله - ﷺ - ، كما في حديث ثوبان « وإني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوًا مِنْ سِوى أنفسهم فيستبيحَ بيضَتَهم وإن ربي قل : يا محمد إني اذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأ لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيحَ بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَنْ في أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا »[1] .

ولما كانوا مجتمعين ، تسودهم روح الإسلام ، ويلتزمون أحكامه ، لم يكن العدو يطمع بهم وليس له فيهم منفذ ، حتى صاروا هم يدمرون أنفسهم وبلادهم ، بتفرقهم وإختلافهم .

وقد اتفق أهل النظر وعلماء التاريخ والاجتماع من المسلمين وغيرهم من الأمم المختلفة أن العرب ما قاموا ببناء حضارتهم ، ومدنيتهم الواسعة الأرجاء إلا بتأثير الإسلام ، في جمع كلمتهم ، وإصلاح شئونهم النفسية ، والعلمية ، والخلقية .

ولهذا لما رأى الكفار قوة المسلمين ، ووحدة صفهم على عدوهم ، عملوا على تمزيق هذه الوحدة ، بوسائل متعددة ، منها تقسيم بلادهم إلى دويلات متعددة ، وجعلوا لكل دويلة حدودا ، ونظاما ، وأمورًا قد يحصل بسببها القتال بينها وبين جارتها وبذلك أمكنهم السيطرة على المسلمين ، من نواحي متعددة .

ومعرفة الجماعة وأهميتها في الدين ، وكذلك معرفة حكم الفرقة وعظيم ضررها ، مما ينبغي الاعتناء به ، وكذلك معرفة منشأ الفرقة وأسبابها ، فإن بالفرقة يحصل التلاعن والتباغض ، والتقاطع ، ثم القتال ، وهذا أصل محرم في الشرائع كلها التي أنزلها الله على رسله ، وإنما ترتكب بظلم الناس وجهلهم .

وكذلك تمييز السنة من البدعة مما يجب الاعتناء به ، إذ السنة ما أمر الله به والبدعة ما لم يشرعه الله من الدين .

---

(١) رواه مسلم جـ ٤ رقم ٢٨٨٩ { وغيره } .

وقد كثر اضطراب الناس في ذلك قديمًا وحديثًا ، وحصل بسب ذلك من التفرق والتباعد والتباغض شر عظيم ، وضعفٌ كبيرٌ ، وتباعد شاسع ، إذ كل فريق يزعم أنه المهتدي ، والسنة معه ، والفريق المخالف له ضال أو ربما كافر ، فينشأ عن ذلك من التفرق والشرور ما الله به عليم .

وقد ذم الله تعالى الاختلاف ونهى عنه أشد النهي ، قال تعالى :

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [الآية : ١٥٩ من سورة الأنعام] .

وقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [الآية : ٢١٣ من سورة البقرة] .

فأخبر تعالى عن اتفاق الناس في الأصل ، وأنهم كانوا جماعة متحدة ، ثم اختلفوا . وهذا الاختلاف في الدين ، هو الاختلاف الذي يكون به تضليل بعضهم بعضا ومعادة بعضهم لبعض ، ثم بعد ذلك يكون القتال وشدة التفرق .

وقد بعث الله تعالى إلى العباد النبيين ، مبشّرين من أطاعهم واجتمع على الهدى الذي جاءوا به بالسعادة والسيادة ، ومنذرين من عصاهم بالعذاب في الآخرة والعقوبة في الدنيا بما ينغص عليهم حياتهم ، أو يهلكهم بعذاب متصل بعذاب الآخرة .

ولما كان عقل الإنسان وفكره قاصرًا عن الوصول إلى كل ما فيه مصلحته ، وهدايته من العدل في حقه وحق غيره ، ولتفاوت عقول الناس ، وإدراكاتهم ، فلابد من اختلافهم ، مع ما فيهم من النقص ، لذلك أنزل الله الكتاب ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه من العلم والاعتقاد ، والعمل والحكم .

لأن الاختلاف إما أن يكون في الأقوال ، كاختلاف الفقهاء الذين يتكلمون في مسائل العلم ، ولا يدعون إلى أقوال مبتدعة فهولاء أهل اجتهاد ، إذا أخطأوا فخطؤهم مغفور ،

وهم مثابون على اجتهادهم .

وإما أن يكون الاختلاف في القول والعمل ، غير أن الأقوال مبنية على تأويل فاسد ، اتباعًا للهوى ، ويدعون إليها ، ويحاربون عليها ، ويوالون ويعادون كفعل الخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، ونحوهم ، ويدخل في ذلك من يقاتل لأجل الملك والدنيا والرئاسة ، فهؤلاء ما بين معتد ظالم أو مفرّط ضال أو عابد لهواه وشهوته ، فهؤلاء هم أهل الضلال ، والخذلان ، وهم الذين توجه إليهم الذم في الكتاب والسنة .

وأول هؤلاء هلاكًا هم الخوارج المارقون عن الحق ، حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وأن علي بن أبي طالب ، ومعاوية وعسكريهما هم أهل المعصية ، والبدعة ، فاستحلوا ما استحلوا من دماء المسلمين بسبب ذلك .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويكره لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم [1] ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » [2] .

وروى ابن أبي شيبة ، عن حذيفة قال : « من فارق الجماعة شبرا ، فارق الإسلام » [3] .

وروى عن علي ، قال : « الأئمة من قريش ، ومن فارق الجماعة شبرا ، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه » [4] . والمقصود بالجماعة أهل الحق الذين اجتمعوا عليه ، ولم يخالفوا ما جاء به رسول الله - ﷺ - بحسب الاستطاعة .

وهذه النصوص وأمثالها تدل على وجوب جمع كلمة المسلمين واجتناب كل ما يكون سببًا للخلاف ، حتى مسائل العلم الاجتهادية التي ينشأ عنها تفرق ومعاداة .

---

(١) المنهاج جـ ٣ ص ٣٣ .
(٢) انظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٣٤٠ رقم ١٧١٥ .
(٣) المصنف جـ ١٥ ص ٢١ .
(٤) المصدر نفسه جـ ١٥ ص ٢٤ .

فإنه قد يكون في مسائل الاختلاف اعتقاد وجوب بغض المخالف في تلك المسألة أو تفسيقه ، أو لعنه وتكفيره ، أو قتاله ، ويكون ذلك في حق المبغض المفسّق أو المكفّر المقاتل بلاء ومحنة وفتنة ، كما هو حال البغاة المتأولين ، مع أهل الحق والعدل من أهل الأمر والنهي أو أهل العلم والعمل ، يعني الأمراء والعلماء والعباد .

ولكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة ، إلا مع البغي والعدوان ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ [الآية : ٢١٣ من سورة البقرة] . وذكر هذا تعالى في آيات أخر ، كقوله تعالى :

﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ [الآية : ١٩ من سورة آل عمران] . وقوله تعالى :

﴿ فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ . [الآية : ١٧ من سورة الجاثية] . فبين تعالى أن الاختلاف الموجب للفتنة والفرقة إنما هو بغي ، وعدوان ، فلا تكون فتنة وفرقة مع الاختلاف السائغ في الشرع .

ولهذا نهى النبي – ﷺ – عن القتال في الفتنة (١) ، وصار هذا من أصول أهل السنة التي تذكر في العقائد لأهميته .

وإن كان بعض العلماء يرى إذا كانت إحدى الطائفتين لديهما العلم التام بأحكام الشرع ، والأخرى باغية أنه يجب القتال مع الطائفة العادلة العالمة وحكموا بأن الأصوب القتال مع علي بن أبي طالب في قتال الفتنة ، وأن ذلك أولى من اعتزال القتال .

ولكن النصوص الكثيرة دلت على أن الصواب اعتزال القتال ، كما فعله أكثر الصحابة ، كقوله – ﷺ – فيما رواه ابن أبي شيبة عن محمد بن مسلمة قال : أعطاني رسول الله – ﷺ – سيفا فقال : « قاتل به المشركين ، فإذا رأيت الناس يضرب بعضهم بعضاً ، فاعمد به إلى صخرة فاضربه بها حتى ينكسر ، ثم اقعد في بيتك حتى

---

(١) [انظر الحديث رقم (٢) في الصفحة القادمة] .

تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية »[1] .

وكما في سنن أبي داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله – ﷺ – قال في الفتنة : « كسّروا فيها قِسِيَّكم ، وقطعوا أوتاركم ، والزموا فيها أجواف بيتوكم ، وكونوا كابن آدم »[2] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله – ﷺ – : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به » . وفي صحيح مسلم عن أبي بكرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « أنها ستكون فتنة ، ألا ثم تكون فتن ، القاعد فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ، ألا فإذا وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت من لم تكن له إبل ولا غنم ، ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن ستطاع النجاة ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت .

فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو إحدى الطائفتين ، فضربني رجل بسيفه ، أو يجيء سهم فيقتلني ؟ قال : يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار » .

وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة أنه سمع رسول الله – ﷺ – يقول : « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، فقيل : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه أراد قتل أخيه » .

وفي البخاري عن أبي سعيد أن رسول الله – ﷺ – قال : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

والأحاديث عن رسول الله – ﷺ – بالأمر بالكف عن القتال في الفتن ، واعتزال

---

(١) [رواه أحمد ٤/٢٢٦ ، ٥/٤٠ ، ٤٨] .

(٢) [وهو صحيح أورده الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم ١٧٩٥ ، وابن ماجه ٣٣٦١ وجزم بصحته] .

المقاتلين كثيرة جدًا ، وواضحة جلية ، وهي من الأمور المانعة من التفرق ، لأن هذا هو العلاج في مثل تلك الحال ، فإذا لم تمنع بالكلية فبها ، العمل على تقليلها ، ولو باعتزال أصحابها .

ومن الأصول المتفق عليها عند أهل السنة ، ودلت عليه النصوص الكثيرة ، أنه إذا كان للناس إمام جائر ظالم ، فإن الناس يؤمرون بالصبر على جوره وظلمه ، وبغيه ولا يقاتلونه وأن مجرد وجود البغي من إمام ، أو من طائفة لا يبيح قتالهم .

فدفع البغي لم يأذن الشرع به مطلقًا بالقتال ، بل إذا كان فيه فتنة ، ويترتب عليه ضرر أعظم منه وجب الكف عنه ، وأمر بالصبر والاحتمال ، لأن الشريعة مبناها على دفع أعظم المفسدتين بالتزام أقلهما ضررًا ، إذا لم يمكن دفع الفساد مطلقا .

والنبي – ﷺ – إذا وصف طائفة بأنها باغية ليس معنى ذلك أنه أمر بقتالها بل ولا مبيحًا له ، سواء كان بغيها بتأويل ، أو غير تأويل .

وكل ما أوجب فتنة أو فرقة بين المؤمنين فليس هو من الدين ، سواء كان قولا أو فعلا .

والفتنة والفرقة لا تقعان إلا مِنْ تَرْك ما أمر الله به ، والله تعالى – أمر بالحق والعدل ، وأمر بالصبر ، والفتنة تكون من ترك الحق ، أو من ترك الصبر .

فالمظلوم إذا كان على حق ، فإنه يؤمر باحتمال الأذى والصبر على البلوى ، فإذا ترك الصبر ، فإنه يكون تاركا لما أمر الله به .

وإن كان المظلوم مجتهدًا في معرفة الحق ، ولم يُصِبْهُ ، ثم لم يصبر على البلوى ، كان مقصرًا في معرفة الحق ، وآثمًا بترك الصبر ، ولكن قد يؤجر على اجتهاده ، ويُعفى له عن تقصيره ، وأما ترك الصبر فعليه إثم ذلك .

وأما إذا كان غير مجتهد في معرفة الحق ، ولم يصبر ، فإنه يجتمع عليه ثلاثة ذنوب : الأول لتركه الاجتهاد في طلب الحق

والثاني لتركه الصبر على البلوى

والثالث لعدم إصابته الحق ووقوعه في الخطأ .

والمقصود أنه لا يحل دفع الأذى الذي يكون في دفعه فتنة بين الأمة ، أو ينتج عنه شر عظيم أو أعظم من الأذى المطلوب دفعه ، أو يكون في دفعه ظلم وعدوان ، بل المتعين حينئذ الصبر والاحتمال وضبط النفس ، فإن ذلك في حق المظلوم ابتلاء وامتحان ، وإذا صبر واحتسب ، كانت العاقبة له ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا ﴾ [الآية : ٢٠ من سورة الفرقان] .

أي يبتلى بعضكم ببعض لينظر من يصبر فيستحق الجزاء الأوفى ، في الدنيا والاخرة .

وأخبر تعالى عن رسله أنهم قالوا لقومهم :

﴿ ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ [الآية : ١٢ من سورة إبراهيم] .

وقال تعالى :

﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [الآية : ٢٤ من سورة السجدة] .

فجعلهم أئمة بالصبر واليقين ، فبذلك تنال الإمامة في الدين .

والخطأ يحصل في هذا إما بسبب جزع المظلوم ، أو بسبب قلة صبره ، أو ضعف رأيه فإنه قد يظن أن القتال أو نحوه في الفتنة يدفع الظلم عنه ، ولا يدري أنه يضاعفه ويزيد الشر كما هو الواقع .

والمظلوم وإن كان مأذونًا له في دفع الظلم عنه ، كما في قوله تعالى :

﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ [الآية : ٤١ من سورة الشورى] .

فذلك مقيد بشرطين :

أحدهما القدرة على ذلك ، فإنه إذا كان غير قادر زاد ظلمه .

والثاني أن لا يتعدى ، كما قال الله تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ [الآية : ١٢٦ - ١٢٧ من سورة النحل] .

فأخبر تعالى أن الانتصار جائز لمن يقدر عليه ، ولا يعتدي ، وأن الصبر أفضل ، فإذا لم يتوافر الشرطان لم يجز .

وهذا كله إذا لم يكن الباغي الظالم هو الإمام الذي له قوة وأتباع ، فإذا كان هو لم يجز الانتصار والانتقام ، لما يترتب على ذلك من الشر العريض ، والفتنة التي فيها من الضرر والفساد أضعاف ما في الانتصار من المصلحة ودفع الظلم .

ولهذا جاءت النصوص عن النبي - ﷺ - في النهي عن قتال الأئمة الجائرين الظالمين .

ففي صحيح مسلم والترمذي أن سلمة بن يزيد الجعفي سأل رسول الله - ﷺ - قال « يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ، ويمنعوننا حقنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه مرارًا - وهو يعيد السؤال - ثم قال : اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلْتُم » .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إنها ستكون أثرة وأمور تنكرونها ، قالوا : يا رسول الله كيف تأمر من أدرك ذلك منا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم » .

وفيهما أيضا عن ابن عمر ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « وعلى المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » .

وفي صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول - ﷺ - : « عليك

السمع والطاعة ، في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرة عليك » .

وفي الصحيحين ، عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية » .

وهذا كله محافظة على الاجتماع ، وخوفًا من التفرق ، الذي يضعف الأمة أمام هجمات الأعداء ومحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم ، وأموالهم ، لما يحصل في الخروج على الإمام من الفتن وسفك الدماء وذهاب الأموال وهتك الأعراض ، كما جرب الناس ذلك وعانوا منه العنت والشر الكثير ، والشرع جاء باحتمال أقل الأمرين ضررًا ، لدفع ما هو أعظم ، ولهذا جاءت النصوص عن رسول الله - ﷺ - بالأمر بقتل من خرج بطلب السلطة ، والمسلمون لهم سلطان قائم ، لما في ذلك من الفتن والتفرق ، كما في صحيح مسلم عن عوف بن عرجفة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « ستكون هنات ، وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان » .

وفي النسائي ، عن أسامة بن شريك ، قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أيما رجل خرج يفرق بين أمتي ، فاضربوا عنقه » .

وفي صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبية ، أو يدعو إلى عصبية ، فقتل ، فقتلة جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضربُ بُرها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهد ذي عهدها ، فليس مني ، ولست منه » .

فحذر - ﷺ - مما يفرق ، ويوهن الجماعة ، وأمر بقتل من يريد أخذ السلطة ممن هي بيده ، واجتمع عليه المسلمون ، سواء كان برًا ، أو فاجرًا ، وأخبر أن من قتل تحت راية عُمِّيَّة أن قتلته جاهلية ، ومن قاتل لعصبية أنه كذلك ، وتبرأ ممن يفرق بين أمته .

وأما قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن

فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الآية : ٩ من سورة الحجرات] . فليس فيه الأمر بالقتال ابتداء ، ولكن إذا حصل القتال بين الطائفتين من المؤمنين ، يجب الإصلاح بينهما ، بدون قتال ما أمكن ذلك امتثالا لأمر الله تعالى ، ويكون الإصلاح بالعدل ، والإنصاف ، وقد تكون إحدى الطائفتين أقرب إلى الحق ، فتعان على الحق ، ويحال بين الأخرى وبين البغي والظلم ، فإن أبت إحداهما قبول الصلح والحكم بينهما بالحق ، وأبت إلا البغي وركوب العسف والتمادي في الباطل ، فعند ذلك تقاتل تلك الطائفة منعًا للقتال الذي هو أعظم من قتالها ؛ لأنها إذا لم تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله ، بل تركت حتى تتقاتل هي والأخرى صار الفساد أعظم ، ثم إن الذي يقاتل الطائفة الباغية غير الطائفة المبغى عليها ، فهذا من نصر المظلوم ، ودفع الفساد العظيم بما هو أقل منه فسادًا .

قال ابن جرير : « يقول جل ذكره : وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا ، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله ، والرضا بما فيه لهما وعليهما ، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، يقول : فإن أبت إحدى الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله لها أو عليها ، وتعدّت ما جعل الله عدلا بين خلقه ، وأجابت الأخرى منهما ، فقاتلوا التي تبغي ، أي التي تعتدي ، وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى تفيء إلى أمر الله ، أي حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ، فإن فاءت ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ يقول : فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم ، إلى الرضا بحكم الله في كتابه ، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى ﴿ بالعدل ﴾ يعني الإنصاف بينهما ، وذلك حكم الله في كتابه ، جعله عدلا بين خلقه » وهذا ليس فيه قتال الأئمة الذين بأيديهم السلطة ، بل هذا نوع آخر ، وإنما المأمور به في هذه الآية ، دفع الفتنة ، وتقليلها ما أمكن بالإصلاح ، أو بالقتال إذا لم يمكن بدونه ، فتقاتل الفئة الباغية على الأخرى ، حتى تذعن لحكم الله ، ويصير الدين كله لله ، وكلمة المسلمين مجتمعة ..

والمأمور بالقتال هم المؤمنون الذين ليسوا من إحدى الطائفتين ، أمر الله تعالى بأن يقاتلوا من بغى على أخيه ، وتعدّى بقتال ، ولم يقبل الصلح بالعدل ، فقتال مثل هؤلاء

من باب الجهاد ، ونصر المظلوم .

أما إذ وقع بغي ابتداءً ، بغير قتال مثل أخذ المال ، أو رئاسة بظلم ، فهذا لم يأذن الله تعالى بقتالهم على ذلك ، بل أمر الرسول - ﷺ - مع ذكره لظلمهم بالصبر ، وإعطائهم حقوقهم ، وأن يطلب المظلوم حقه من الله تعالى ، ولم يأذن للمظلوم المبغيّ عليه بقتال الباغي ، في مثل هذه الصور ، التي يكون القتال فيها قتال فتنة ، وحذر من الخروج على الأئمة ، وإن كانوا ظلمة وجائرين ، يضربون الظهور ، ويأخذون المال ، ويمنعون الحقوق ، بل نهى عن معصيتهم حينئذ ، ونزع يد الطاعة منهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله تعالى ؛ فعند ذلك لا طاعة لهم ولا يسمع لقولهم ، وكذلك إذا ارتدوا عن الإسلام ، وكفروا به صراحة ، فلا يجوز أن يكونوا حينذاك أئمة على المسلمين ، فطاعتهم مقيّدة بأن لا يأمروا بمعصية الله تعالى - فهم لا يطاعون في كل شيء ، وإنما يطاعون إذا أمروا بطاعة الله ، أو بما ليس فيه معصية لله تعالى ، أما إذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا سمع لهم ولا طاعة .

وكذلك النهي عن الخروج عليهم مقّيد بكونهم مسلمين مُصَلّين ، أما إذا كفروا كفرًا صريحًا ، وارتدوا ردّةً واضحة جلية ، فلا يجوز حينئذ أن يكونوا ولاة على المسلمين ، وعلى هذا دلت النصوص عن رسول الله - ﷺ - .

جاء في صحيح مسلم عن على بن أبي طالب ، قال : « بعث رسول الله - ﷺ - سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه في شيء ، فقال : اجمعوا لي حطبًا ، فجمعوا له ، ثم قال : أوقدوا نارا ، فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله - ﷺ - أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا بلى ، قال : فادخلوها ، قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله - ﷺ - من النار ! فكانوا كذلك ، وسكن غضبه ، وطفئت النار ، فلما رجعوا ، ذكروا ذلك للنبي - ﷺ - فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » (١) . وفيه أيضا عن أم سلمة ، أن النبي - ﷺ - قال : « سيكون أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا

(١) { صحيح مسلم جـ ٢ ص ٢٢٧ } .

تنابذهم ؟ قال : لا ما صلّوا » .

وفيه أيضا عن عوف بن مالك ، سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ، ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم عند ذلك ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدًا من طاعة » .

قال النووي : أجمع العلماء على وجوب طاعة ولاة الأمور من غير معصية ، وعلى تحريمها في المعصية ، نقل الإجماع القاضي عياض وآخرون ، قال : وتجب طاعتهم فيما يشق على النفوس وما تكرهه ، وغيره فيما ليس بمعصية ، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة ، كما صرح به في الأحاديث ، فتحمل الأحاديث التي فيها إطلاق السمع والطاعة على المقيدة ، وفي حديث عبادة قال : « بايعنا رسول الله – ﷺ – فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفرًا بواحًا ، عندكم من الله فيه برهان »[1] .

ونقل النووي عن عياض أنه قال : « أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل » ا – هـ يعني انعزل حكما ؛ لأنه لا يجوز أن يتولى الكافر على المسلمين ، فولي الأمور هو الذي يقيم الحدود ،. ويقود المسلمين في جهاد أعدائهم ، ويذود عن بلادهم ، فإذا لم يكن على دينهم لا يتوقع منه فعل ذلك .

والمقصود أن النبي – ﷺ – حذر من الخروج عن الطاعة ، ومفارقة الجماعة وذم ذلك ، وجعله من أمر الجاهلية ؛ لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم رئيس يجمعهم ، وشأنهم التفرق والاختلاف ، ويرون السمع والطاعة مَهانة وذِلة ، والخروج عن الطاعة وعدم الانقياد عندهم فضيلة ، يمتدحون بها .

---

(١) { رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية جـ ٢٢٨/١٢ } .

فجاء الإسلام مخالفًا لهم في ذلك ، آمرًا بالصبر على جَوْر الولاة ، والسمع والطاعة لهم في غير معصية ، والنصح لهم ، وبالغ صلوات الله وسلامه عليه في ذلك حتى قال فيما أوصى به في حجة الوداع : « اسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله أمركم ، وإن كان عبدًا حبشيًا مجدّع الأطراف »(١) .

مع أنه – ﷺ – كان دائمًا يأمر بإقامة رئيس حتى في الجماعة القليلة والمدة القصيرة ، ويحث على طاعته ، كما أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمروا أحدهم (٢) مبالغة في طلب الاجتماع ، وحرصًا على عدم الفرقة ، ومخالفة لأمر الجاهلية . وتقدم الحديث الذي في صحيح مسلم : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل جميعا ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » وهذه أصول الإسلام فإنه بني على عبادة الله وحده ، والجن والإنس خلقوا لذلك .

ولهذا صار من أصول أهل السنة صلاة الجمع وغيرها خلفَ البَرّ والفاجر ، ويرون أن ترك الصلاة خلفهم من سنة المبتدعين ، وإذا كان الإمام مستورًا فإنه يُصلّى خلفَه بالاتفاق من أئمة المسلمين ، ومن زعم أنها غير جائزة فقد خالف الإجماع من أهل السنة ، وقد كان الصحابة يصلون خلف الفَسَقة والظَلَمة ، بل ومن كان مُتّهمًا بالإلحاد كابن أبي عبيد ، وكان داعيًا إلى الضلال ، ولم يكونوا يعيدون الصلاة ، وقد أنكر الإمام «أحمد» على من يعيدها إنكارًا شديدًا وعدّ ذلك من البدع .

والاعتصام بحبل الله يتضمن الاجتماع على الحق ، والتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على أعداء الله وأعداء المسلمين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ ولا تفرقوا ﴾ .

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وصححه ، قوله – ﷺ – : « وأنا آمركم بخمس

---

(١) { رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية جـ ١٢/٢٢٥ عن أم الحصين وأبي ذر رضي الله عنهما } .

(٢) { كما في سنن أبي داود – كتاب الجهاد وفي صحيح الجامع برقم [٥٠٠] } .

أمرني الله بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

وفي خطبة عمر رضي الله عنه المشهورة التي ألقاها في الجابية ، قوله : « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد » وفيها : « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة » .

والمراد بالجماعة أهل الحَلّ والعَقْد من كل عصر .

وقال البخاري : « الجماعة هم أهل العلم » ، وهذا لا يخالف قول الجمهور من العلماء ؛ لأن أهل العلم يقولون بمقتضى أحاديث رسول الله - ﷺ - التي تنص على وجوب طاعة الأمراء ، الذين يتولون أمور المسلمين ، وإن كانوا فجرة ، ما داموا على الإسلام ، لم يخرجوا إلى الكفر الصريح كما في صحيح مسلم من غير وجه أن رسول الله - ﷺ - قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني » .

وفيه عن ابن عباس ، قال : نزل قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [من الآية : ٥٩ من سورة النساء] في الأمراء .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة ، قال : قلت يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم . قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال نعم ، وفيه دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنّون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . فقلت : صفهم لنا ؟ قال : نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا . قلت : يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين ، وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك .

وفى لفظ آخر : قلت : وهل وراء ذلك الخير شر ؟ قال : نعم . قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان الإنس . قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك فاسمع واطع » .

وفى رواية (١) قال عن الخير الثاني : صلح على دخن ، وجماعة على أقذاء فيها وقلوب لا ترجع إلى ما كانت عليه » : -

فالخير الأول : النبوة وما اتصل بها من خلافة ليس فيها فتنة ، والشر هو ما حصل من الفتنة بسبب مقتل الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه ، وتفرق الناس حتى صار حالهم شبيها بحال الجاهلية ، يقتل بعضهم بعضًا ، ولهذا قال الزهرى : « وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله - ﷺ - متوافرون ، فأجمعوا على أن كل دم أو مال ، أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر ، أنزلوهم منزلة الجاهلية .

فيبين أنهم جعلوا ذلك غير مضمون ، كما أن ما يصيبه أهل الجاهلية بعضهم من بعض ، غير مضمون ، لأن الضمان إنما يكون من العلم بالتحريم فأما مع الجهل كحال البغاة من أهل القبلة والكفار ، فلا ضمان ، لهذا لم يضمن النبي - ﷺ - أسامة دم الذى قتله بعد ما قال لا إله إلا الله ، مع تغليظه - ﷺ - في ذلك ، وردد عليه قوله : أقتلته بعد أن قال « لا إله إلا الله » ثلاث مرات حتى قال أسامة : فتمنيت أني لم أسلم قبل ذلك (٢) .

والخير الثاني : اجتماع الناس على معاوية بعد أن تنازل الحسن له عن الأمر ، وكان ذلك صلحا على أقذاء ، ودخن في ذلك الاجتماع حيث لم يرجع القلوب الى ما كانت عليه زمن النبي - ﷺ - وخلفائه قبل الفتنة .

والمقصود أن النبي - ﷺ - أخبر بأنه يكون أئمة لا يهتدون بهديه - ﷺ - ولا يستنون بسنته ، وأخبر أن فيهم رجالا قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس ، ومع

---

(١) { أبو داود فى الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها [رقم : ٤٢٢٧] عون } .

(٢) { البخارى رقم [٤٢٦٩] جـ٧ ص٥٩٠ فتح ، ومسلم فى كتاب الإيمان جـ٢ / ص ٩٩ } .

ذلك أمر بالسمع والطاعة للأمير ، وإن ضرب الظهر ، وأخذ المال ، وفى ذلك بيان وجوب طاعة السلطان ، سواء كان عادلا أو ظالما جائرا وهذا حماية منه - ﷺ - للأمة من التفرق ، الذى يضعفها ، ويجعلها نهبة للأعداء ، كما هو الواقع من حال المسلمين اليوم ، لما تفرقوا ، وأصبحوا دويلات ، لكل دويلة حدودها ، واتجاهاتها وعلاقتها مع أعدائها أوثق من علاقتها مع الدول الإسلامية ، وبذلك صار المسلمون غثاء كغثاء السيل ذهبت مهابتهم من قلوب أعدائهم وقذف فى قلوبهم الوهن فوصلوا الى حالة من الشقاق والإختلاف ، وصاروا فيها من أبعد الناس عن الاتفاق والائتلاف .

والواجب عليهم الحذر مما وقع فيه مَنْ قبلهم ، من الاختلاف فى دينهم أشد الحذر وقد أكثر الله ورسوله فى تحذيرهم من ذلك ، ورتب تعالي العذاب على الاختلاف .

وهم قد جربوا ذلك بأنفسهم ، فلما كانوا ممتثلين لأمر ربهم بالاتفاق والاعتصام بكتاب الله تعالى ، منتهين عن التفرق والاختلاف ، كانوا خير أمة أخرجت للناس ، فحصل لهم الخير العظيم الذى لم يطرق العالم مثله ، من كثرة الإيمان بالله وانتشار العدل بين الناس ، وقوة المسلمين ، وسيطرتهم على معظم الأرض ، وقمع الباطل وحزب الشيطان ، فلما سلكوا مسالك من تقدمهم ، من التفرق فى الدين وتقليد أعدائهم ذهبت ريحهم ، ثم لم يزل النقص فيهم إلى أن صاروا أذلة يستجيرون بأعدائهم ، مع كثرة عددهم ، والله تعالى جعل الاختلاف من طبيعة البشر ، فلذلك بيّن علاجه بيانًا واضحًا بأن نرد ما اختلفنا فيه إلى كتابه ، وسنة رسوله ، وبذلك يحصل الاتفاق والاعتصام بحبل الله .

والمقصود أن الله تعالى لم يأذن بقتال الأمراء والولاة والخروج عليهم لما فى ذلك من الفتن والفساد الكبير ، والواقع أكبر شاهد لذلك .

وأما إذنه بدفع الصائل بالقتال ، كما فى الحديث : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد » (١) ونحو ذلك ، فهذا ليس فيه فتنه ولا هو من دواعى التفرق والاختلاف ، فهو مثل قتال اللصوص ، وقطّاع

---

(١) { أخرجه الترمذى وغيره ، انظر صحيح الجامع رقم [٦٤٤٥] } .

الطرق فليس قتالهم فتنة ، إذ الناس كلهم أعوان على قتالهم ، فلا يكون فى قتال هؤلاء ضرر عام يشمل الظالم والمظلوم وغيرهما ، كقتال ولاة الأمورة ، فان فيه فتنة وشراً عامًا أعظم من ظلمهم ، فالمشروع فيه الصبر والاحتمال .

وبهذا تجتمع النصوص وتتفق ، ويزول التعارض الذى يتوهمه بعض الناس .

وهذا الأمر مما ينبغي الاهتمام به ، فإن خطره عظيم ، والنصوص التى تقدم ذكر بعضها تدل على وجوب الكفّ عن القتال فى الفتنة ، ولكن إذا كان الخارج مارقا من الدين ظاهر الضلال ، ويتّدن بقتال المسليمن كالخوارج والروافض الذين يرون قتل المسلمين من فضائل الأعمال ، فإنهم يُقاتَلون ويُرغب فى قتالهم ، كما أمر الرسول - ﷺ - بقتال الخوارج ورغّب فيه (١) ، والروافض أشر من الخوارج .

وما قاله بعض العلماء من وجوب القتال مع من هم أولى بالحق ، فالصواب خلافه ، - أي وجوب الكف عن القتال - لأن القتال فيه من الشر العظيم ، والفتنة والفساد أعظم مما فى ترك القتال كما هو الواقع ، لأن القتال فى مثل ذلك لأجل ترك واجب مثل الامتناع من طاعة معيّن والدخول فى الجماعة ، وفى قتال المتنعين ما فيه من سفك دماء المسلمين ، والفتن العظيمة أعظم مما يحصل بتركه ، وإن كان غيرهم أولى بالطاعة.

والمقصود أن الله تعالى نهى عن التفرق وعن أسباب الفتن مما يضعف الأمة ، ومن تتبع تاريخ المسلمين عرف أن أكثر الاختلاف والتفرق حصل فـى مسائل الصفات والقدر ، والإمامة ، وغالب ذلك مما يدخله الاجتهاد ، فهم فـى ذلك مـا بين مجتهد مخطىء ، ومخطىء باغ ، وباغ من غير اجتهاد ، أو مقصّر فيما أمر به من الصبر والاحتمال ، فحصل بسبب ذلك من القتال والشرور ما هو معلوم لمن نظر فى التاريخ والواقع .

وقد قال تعالى : ﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا

---

(١) [انظر صحيح البخارى كتاب المناقب ، باب علامات النبوة حديث [٣٦١١] ج ٦ فتح ومسلم فى الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج ج ٧ / ص ١٦٩ بشرح النووى] .

الكتاب من قبلكم ومن الذين أشـركوا أذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٨٦] . فأمر تعالى بالصبر على أذى الكفار من اليهود والنصارى والمشركين مع التقوى .

وفى هذا تنبيه على وجوب الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض ، متأوّلين كانوا أو غير متأولين .

والله تعالى قد أمر بالعدل مع الكفار وغيرهم ، كما قال تعالى :

﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [سورة المائدة الآية ٨] .

فنهى تعالى أن يحمل المؤمنين بغضُهم للكفار على عدم العدل فيهم ، فكيف إذا كان البغض لفاسق مؤمن ، أو مبتدع متأول ، فهو أولى بوجوب العدل معه وأن لا يحمل بغضه على ظلمه .

والإسلام جاء بتأليف القلوب ، وجمعها على الحق ، ومناصرة المؤمنين ، ومعاونتهم على البر والتقوى ، قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة الآية ٢] .

فأمر بتنمية الخير وتكثيره ، وبإماتة الشر وتقليله ، وأمر بالأسباب التى تجلب الخير ومودة المسلم لأخيه ، ونهى عن الأسباب التى تجلب العداوة والبغضاء ، مما يدل على أن الإسلام مبني على وجوب التآلف بين أهله والاحتماع عليه ، وتحريم الفرقة والاختلاف .

فلهذا حرم السبّ ، والسخرية ، واللمز ، والتنابز بالألقاب ، وما أشبه ذلك مما يسبب الفرقة بجلب العدواة ، والبغضاء ، وتنافر القلوب .

وحرم الأفعال الداعية إلى ذلك .

ففى الصحيحين عن ابن مسعود ، أن النبي – ﷺ – قال : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » .

وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [سورة الحجرات الآية ١١] فهذه الأمور التى نهى عنها وهي السخرية واللمز ، والتنابز بالألقاب – هي مما يوغر الصدور ، ويحدث البغضاء الداعية إلى التقاطع والاختلاف ، وتفرق القلوب والأفكار ثم تفرق الأبدان .

وأمر بعكس ذلك مما يدعو إلى الألفة ، والمحبة كطيب الكلام ، ولين الجانب وإفشاء السلام والدعاء بأحسن الأسماء وأحبها إلى المدعو ، والهدية ، وما أشبه ذلك مما يجلب المحبة ، ويجمع القلوب ، ويشعر بالأخوة الصادقة .

وهذا لا ينافى لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن المقصود منه رحمة الخلق وامتثال أمر الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [سورة آل عمران الآية ١١٠] . قال أبو هريرة : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأتون بهم فى الأقياد والسلاسل ، تدخلونهم الجنة .

فهذه الأمة خير الأمم لبني آدم ، فإنهم يعاقبونهم بالقتل والأسر ، سبي الأموال والأولاد ، ومقصودهم بذلك الإحسان إليهم ، وسوقهم إلى كرامة الله تعالى ورضوانه من دخول الجنة ، والحيلولة بينهم وبين النار ، عكس ما يفعله النصارى والملحدون ، الذين يجهدون أنفسهم ، ويبذلون أموالهم يبعدون بذلك الناس عن الله تعالى وهدايته ، ويكرّهون إليهم الإسلام ، بما يظهرونه من تشويه للإسلام وهله .

وكذا إذا رد المؤمن على أهل البدع ، فإنه يجب أن يكون مقصوده بيان الحق وهداية الخلق ، ورحمتهم والإحسان إليهم ، وإذا بالغ فى ذم بدعة أو معصية فينبغي أن يكون قصده بيان ما فيها من الفساد ، وتحذير الناس من الوقوع فيها .

وكذا إذا هجر إنسانا أو عزّره ، أو أقام عليه الحد ، فلا يجوز أن يكون ذلك للتشفى والانتقام ، بل يكون للرحمة والإحسان . فإن العقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من

الله بعباده ، فهي صادرة عن رحمة الله لخلقه ، وإرادة الإحسان إليهم ونفعهم ، كما يقصد الوالد بتأديب ولده نفعه والإحسان إليه ، وكما يقصد الطبيب بإجراء العملية للمريض شفاءه والإحسان إليه .

ولهذا أمر الله تعالى بالصلاة على من أقيم عليه الحد ، والاستغفار له ، كما كان النبي – ﷺ – يفعله [1] ، وأمر بالصلاة على الأموات من المسلمين ، فكل مسلم لم تعلم ردته ، ولا نفاقته فإنه يُصلَّى عليه ، ويُستغفر له ، وإن كان فيه بدعة وفسوق هذا هو مذهب أهل السنة ، مخالفين بذلك نهج أهل الزيغ من الخوارج والمعتزلة ، الذي يكفّرون بالذنوب ، أو يحكمون على أصحابها بالخلود فى النار .

ومن القواعد التى قررها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المحققين ، أن المتأول إذا قصد متابعة الرسول – ﷺ – فاجتهد وأخطأ أنه لا يكفر ، ولا يفسق سواء كان ذلك فى المسائل العملية الفروعية ، أو فى العلمية الاعتقادية الأصولية .

والتفريق بين مسائل العمل والاعتقاد فى ذلك من أقوال أهل البدع .

ولا يعرف عن أحد من الأئمة أنه كفّر كل مبتدع ، بل المنقول عنهم يخالف ذلك .

ولكن قد ينقل عن بعضهم أنه كفّر من قال بعض الأقوال ، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر منه ، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل – فإن ثبوت الكفر فى حق الشخص المعيّن ، كثبوت الوعيد فى الآخرة فى حقه ، وذلك له شروط وموانع .

وإذا لم يكن الإنسان فى نفس الأمر كافرًا ، ولا منافقًا فهو من جملة المؤمنين فيستغفر له ويترحم عليه ، وإذا قال المسلم فى دعائه : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ [سورة الحشر الآية ١٠] دخل فى ذلك كل من سبقه من

---

(١) [كما في قصة ماعز التي رواها الإمام مسلم جـ ١١ – ص ١٠٢ وفيها قوله ﷺ « استغفروا لماعز ابن مالك .... » وكذلك في قصة الغامدية وقد صلى عليها النبي ﷺ رواها مسلم جـ ١١ ص ٢٠٥ بشرح النووي] . [الناشر]

قرون الأمة بالإيمان ، وإن كان قد أخطأ بتأويل تأوله ، فخالف السنة ، أو أذنب ذنبًا ، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان ، فيدخل فى العموم ، وكذا الموجودون ومن يوجد بهذه الصفة يدخلون فى ذلك ، وإن كانوا من الثنتين والسبعين فرقة ، فما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا ، بل مومنين فيهم ضلال ، وذنوب يستحقون بها الوعيد ، كما يستحقه عصاة المؤمنين من غير أهل البدع .

والنبي ﷺ لم يخرج الثنتين والسبعين من الإسلام ، بل جعلهم من أمته ، ولم يقل إنهم مخلدون فى النار ، فينبغي مراعاة هذا الأصل ، فإنه أصل عظيم ومعلوم أن كثيرًا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدع من جنس بدع الجهمية والمعتزلة ، ولا يقول عاقل يعرف شيئا من علم الكتاب والسنة إن مثل هؤلاء كفار ، أو إنهم خارجون من الفرقة الناجية مطلقًا .

قال شيخ الإسلام : من كفَّر الثنتين والسبعين فرقة كلهم ، فقد خالف الكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، مع أن الحديث فى ذلك قد ضعفه ابن حزم وغيره ، لكن حسنه غيره ، وصححه الحاكم وغيره ورواه أهل السنن من طرق .

وليس قوله فى : الثنتين والسبعين « كلها فى النار » بأعظم من قوله تعالى :

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا ﴾ [سورة النساء الآية ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرًا ﴾ [سورة النساء الآية ٣٠] . وأمثال ذلك من نصوص الوعيد الصريحة بإدخال من فعل ما ذكر النار ، ومع ذلك لا نشهد على معيَّن ممن أكل مال يتيم ظلمًا ، أو أكل مالاً بالباطل ، أو ارتكب ما توعد عليه بدخول النار ، لا نشهد عليه بالنار ، لإمكان أنه تاب ، أو كانت له حسنات محت سيئاته ، أو كفَّر الله عنه بمصائب أصيب بها ، أو غير ذلك .

والمقصود أنه يجب العدل فى الحكم والقول ، وأن يتبع كتاب الله تعالى – فإن الله تعالى قد أغنانا به ، وبيَّن لنا به ما نحتاجه فى جميع شئوننا ، وأن نرجع إليه إذا

حصل بيننا خلاف ، فهو كفيل بحل جميع مشكلاتنا ، ففيه الهدى والنور .

وقد ذكر الله تعالى - أن المختلفين اختلفوا بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم فلذلك ذمهم الله ، لأن العلم جاءهم من الله واضحًا جليًا ، فاختلفوا قاصدين البغي معرضين عن الهدى ، مع علمهم بالحق ، ولم يكونوا باختلافهم مجتهدين مخطئين .

قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ . [آل عمران ١٩] . قال الزجاج : اختلفوا للبغي ، لا لقصد البرهان .

وقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة ٢١٣] . يعنى إن الذين اختلفوا فى الكتاب هم اليهود والنصارى ، الذين قال رسولنا - ﷺ - إن هذه الأمة ستسلك مسالكهم [1] فهدى الله المؤمنين من هذه الأمة لما اختلف فيه أولئك من الحق .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ، ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [يونس : ٩٣] .

وقال تعالى : ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي

---

(١) { لعله يشير إلى حديث « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قالوا اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » رواه البخارى رقم (٧٣٢٠) ج١٣ فتح ومسلم ج١٦ / ص٢١٩ بشرح النووى } . { الناشر }

المتقين ﴾ [الجاثية ١٧ – ١٩] فهذه الآيات ونظائرها فى كتاب الله تعالى ، فيها البيان أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم ، والبينات – أي الدلائل الواضحات – بأن ما جاءت به الرسل هو الحق ، فاختلفوا للبغي والظلم لا لأن الحق اشتبه عليهم بالباطل ، وهذه حال أهل البدع ، والاختلاف المؤدي الى الضلال .

فأصحاب الأهواء عامة لا يختلفون إلا بعد ظهور الحق لهم ، ووضوح الهدى ، فيبغي بعضهم على بعض ، فكل فريق منهم له نحلة يضلل من خالفة فيها ، ويرد الحق إذا لم يتفق مع باطله ، ويكذب به .

وأما رسل الله تعالى – فإنهم جاءوا بدين واحد ، هو دين الإسلام – وأمرهم أن يدعوا إليه ، ونهاهم عن التفرق فيه ، وهو فى الحقيقة دين أول الرسل وآخرهم ، كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينـــا إليـــك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبـر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينـيب﴾ [الشورى ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون ٥١ – ٥٣] . فقوله : أمتكم أمة واحدة ، يعني شريعتكم ودينكم واحد ، ولكن الناس اتخذوا كتبا كتبوها مبتدعين فيها غير ما جاءتهم به رسلهم مختلفين متفرقين بغيًا وعدوانًا .

وقد قال تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة﴾ [البينة ١ : ٣] ونظير هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ، ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم ٣٠ : ٣٢] .

فنهاهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا – يعني فرقًا متعددة وأحزابًا متعادية ، وأعاد لفظة ﴿ من ﴾ فى قوله : ﴿ من الذين فرقوا دينهم ﴾ ليبين أن هذا بدل من الذى قبله ، والبدل هو المقصود ، وما قبله توطئة له ، فهذا تحذير بليغ عن الاختلاف والتفرق .

ودلت هذه الآية على أن الاختلاف والتفرق شيعًا لا ينفك عن الشرك لما فيه من عبادة الأهواء .

فالله تعالى جعل دينه واحدًا ، وأمر رسله أن تدعوا إليه من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كما قال تعالى عن أولهم (نوح عليه السلام) :﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس ٧٢] وقال تعالى عن خليله ، وأبى الأنبياء بعده :﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة ١٣١ ، ١٣٢] أي إن إبراهيم ويعقوب وصى بنيه بهذا القول . وقال يوسف عليه السلام :

﴿ فاطر السماوات والأرض أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ [يوسف ١٠] وقال موسى لقومه :

﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [يونس ٨٤] وقال المؤمنون الذين كانوا سحرة فهداهم الله :

﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾ [الأعراف ١٢٦] وقالت ملكة اليمن بعد أن هداها الله تعالى :

﴿ ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ [النمل ٤٤]

وأخبر تعالى عن أنبياء بين إسرائيل بقوله تعالى :

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ [المائدة ٤٤] وقال حواريو عيسى عليه السلام

﴿ قالوا آمـنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ [المائدة ١١١] وقال تعالى عن خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ [الزمر ١٢] وقال تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران ٦٤] وفى الصحيحين أن النبى – ﷺ – قال : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » .

وليس تنوع الشرائع مخالفا لذلك أو مانعا منه ، بل أصل الدين الذي جاءت به الرسل كلهم واحد ، هو الإسلام ، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وإن كان لكل نبي شرعة ، هذا مثل ما كان فى أول الإسلام لما كانت القبلة إلى بيت المقدس ثم حولت إلى الكعبة ، والدين واحد فى كلتا الحالتين ، وهكذا شرائع الأنبياء ، ولهذا إذا ذكر الله الحق جعله واحدا ، وإذا ذكر الباطل جعله متعددا ، كقوله تعالى :

﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الانعام ١٥٣] .

فالمتعيّن على المسلم أن يكون أصل قصده توحيد الله تعالى – بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله – ﷺ – باتباع أمره ، واجتناب نهيه ، يدور مع ذلك حيث وجده ، فى قوله ، وعمله ، فلا ينتصر لقول شخص مهما كان ، انتصارا مطلقا إلا لرسول الله – ﷺ – لأنه لا ينطق عن الهوى ، وهو معصوم عن الخطأ فى ما يبلغه عن الله تعالى ، ويعلم أن أفضل الناس بعد الأنبياء هم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فلا ينتصر لطائفة انتصارا عاما مطلقا إلا لهم ، ومن عداهم فالانتصار لهم يجب أن يكون بقدر ما

معهم من الحق ، وذلك لأن الحق والهدى يدور مع الرسول - ﷺ - وأصحابه إذا اجتمعوا فهم على الحق قطعا ، بخلاف أصحاب غيره من الأئمة ، فيجوز أن يجتمعوا على الباطل ، أما مجموع الأمة فلا تجتمع على الباطل ومن الممتنع أن لا يعرف الصحابة الحق الذى جاء به رسول الله - ﷺ - وأن يعرف أحد من العلماء بعد الصحابة ، مالا يعرفه الصحابة بمجموعهم ، أو يعرف حقا يخالف ما جاء به الرسول - ﷺ - بل كل ما خالف قوله أو فعله فهو باطل .

والصحابة هم الذين بلّغوا الدِّين عن الرسول - ﷺ - فلا يمكن معرفة ما جاء به الرسول - ﷺ - إلا بواسطتهم ، ولهذا صار الطعن فيهم طعنا فى الدين .

والمؤمن بالله حقا ، ظاهرا وباطنا هو الذي قصده اتباع الحق ، وما جاء به الرسول - ﷺ - ، وإن وقع فى خطأ فهو غير مقصود ، بخلاف أهل البدع والاختلاف فإنهم لا يقصدون اتباع الحق ، بل يتبعون أهواءهم ، وما تزينّه لهم شياطينهم وعلى ذلك يعادون ويوالون ويقصدون نصر جاههم ، ورياستهم ، وما ينسب إليهم ، لا يريدون أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن يكون الدين كله لله .

ولهذا نجدهم يغضبون على من خالفهم ، وإن كان مجتهدا معذورا . ويرضون على من يوافقهم وإن كان جاهلا منافقا سيىء القصد ليس له علم ولا حسن قصد ، ولهذا يذكر العلماء ، أن من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ، ولعن بعضهم بعضا ، ومن مدائح أهل السنة أنهم يخطئون ولا يكفرون ، فأهل البدع يحمدون من لم يحمده الله ورسوله ، ويذمون من حمده الله ورسوله .

فهم فى الحقيقة يتبعون أهواءهم ، ولهذا يسميهم السلف أهل الأهواء ، لأنهم لا ينظرون إلي أن يكون دين الله هو الظاهر ، وكلمته العالية ، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [الأنفال ٣٩] فإذا لم يكن الدين كله لله فالفتنة موجودة .

وأصل هذا الدين أن يكون الحب لله ، والبغض لله والموالاة له ، والمعاداة فيه ، والعبادة

كلها لله ، وهذا لا يمكن إلا بمتابعة الرسول - ﷺ - .

ولهذا قال العلماء : إن قول الرسول ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى » نصف الدين ، ونصفه الآخر قوله ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » لأن الأول يتضمن المقاصد ، والثاني يتضمن المتابعة ، وكلاهما شرط في صلاح العمل وتهيئته للقبول .

فلابد من إخلاص العمل لوجه الله تعالى ، ومن الاعتصام بحبل الله ، وهواتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ فإن لم يكن ذلك فالهلاك أقرب إلى الإنسان من عنقه ، وألزم له من ظله ، نسأل الله الهداية والتوفيق وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الرسالة التاسعة عشرة :

الوحدة الإسلامية
أسسها ووسائل تحقيقها

للدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدى
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [آية ١٦٣ سورة البقرة] .

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [آية ٥٢ سورة المؤمنون] .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .. وبعد :

فإن إحساس الأمة المسلمة بحاجتها إلى اللقاء والتعاون إحساس منطقى وواقعى .. وذلك لأنها قد أضرت بها الخلافات .. وأنهكتها النزاعات التى كانت سببا لضعفها وضياع حقوقها فى عصر لم يعد يسمع فيه صوت الضعفاء ولا أنين الجرحى .

قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [سورة الأنفال : آية ٤٦] .

فارتفاع الأصوات المسلمة هنا وهناك تنادى بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها أصوات صادقة ينبغى أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمى حقها .

قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٠٣] .

ولكنه لابد للأمة المسلمة – وهى تلم شعثها وتوحد صفوفها – لابد لها من إدراك صحيح للأسباب التى كانت وراء هذا الواقع السيىء الذى تعيشه والأسس التى ينبغى أن تلتقى عليها والوسائل التى يمكن أن تتحقق بها تلك الأسس ، وذلك لئلا تنتقل من واقع منحرف إلى واقع آخر منحرف .

وإننى إذ أكتب هذا البحث لآمل أن ينفع الله عز وجل به الأمة المسلمة وهى تتجه إلى الله عز وجل وتعمل على توحيد كلمتها إنه سميع مجيب .

وعنوان البحث : (الوحدة الإسلامية : أسسها ووسائل تحقيقها) ، وقد تضمن أربعة

أقسام وخاتمة .. وذلك على النحو التالى :

القسم الأولى : واقع الأمة الإسلامية :

أولا : فى العقيدة . ثانيا : فى العبادة . ثالثا : فى الشريعة .

القسم الثانى : أسباب هذا الواقع :

أولا : الجهل بدين الله عز وجل . ثانيا : الغزو العسكرى لبلدان المسلمين .

ثالثا : الغزو الفكرى .

القسم الثالث : أسس وحدة الأمة الإسلامية :

أولا : وحدة الغاية . ثانيا : وحدة العقيدة . ثالثا : وحدة القيادة .رابعا : وحدة التشريع .

القسم الرابع : وسائل تحقيق أسس الوحدة :

أولا : التعليم الموجه . ثانيا : الإعلام الملتزم . ثالثا : الاقتصاد المستقل .

رابعا : العمل على الاكتفاء الذاتى . خامسًا : إيجاد مراكز علمية .

الخاتمة :

وأخيرا أسأل الله عز وجل أن يهيىء أسباب وحدة الأمة وأن يجمع كلمتها على الحق إنه سميع مجيب .

القسم الأول
واقع الأمة الإسلامية

أولا : فى العقيدة :

أ - انحرافات إلحادية .

ب - انحرافات فى الجانب النظرى - العلمى - من العقيدة .

جـ - انحرافات طائفية قديمة .

د - انحرافات طائفية حديثة .

ثانيا : فى العبادة :

أ - الغلو المفرط فى أدائها .

ب - الإهمال المطلق بها .

جـ - عدم الالتزام بالأداء الصحيح لها .

ثالثا : فى الشريعة :

أ - محاربة الشريعة واستبدال القوانين الوضعية بها .

ب - محاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الوضعية .

القسم الأول

واقع الأمة الإسلامية

واقع الأمة الإسلامية واقع مكشوف لا يكاد يجهله أحد ، فقد تعرض لأمراض متعددة وانحرافات متنوعة بحيث لا يكاد يسلم جانب من جوانبه - لا فى العقيدة ، ولا فى العبادة ، ولا فى الشريعة - .

وسأحاول فيما يأتى الإشارة الى هذا الواقع بشىء من الإيجاز .

أولا : فى العقيدة :

إن أخطر الانحرافات التى تعرضت لها الأمة المسلمة هى الانحرافات في العقيدة ولا نستطيع هنا استيعابها وتفصيلها ولكن سنكتفى هنا بالتنبيه على بعضها .

أ - انحرافات إلحادية :

هدم أصحابها استبدال المبادئ الكافرة بعقيدة الإسلام ، وهم طوائف متعددة ويسلكون طرقًا متنوعة .

يقول الأستاذ مصطفى صبرى : (ومن البلية أن الحركات التى تثار فى الأزمنة الأخيرة ترمى إلى محاربة الإسلام في بلاده بأيدى أهله والتى لاشك أنه الكفر وأخبث أفانين الكفر ...) (١) .

ويقول فى مكان آخر : « لكن البلاد الإسلامية عامة ومصر خاصة مباءة اليوم لفئة تملكوا أزمة النشر والتأليف ينفثون من أقلامهم سموم الإلحاد غير مجاهرين بها وربما يتظاهرون بالدين) (٢) .

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٢٨١/٤ - الحاشية .

(٢) المصدر السابق ٢٨٧/٤ .

ويقول الدكتور محمد محمد حسين بعد عرضه للدعوات الهدامة : (كانت هذه الدعوات تسلك إلى أهدافها مسالك متباينة وتلبس أثوابا مختلفة ولكنها جميعا ترمى فى آخر الأمر إلى توهين أثر الإسلام فى النفوس وتفتيت وحدته التى استعصت على القرون الطوال) (١) .

ب – انحرافات فى الجانب النظرى – العلمى من العقيدة :

وذلك فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله .

فقد وجدت الاتجاهات المنحرفة التى تتنكر لهذا الجانب أو لبعضه فأولت الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة وردت الأحاديث الأخرى والتى تعرف الناس بربهم عز وجل .

وكان أول من أظهر هذه البدعة الضالة – بدعة الحديث فى أسماء الله وصفاته وتأويلها – الجعد بن درهم فأوَّلَ الاستواء والكلام لله عز وجل (٢) ، وتبعه على ذلك المعتزلة الذين أصبحوا فيما بعد فرقة مستقلة فى منهجها وفهمها تقابل أهل السنة .

قال الشهرستانى : (الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل تضاد) (٣) .

وقد أُتِيَ القوم من ضلال عقولهم القاصرة وظنهم أن إثبات تلك الصفات الواردة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ يقتضى التشبيه بالمخلوق .

وينتج عن هذا المذهب أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يستطيعا بيان مراد الله عز وجل من خلقه من أقرب الطرق .

فتعددت بذلك الفرق وانقسم المسلمون إلى متابع لهذه الطائفة ومخالف لها وحدثت فى تاريخ الأمة الإسلامية بسببها حوادث ومشكلات ، ولا زالت آثار هذه الطائفة قائمة فى المجتمع الإسلامى إلى اليوم .

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٣٠٥/٢ .

(٢) راجع الفتاوى ٢٠/٥ ، ولوامع الأنوار البهية ٢٣/١ .

(٣) الملل والنحل ٤٣/١ .

جـ - انحرافات طائفية قديمة :

لازالت قوية ونشطة رغم انحرافها وفساد معتقداتها . ومن تلك الطوائف : (طائفتا الشيعة والصوفية) .

فالأولى تقوم على عقيدة تخالف عقيدة الإسلام التى جاء بها رسول الله ﷺ .

فمن ذلك إسباغ صفات الألوهية على أئمتهم ، وادعاؤهم أنهم يعلمون الغيب ، وأنهم يتلقون الوحى من السماء ، وفي كلا الأمرين إساءة إلى الله عز وجل وتكذيب لدينه .

وأخيراً فإنهم يتهمون أصحاب رسول الله ﷺ بالخيانة والردة عن الإسلام ، وهذا يؤدى إلى إبطال الإسلام .

فأما ادعاؤهم علم الغيب لأئمتهم فقد ورد فى أهم مصادرهم بألفاظ صريحة فى أبواب مستقلة .

فـقـد ورد فى كتـاب : (أصـول الكافى) - وهـو أهم كتاب عندهم - [1] عناوين تؤكد ذلك .

منها : « باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم » [2] .

ومنها : « باب أن الأئمة إذا شاء وا أن يعلموا علموا » [3] .

ومنها : « باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشىء صلوات الله عليهم » [4] .

وأما ادعاء نزول الوحى على الأئمة فيذكرون عن جعـفر الصـادق أنه قال - وهو يتحدث عن مصادر علم الأئمة - : « وأما النقر فى الأسمـــاع فأمـر الملك » [5] أى صوت الملك .

---

(١) يقول أحد شراح هذا الكتاب وهو : عبد الحسين بن عبد الله المظفر فى مقدمة الشرح : (إن كتاب الكافى فى طليعة الكتب الأربعة التى هى محور العمل عليها) ، ٣ / ثم قال مفضلا له على تلك الكتب : (وهذا الكتاب أوفاها فى الحديث ولم يعمل الإمامية مثله .. وعليه اعتماد العلماء منذ أن دونه مؤلفه حتى اليوم ١/٥) .

(٢) أصول الكافى ٣/٢٣٢ .

(٣) أصول الكافى ٣/٢٧١ .

(٤) أصول الكافى ٣/٢٤٠ .

(٥) أصول الكافى ٣/٢٤٨ .

فعـــلم الغيب لا يظهر الله عز وجل عليه إلا أنبياءه ورسله كما جاء ذلك فى كتاب الله عز وجل حـــيث يقــول : ﴿ عـــالم الغيــب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصـــدا ﴾ [ســورة الجن : آية ٢٦ - ٢٧] .

ولكن الشيعة تعتقد أن الأئمة يأتيهم خبر السماء كما روى ذلك الكلينى مؤلف أصول الكافى فقال : « إن المفضل سأل أبا عبد الله - أى جعفر الصادق - بقوله : جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء » ؟

قال : لا ، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء » [١] ويعلق الشارح على هذا القــول فيقــول : « ولذلك الإمامية ذهبوا إلى أن الإمامة لا تصلح إلا لمن له منزلة النبوة » [٢] .

هذه بعض عقائدهم المنحرفة والتى تجعل لهم اتجاها آخر ودينا يخالف دين المسلمين .

وأما الصوفية فقد ابتدعت تقديس الأفراد ورفع التكاليف عن بعض الناس كما أعادت إلى الأذهان تلك الطقوس الكنسية التى أفسدت الدين النصرانى حيث اتخذت من البشر وسائط عند الله بها تقضى الحاجات وتغفر الزلات إلى عشرات أخرى من الانحرافات .

فأما دعوى سقوط التكاليف فإنهم يزعمون أن للإنسان درجة إذا وصل إليها سقط عنه التكليف .

قال ابن تيميـــة رحمـــه الله : « ومن هؤلاء - أى الصوفية - من يحتج بقوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] ويقول معناها : اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة فإذا حصل ذلك سقطت العبادة ، وربما قال بعضهم : اعمل حتى يحصل حال فإذا حصل لك حال تصوفى سقطت عنك العبادة » [٣] .

---

(١) أصول الكافى ٤١/٣ .
(٢) أصول الكافى ٢٤٤/٣ .
(٣) الفتاوى ٤١٧/١١ .

ويقول عنهم كذلك : « والغالية فى المشايخ قد يقولون : إن الولى محفوظ والنبى معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولى لا يخطىء ولا يذنب »[1] .

ويقول الدكتور إبراهيم هلال وهو يتحدث عن نتائج غلو الشيعة والصوفية فى ذكر فضائل الأولياء : « ولعل أبرز مظاهر هـذا التفضـيل ما يدعيه بعض الصوفية من حلول الله فيهم أو اتحادهم به مما يتضمن القـول بألوهيتهم وتصرفهم فى الأكوان وفى الناس »[2] .

ولعل هذا هو السبب وراء التقديس وصرف العبادة إلى الأولياء المتمثل فى بناء القباب على قبورهم والطواف حولها ودعاء أصحابها والذبح والنذر لهم إلى غير ذلك من صور العبادات التى لا يكاد يسلم منها بلد من بلدان المسلمين إلا من رحم الله عز وجل .

وقد كان هذا الانحراف فى الفكر الصوفى من الأسباب المباشرة لظهور الشرك فى الأمة بتقديس الأموات وطلب الحاجات منهم واتخاذ قبورهم مزارات وأماكن عبادة فزاحم تعظيم الأموات توحيد الله عز وجل فى القلوب ، فكثرت الأضرحة وتعددت الفرق والأحزاب لكل حزب ضريح به يستغيثون وعنده ينيخـون وإليـه عند نزول الحوادث يلجأون .

د – انحرافات طائفية حديثة :

تتمثل فى طوائف مستقلة – كالبهائية والقاديانية – ونحوها من الطوائف التى خرجت على عقيدة الإسلام بدعوى النبوة لزعمائها ونزول الوحى عليهم وهى تتستر فى كثير من البلدان باسم الإسلام وهى خارجة عليه لمخالفتها لعقيدة : « ختم النبوة » التى هى جزء من عقيدته .

فإن زعيم البهائية « حسين على المازندرانى » يزعم أنه نزل عليه الوحى وجمعه فى

---

(١) منهاج السنة ١/٤٤ .

(٢) ولاية الله والطريق إليها / ١٨٧ /.

كتاب سماه : « الأقدس » (١) وقد ورد فى هذا الكتاب ما يلى : « لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار ، يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحى تفكروا يا أولى الأفكار » (٢) فهو يزعم بهذا أنه قد فتح باب النبوة وفض ختمها ليوحى إلى البهاء وهو ما صرح به فى كتاب آخر من كتبه حيث ذكر أنه : « فك ختم النبيين » (٣) .

وكذلك زعيم القاديانية : « غلام أحمد بن غلام مرتضى » له كتاب اسمه : « تذكرة وحى مقدس » (٤) يزعم أنه أوحى به إليه وقد كتب بأربع لغات وهى : العربية ، والفارسية ، والأردية ، والإنجليزية .

وقد ورد فيه ما يلى : « إنا أرسلنا أحمد إلى قومه فأعرضوا وقالوا : كذاب أشر » (٥) و: « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وتهذيب الأخلاق » (٦) .

وليست هاتان الطائفتان هما الوحيدتين فى ادعاء نزول الوحى بل هناك طوائف أخرى وأشخاص آخرون ادعوا نزول الوحى كزعيم البلالين : « اليجا محمد على » فى أمريكا وغيره .

ثانيا : فى العبادة :

لقد تعرضت العبادات إلى انحرافات أخرى متعددة نورد طرفا منها :

أ - الغلو المفرط فى أدائها :

والذى كان يتمثل فيما سبق فى طائفتى الخوارج والصوفية حيث كان لكل منهما غلو مفرط فى جانب أو جوانب منها .

فالخوارج شددوا على أنفسهم وحملوها فوق طاقتها من قيام بالليل وصيام بالنهار حتى ظهر ذلك على ملامح وجوههم ومظاهر أجسادهم .

---

(١) هذا الكتاب مطبوع مع كتاب : « خفايا الطائفة البهائية » .
(٢) ص ١٤١ .
(٣) ذكره محب الدين الخطيب فى كتابه : « البهائية » ص ٢٧ .
(٤) وهو مطبوع فى الهند .
(٥) ص ٤٠٣ .
(٦) ص ٤٠٦ .

وقد وصفهم ابن عباس بعد زيارة لهم فقال : فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادا ، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن (١) الإبل وعليهم قمص مرحضة (٢) مشمرين ، مسهمةٌ (٣) وجوههم من السهر ..) (٤) .

وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه الطائفة بقوله : « يخرج قوم من أمتى يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ولا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ... » رواه مسلم وأبو داود (٥) .

وأما الصوفية فقد بالغوا فى الذكر والزهد وعاشوا فى ظلمات الخلوات للوصول إلى « درجة اليقين » التى تسقط عندها عنهم كل التكاليف الشرعية - بزعمهم - (٦) .

وقد أنكر ابن عقيل رحمه الله عليهم هذه الأهواء والبدع فقال : « ما أعجب أموركم فى المتدين : إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة » (٧) .

ب - الإهمال المطلق للعبادات والاكتفاء بالتلفظ بالشهادتين :

وهذا الانحراف كان من ثمرات الإرجاء الذى لا يعطى للعمل اهتماما إذ إن الإيمان يثبت عند المرجئة بالقول فقط - عند بعضهم - و بالاعتقاد عند البعض الآخر .

وكان جهم بن صفوان هو أول من زعم أن : « الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط » (٨) .

---

(١) الثفن : جمع ثفنة : ركبة البعير ونحوها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك .

(٢) رحضة : وصف للملابس القديمة التى بليت من كثرة استعمالها وغسلها .

(٣) مسهمة : أى متغيرة .

(٤) تلبيس إبليس ص ٢٠٥ .

(٥) رواه مسلم ح / ١٠٦٦ ، وأبو داود ح : ٤٧٦٨ وما بعده .

(٦) الفتاوى ١١/٤١٧ .

(٧) تلبيس إبليس ص ٢٠٦ .

(٨) مقالات الإسلاميين ١/٢١٤ ، الفرق بين الفرق ٢١١ - ٢١٢ .

وذكر البغدادى أن المرجئة : « إنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان .

جـ – عدم التزام كثير من المسلمين بالأداء الصحيح للعبادات :

فترى أحدهم يؤدى هذه العبادات ولا يلتزم فيها بشروطها وواجباتها وأوقاتها .

ثالثا : فى الشريعة :

لم تقتصر الانحرافات على الجانبين السابقين بل شملت – كذلك – حتى جانب الشريعة حيث تعرضت فى الأونة الأخيرة التى تمزقت فيها الأمة وتحطمت فيها الخلافة الإسلامية – تعرضت إلى انحراف وفساد بل إلى حرب وعداء فى كثير من البلدان الإسلامية نعرض طرفًا منها :

أ – محاربة الشريعة واستبدال القوانين الوضعية بها :

وهذا من آثار الاستعمار العسكرى والفكرى الذى فرق الأمة وأفسد عقليتها بحضارته وصناعته وكفره وجحوده .. فوجد فى المسلمين من يتحمس لقوانينه وفكره ويدعو إلى تطبيقها ومتابعتها .

وقد حظيت هذه الفئة بعناية الاستعمار ورعايته وسلم له زمام المجتمعات التى كان يسيطر عليها فخلفه فيها وقام على تطبيقها وتنفيذها بكل دقة .

ولعل الشروط التى فرضتها دول الاستعمار على مصطفى كمال أتاتورك تبين المخطط الاستعمارى لحرب الإسلام ومحاولة فصل الأمة عنه .

يقول الأستاذ محمد محمود الصواف : « وهذه هى الشروط الأربعة المشئومة التى فرضتها دول الاستعمار على تركيا :

١ – إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا من تركيا .

٢ – أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام .

٣ – أن تضمن تركيا تجميد وشلّ حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية فى تركيا .

٤ – أن يستبدلوا الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدنى بحت .

فقبل مصطفى كمال هذه الشروط ونفذها بحذافيرها فتركته دول الاستعمار (١) .

ب – محاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الوضعية :

فيؤخذ من الشريعة ما يتعلق بالأمور الشخصية وتكمل بقية الجوانب من القوانين الوضعية .

وقد ذكر الأستاذ محمد الخضر الحسين (٢) عن أسلوب دعاة هذا المبدأ فقال : « فاخترع هؤلاء طريقا حسبوه أقرب إلى نجاحهم وهو : أن يدّعوا أن الإسلام : توحيد وعبادات ويجحدوا أن يكون فى حقائقه ماله مدخل فى القضاء والسياسة وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه لعلهم يجدون فى الناس جهالة أو غباوة فيتم لهم ما بيتوا » (٣) .

ويقول الأستاذ مصطفى صبرى (٤) عن هذه المحاول والتى تعنى فصل الدين عن الحكم والسياسة : « لكن حقيقة الأمر أن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه وقد كان فى كل بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون فى البلاد الإسلامية كيد للدين ومحاولة الخروج عليه لكن كيدهم فى فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد فى غيره فهو ثورة حكومية على دين الشعب » (٥) .

هذا عرض موجز لواقع المسلمين الذى قد أصيب فى كل جانب من جوانبه مما كان

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٢٨ .

(٢) عالم جزائرى هاجر إلى دمشق ثم إلى القسطنطينية واستقر أخيرا بمصر وتولى مشيخة الأزهر . توفى عام ١٣٧٧ هـ . انظر معجم المؤلفين ٢٧٩/٩ .

(٣) رسائل الإصلاح ١٠٥/١ – ١٠٦ .

(٤) وهو عالم تركى تولى مشيخة الإسلام فى تركيا وقد عاصر بداية فصل الدين عن السياسية فى عهد مصطفى كمال وقاومها أشد المقاومة ثم هاجر إلى مصر وتوفى بها عام ١٣٧٣ هـ . انظر الأعلام ١٣٧/٨ .

(٥) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المسلمين ٢٨١/٤ .

له أسوأ الأثر على وحدة الأمة واجتماع كلمتها .. فقد أصيبت الأمة فى عقائدها .. وعباداتها .. وشريعتها ..

وما لم يصحح هذا الواقع على ضوء التوجيهات الواردة فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فلن تقوم للأمة قائمة ولن تجتمع لها كلمة .

* * *

القسم الثانى
أسباب هذا الواقع

أولا : جهل الأمة بدينها .

ثانيا : الغزو العسكرى .

ثالثا : الغزو الفكرى .

القسم الثانى

أسباب هذا الواقع

لقد كانت هناك أسباب متعددة وراء ذلك الواقع نذكر أهمها :

أولا : جهل الأمة بدينها :

فقد انتشر الجهل فى الأمة قيادات وشعوبا حتى أصبح كثير منهم لا يعرف من دينه إلا اسمه فلا يعرف أحكامه وعقائده ولا أخلاقه وآدابه فسهل على أعداء الله عز وجل أن ينشروا ضلالهم وأن يبثوا سمومهم بل وسهل عليهم أن يصنعوا لهم عملاء من أبناء المسلمين يحاربون عقيدة المسلمين وينشرون الضلال فى صفوفهم .

قال الأستاذ محمد كرد على : « أصبح الناس بعد المائة السادسة تفتر هممهم شيئا فشيئا فى طلب العلم ورغبوا عن الافتنان بفنونه وحصروا نطاقه وعفوا بعض معالمه فأصبحت مجاهل وكثرت البدع وكثر الدعاة إليها والتعويل عليها »(١) .

ويذكر الأستاذ الندوى وهو يتحدث عن الجهل الذى أصاب تركيا « أنه لم يكن الجمود العلمى والكلال الفكرى مقتصرين على تركيا وأوساطها العلمية والدينية فحسب بل كان العالم الإسلامى من شرقه إلى غربه مصابا بالجدب العلمى وشبه شلل فكرى قد أخذه الإعياء والفتور واستولى عليه النعاس »(٢) .

ثانيا : الغزو العسكرى لبلدان المسلمين :

كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكة خلخلت بناءها وأفسدت أبناءها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات وإمارات واستولت على كثير منها فترات طويلة استطاعت فيها أن تفسد عقائدها وأخلاقها وتغير ولاءها .

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ٢/٤٥ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٥١ .

يقول برنارد لويس : « وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تعدلت وتغيرت الولاءات التى كانت قائمة للخلافة الإسلامية القديمة والتى كانت تحكم العرب والعجم والترك وحلت محلها أفكار ممزقة مبعثرة أوروبية هى مزيج من الوطنية والقومية ونظريات خيالية عن الوطن والقوم حجبت الحقائق القديمة الواقعية فى الدولة والعقيدة »(١) .

فأصبحت بعد ذلك الأمة الواحدة أمما مختلفة ومجتمعات متعددة لكل منها شعاره ومذهبه فتمزقت وحدة الأمة وتعددت ولاءاتها بحسب شعاراتها ومذاهبها .

وكان هذا كله بسبب الغزو العسكرى الذى احتل بلاد المسلمين فترات متفاوته ركز خلالها على إفساد عقيدة الأمة وأخلاقها وقسمها بعد ذلك إلى دول ومناطق أقام لكل واحدة منها حاكما مستقلا .

ثالثا : الغزو الفكرى :

لم يكتف الاستعمار بتحطيم الخلافة الإسلامية وتفريق الأمة إلى دول وشعوب .. ونهب خيراتها وتشتيت ولاءاتها .. بل أضافوا إلى ذلك غزوا للعقول والقلوب بشعارات ومبادىء جديدة تفسد العقول وتخرب القلوب ليبقى لهم السيطرة والنفوذ مادامت هذه الشعارات والمبادىء تحكم هذه البلاد .

وقد ذكر الأستاذ محمد محمود الصواف عن وسائل الاستعمار فى غزو المسلمين والجبهات التى تشترك فى ذلك الغزو ، وأكد أن جميع تلك الجبهات تعمل : « سرا وجهرا لأهداف الاستعمار التى يرمى من ورائها إلى إيقاف الوعى الإسلامى وصد المسلمين عن دينهم إبقاء لسيطرته ونفوذه فى بلاد المسلمين وليتمتع هو وجنوده الأبالسة فى خيرات بلاد المسلمين ويسعى فى سرقة ثرواتهم والسيطرة عليهم فكريا وسياسيا واقتصاديا .

لذا أخذ المستعمرون يبذلون كل الجهود لإشاعة الفساد فى المجتمع الإسلامى العظيم وزرع الشكوك فى العقول الإسلامية وقتل الطموح في نفوس المسلمين ، وبث الفرقة

---

(١) الغرب والشرق ص ١١٠ .

والشقاق فى الصف الإسلامى حتى تعاونت جميع أجهزة الاستعمار من دعائية وسياسية وفكرية واقتصادية لتحقيق أهداف الاستعمار » [1] .

وقد شارك اليهود الاستعمار الصليبى فى تصدير الأفكار والمذاهب المنحرفة إلى بلاد المسلمين .. بل لعل اليهود أكثر حماسا وحقدا على الإسلام ، والتاريخ يؤكد هذه الحقيقة حيث كان اليهود هم أول من وقف فى وجه الإسلام وحاولوا القضاء عليه ولكن الله عز وجل رد كيدهم في نحورهم وحفظ دينه وأعلى كلمته .

فعبد الله بن سبأ « يهودى » أظهر الإسلام لإفساد الإسلام ، ودعاة الإلحاد وزعماؤه اليوم « يهود » أرادوا إفساد العالم :

كارل ماركس الشيوعى « يهودى » [2] .

وفرويد « يهودى » [3] .

ودور كايم « يهودى » [4] .

وهؤلاء هم زعماء المذاهب المنحرفة فى الاقتصاد والأخلاق والاجتماع وقد أثرت مذاهبهم فى المجتمعات البشرية عموما وفى المجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص .

يقول الأستاذ أنور الجندى : « ولا ريب أن اليهودية العالمية هى التى أثارت فى العالم الإسلامى تمزيق وحدة العروبة والإسلام للحيلولة دون الوحدة وعملا على تعميق التجزئة الإقليمية .

ولما كانت وحدة العرب والمسلمين لها جذورها الضخمة البعيدة المدى فى الفكر الإسلامى وفى القرآن نفسه فقد طرحت عشرات المذاهب والقضايا والدعوات والأنظمة والنماذج التى طرحت فى أوروبا لإفساد المفهوم الإسلامى الجامع للعرب والإسلام » [5] .

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ٩٩ - ١٠٠ .
(٢) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٠١ .
(٣) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٠٧ .
(٤) مذاهب فكرية معاصرة ص ١٤٤ .
(٥) الإسلام والعالم المعاصر ٤٢٧ .

ويعترف اليهود بذلك فى « بروتوكولاتهم » حيث يقول البروتوكول التاسع : « ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها » (١) .

وكان من جراء هذا الغزو المشترك أن ظهرت فى بلاد المسلمين اتجاهات منحرفة تتبنى تلك العقائد الضالة وتحاول نشرها فى المجتمعات الإسلامية ولعل الصورة التى يعرضها اللورد كرومر للجيل المصرى الجديد - كما تصورها هو - تنطبق إلى حد ما على مجموعات من أبناء المسلمين الذين أثر فيهم الغزو الفكرى الغربى .

يقول : « إن المجتمع المصري فى مرحلة الانتقال والتطور السريع وكان من نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم « مسلمون » ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية والخصائص الإسلامية وإن كانوا « غربيين » فإنهم لا يحملون القوة المعنوية والثقة بأنفسهم وإن المصرى الذى خضع للتأثير الغربى فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامى لكنه فى الحقيقة ملحد وارتيابى والفجوة بينه وبين عالم أزهرى لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهرى وبين أوربى » (٢) .

هذه هى ثمار الغزو الفكرى فى بلاد المسلمين .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٢٨ .

(٢) ذكره الأستاذ الندوى فى الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ص ١١٤ .

القسم الثالث

أسس الوحدة الإسلامية

أولا : وحدة الغاية. ثانيا : وحدة العقيدة . ثالثا : وحدة القيادة. رابعا : وحدة التشريع.

إن الأمـة الإسـلامية تملك أسسـاً مشـتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها وتوحد كلمتها .. فهى أمة واحدة .. وكتاب واحد .. ورسول واحد .. وهذه هى الأصول والأسس التى تشترك فيها الأمة الإسلامية .

فإذا ما أدركت جيدا والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منها أمة واحدة تلتقى على :

أولا : وحدة الغاية . ثانيا : وحدة العقيدة .

ثالثا : وحدة القيادة . رابعا : وحدة التشريع .

وبهذا تصبح الشعوب الإسلامية « أمة واحدة » تذوب فيها جميع الأجناس والتجمعات شعارها : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ فتحقق للأمة الإسلامية عـزتها وقوتـها المنشودة .

وفما يلى نبين بإيجاز تلك الأسس :

أولا : وحدة الغاية :

إن لهذا الإنسان الذى يعيش على ظهر هذه الأرض : « غاية » يؤديها أثناء وجوده ، إذا عرفها وتمثلها فى حياته سعد فى دنياه وآخرته ، وإذا جهلها أو أعرض عنها فإنه يشقى فى الدنيا والآخرة .

هذه الغاية حددها الله عز وجل بنفسه وبينها في كتبه .. فمن أجلها خلق الإنسان .. ألا وهى : « عبادة الله عز وجل » كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] .

والمسلمون ولله الحمد يدركون هذه الغاية ويعرفونها ولكنهم فرطوا فى القيام بها والعمل بمقتضاها مما كان له أسوأ الأثر فى حياتهم .

فلابد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها ليحقق المسلمون لأنفسهم السعادة فى الدنيا والآخرة .

السعادة فى الدنيا باجتماع الكلمة ووحدة الأمة وطمأنينة النفس واستقامة الحياة .. وهي آمال يحلم بها جميع شعوب العالم ولكنهم لم يهتدوا إلى أسبابها ووسائلها .

ولكن تعدد الغايات وتنوعها يفتت الأمة ويشتت كلمتها ويجعل كل فئة من الأمة لها غاية تخالف غاية الفئة الأخرى تسعى لتحقيقها والوصول إليها .

فغاية اقتصادية .. وغاية سياسية .. وغاية شهوانية .. وهكذا غايات متعددة تنتهى بهم إلى فئات متصارعة وسبل متفرقة .

قال عز وجل : ﴿ وأن هـذا صـراطى مستقيـما فاتبعـوه ولا تتبعـوا السبل فتفرق بكم عن سـبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٥٣] .

ثانيا : وحدة العقيدة :

إن التفرق الذى ابتليت به الأمة فى عقيدتها – كما رأينا طرفا منه فى أول البحث – لا يمكن أن يكـون معـه اجتمـاع للأمة ولا تعاون ولذلك فإنه لابد أولا من علاج لذلك التفرق برد الملحدين إلى الله عز وجـل وتصحـيح عقائد المنحرفين لتتوحد القلوب وتتآلف النفوس .

فأما الذين ابتلوا بمرض الإلحاد فقد كان ذلك فى غيبة من الوعى الإسلامى وفى وقت الانبهار بالحضارة الغربية التى تمردت على الدين بل حملت لواء الحرب ضده .

والآن وقد بدأ المسلمون يدركون حقيقة الحضارة الغربية وما تحمله من سلبيات وثمرات فاسدة .. بدأ الوعى يدب فى صفوفهم ويدركون قيمة هذا الدين وأنه لا سعادة للإنسان فى هذه الحياة بدون أن يلتزم بعقيدته وتوجيهاته .

يقول الأستاذ محمد محمود الصواف : « وفى يقينى أن الزمن الذى كان يسمى فيه الإسلام « رجعية » و« تزمتا » قد مضى وانقضى حيث تعرى خصوم الإسلام وانكشفوا وظهر زيف دعواتهم الباطلة من قومية واشتراكية وحزبية قاتلة وغيرها من فتن هذا العصر المضللة ورأى الناس خيبتها وخسرانها وتضييعها للأوطان وتدميرها وعبثها بحقوق الإنسان ، ورأوا عن كثب ويلاتها على العرب الذين ابتلوا بها ، بل ويلاتها على الجنس البشرى فى جميع أنحاء الأرض ومن دعاتها من رأى ذلك بأم عينه ولكنه معاند مكابر لا يعترف بإخفاقه ولا يريد الخضوع أمام غيره .

ولم يعد الإسلام « رجعية » كما كانوا يسمونه وتسميه إذاعاتهم بأصواتها المنكرة المبحوحة .. بل عاد الإسلام والناس يتلمسونه فى الميدان ويسألون عنه فى كل مكان وينادى به اليوم من لم يكن يعرفه بالأمس ولا يعرف عنه النداء باسمه من قبل . وامتلأت المساجد بالوافدين الجدد وآب الكثيرون إلى الله سبحانه يسألونه العز والنصر والفرج القريب لهذه الأمة المنكوبة برجالها وشبابها وقادتها في هذا الجيل المخفق الخاسر الذى هو جيل الهزيمة المنكرة .. فإذا كثر سواد الصالحين وزاد عدد المؤمنين فبشر الأمة بالنصر المبين »[1] .

فالوعى الدينى استيقظ فى الأمة وهو في حاجة إلى من يوجهه وجهة صحيحة ليكون أساسا واحدا لجمع كلمة الأمة ويقضى على المذاهب المنحرفة والعقائد الضالة المتسللة إلى مجتمعات المسلمين .

وأما الانحرافات الأخرى التى طرأت على عقائد المسلمين سواء فى التوحيد العملى أو فى التوحيد العلمى فإن ذلك يستدعى جهودا مخلصة وأقلاما تعالج تلك الانحرافات بحكمة وموعظة حسنة إذ إن أصحابها أو كثيرا منهم لا يتعمد الانحراف ولا يرضى به لو كشف له ، لذلك فإن مخاطبتهم يجب أن تكون بأسلوب لين وبجدال حسن .

فإذا قدر للأمة أن تجتمع فى عقيدتها فإن ذلك سيفسح المجال للاجتماع والوحدة الإسلامية .

---

(١) معركة الإسلام ص ٢٦ – ٢٧ .

ثالثا : وحدة القيادة :

للمسلمين قيادة واحدة على مدار الزمن واختلاف المكان وتعدد المذاهب .. وكل قيادة سواها إنما تستمد شرعيتها من متابعتها لهذه القيادة والالتزام بمنهجها والسير على طريقها .

هذه حقيقة يقوى وضوحها فى أذهان المسلمين كلما صفت العقيدة وقوى الإيمان .

وهى حقيقة قررها الله عز وجل فى كتابه وأكدها فى مواطن كثيرة لئلا تغفل عنها الأمة الإسلامية .

قال الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [سورة النساء : آية ٥٩] .

وقال عز وجل : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ [سورة النساء : آية ١١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [سورة الحشر : آية ٧] .

وهكذا تكرر التأكيد على هذه الحقيقة فى عشرات المواضع من القرآن الكريم .

فإذا ما اتضحت هذه الحقيقة وتقررت فى أذهان المسلمين فإنه يمكن أن تتحد كلمتهم وتجتمع صفوفهم .

فالرسول ﷺ هو : « القائد » والجميع أتباع له وأنصار به يتأسون ولحكمه يخضعون وإلى سنته يتحاكمون .. هذا أصل لا يمكن أن تتوحد الأمة بدون إدراكه والالتزام به .. وهذا ما يقتضيه الإيمان بالله عز وجل وإلا فإن الإيمان يبقى دعوى بدون دليل .

وكل قيادة أخرى تحاول أن تلغى هذه القيادة أو تقلل من شأنها فإنها قيادة خارجة

عن الإسلام محاربة له .. بل كل قيادة تتمرد هى فى ذات نفسها عن هذه القيادة أو تنحرف عن متابعتها فهى قيادة منحرفة .

رابعا : وحدة التشريع :

من الأسباب الرئيسية لتمزق الأمة الإسلامية تعدد التشريعات وتنوعها ، تلك التشريعات التى لا صلة لها بها ولا علاقة لها بدينها ، بل هى مضادة لدينها محاربة لعقيدتها .. فوقعت الفجوة بين التشريعات والواقع .. وبين القيادات والشعوب .. بل بين القيادات أنفسها .. فانعكست تلك الخلافات على الأمة الإسلامية .

وما لم يوحد التشريع الذى يحكم الأمة فيكون تشريعا مستمدا من دينها القويم فإن كل محاولة لوحدة الأمة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة فاشلة .

فإنه ليس هناك مكان لتشريعات أخرى فى المجتمع الإسلامى وليس لأحد من البشر حق وضع تشريع يحكم الحياة فى المجتمع الإسلامى ، فالحق لله عز وجل وحده وليس لأحد من خلقه أن يتلقى تشريعاته من غيره سبحانه .

قال الله عز وجل : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٣٦] .

فالنفس البشرية ذات طبيعة معقدة ، ومعرفة ضوابط إصلاحها أو أسباب فسادها أمر لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد اعترف علماء الغرب بذلك وأكدوا أن العلوم البشرية لم تستطع أن تبين حقيقة الإنسان .

وأشهر من أعلن هذه الحقيقة هو الطبيب الفرنسى : « الكسيس كاريل » حيث يقول : « فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان مازال غير كاف وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية فى الغالب » [١] .

فإذا كانت معلومات الإنسان عن نفسه رغم ما يملكه من وسائل المعارف المذهلة التى لم يكن يحلم بوجودها الإنسان فى الزمن الماضى – إذا كانت رغم كل ذلك بدائية .. فهل

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ١٩ .

يمكن أن يضع تشريعا يحكم حياته ويقوده إلى تحقيق إنسانيته ؟!

ولهذا فإن العودة إلى شريعة الله عز وجل أمر ضرورى .. ضرورى لأنه أمر أوجبه الله عز وجل .

وضرورى لأن الإنسان ليس له قدرة وضع التشريع المناسب .

وضرورى لأن الأمة لا تجتمع وتشريعاتها مختلفة .. إذ للتشريع أثر فى حياة الإنسان .. فى مفاهيمه .. فى تصوراته .. فى موازينه .. فلابد من وحدة التشريع لتتحد مفاهيمه وتصوراته وموازينه .. ومن ثم تتحقق له وحدته المنشودة .

القسم الرابع
وسائل تحقيق الوحدة

أولا : التعليم الموجه . ثانيا : الإعلام الهادف الملتزم . ثالثا : الاقتصاد المستقل .
رابعا : العمل على الاكتفاء الذاتي . خامسا : إيجاد مراكز إسلامية .

عرضنا فى القسم السابق أسس الوحدة الإسلامية التى لابد من تحقيقها لتوحيد الأمة الإسلامية ، وهى وإن كانت شرطا فى تحقيق إيمان المسلم ، فلا يكون مسلما بدونها فإنها شرط فى تحقيق الأمة واجتماع كلمتها كذلك .

ولكن هذه الأسس - كما رأينا من قبل - قد تعرضت للفساد والانحراف واختفت أو تشوهت فى كثير من المجتمعات الإسلامية فكان لابد من إظهار ما اختفى منها وتصحيح ما تشوه .

وهذا أمر يحتاج إلى وسائل متعددة وجهود مكثفة للقيام بذلك الدور ورعايته فى المجتمعات الإسلامية .

ومن تلك الوسائل ما يلى :

أولا : التعليم الموجه . ثانيا : الإعلام الملتزم . ثالثا : الاقتصاد المستقل .

رابعا : الاكتفاء الذاتى . خامسا : إيجاد مراكز علمية .

ونذكر ما يتعلق بهذه الوسائل فيما يلى :

أولا : التعليم الموجه :

إن المناهج التعليمية من أخطر الوسائل وأكثرها تأثيرا فى المجتمع إذ إنها طريق للغالبية من المجتمع أو لجميع أفراده بحسب مستوى المجتمع وحرصه على التعليم .

فالمدارس الرسمية والأهلية تحتوى على مناهج تعليمية إجبارية وكل منتسب إليها لابد له من هضمها واستيعابها ، وبالتالى فلابد من حصول التأثر بها خاصة وهى ترافق

الفرد فى كل مراحل حياته .

ولقد عرف المستعمرون وأعوانهم من مبشّرين أهمية « التعليم الموجه » فأنشأوا المدارس المختلفة لإفساد أبناء المسلمين عن طريقها .

يقول اليسوعيون : « إن المبشر الأول هو المدرسة » [١] .

ويقول جب : « إن مدارس البنات فى بلاد الإسلام هى بؤبؤ عينى لقد شعرت دائما أن مستقبل الأمر فى سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها » [٢] .

فالتعليم له شأنه وخطره وعدم تصحيح مناهجه وتوجيه أبنائه إلى الغاية الصحيحة فى جميع بلاد المسلمين يبقى عائقا دون توحيد المفاهيم والتصورات والموازين التى لا تكاد تلتقى على أمر واحد في بلاد المسلمين اليوم ولا زالت تسير وفق المخططات التى رسمها لها أعداء الإسلام – إلا ما رحم ربك – .

« فإذا أراد العالم الإسلامى أن يستأنف حياته ويتحرر من رق غيره ، وإذا كان يطمح إلى القيادة فلابد إذن من الاستقلال التعليمى ، بل لابد من الزعامة العلمية وما هى بالأمر الهين ، إنها تحتاج إلى تفكير عميق وحركة التدوين والتأليف الواسعة وخبرة إلى درجة التحقيق والنقد بعلوم العصر مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه ، إنها لمهمة تنوء بالعصبة أولى القوة ، إنما هى شأن الحكومات الإسلامية فتنظم لذلك جمعيات وتختار لها أساتذة بارعين فى كل فن فيضعون منهاجا تعليميا يجمع بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التى لا تتبدل ، وبين العلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار ويدونون العلوم العصرية للشباب الإسلامى على أساس الإسلام وبروح الإسلام ... » [٣] .

وبذلك يمكن أن تصحح المفاهيم وتقوم الموازين فى الأمة فتتحد فى أفكارها وعقائدها وتلتقى على أسس مشتركة من العلم والمعرفة .

ثانيا : الإعلام الهادف الملتزم :

ونعنى به أن يكون الإعلام فى بلاد المسلمـين بكـل أنواعه المسموعة والمرئية والمقروءة إعلاما هادفا له رسالة يسعى لتحقيقها من خلال ما يبثه أو يكتبه ، وتلك

الرسالة هي : « تحقيق العبودية لله في أرضه » وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ويعمل لها المسلمون بكل طبقاتهم .

فيكون للإعلام في بلاد المسلمين رسالة يتمثلها عند كل خطوة يخطوها وكل كلمة يبثها أو يكتبها .

وقد فطن اليهود إلى قوة تأثير الصحافة عندما برزت وخططوا لاستغلالها . فقد ورد في كتاب « بروتوكلات حكماء صهيون » أن « الأدب والصحافة هما أعظم قوتين خطيرتين »(١) .

وفي كتاب : « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » نقلا عن مصادر تبشيرية أجنبية : « إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيؤه لقبول ما تنشر عليه ، بل هي تخلق الرأي العام »(٢) .

وبعد ظهور « التلفاز » والذي لا يكاد يخلو منه بيت ، فإن خطره يكون أكبر وتأثيره أعظم .. فإذا كانت الصحف لا يقرؤها إلا المتعلمون فإن « التلفاز » يراه ويشاهده كل إنسان وليس خاصا بنوعية معينة .

لذا فإن توجيه الإعلام والتزامه بـ : « هدف » أمر ضروري ولا يمكن أن تتحد الأمة وإعلامها إعلام ضائع لا هوية له ولا هدف .. بل في كثير من بلدان المسلمين قد وجه لإفساد الأمة وخلخلة عقائدها .

فإصلاح الإعلام وتصحيح مساره ضرورة بل واجب شرعي تأثم الأمة بإهماله وتضييعه .. ثم تخسر عقيدتها وعزتها .. ولا تتحقق لها وحدة واجتماع وهذه الوسائل

---

(١) انظر التبشير والاستعمار ص ٧١ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٢١٣ ، وانظر رسالة واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ص ١٧٦ ، والغزو الفكري والتيارات المعادية – بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٣٩٦ هـ و الحلول المستوردة ص ٣٦ .

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢٧٦ .

تسير مسارا عشوائيا أو تخريبيا .

ووسائل الإعلام في كثير من البلدان الإسلامية غير ملتزمة بالمنهج الإسلامى الذى يبث الخير وينشر الفضيلة ويحذر من الشر والأخلاق الرذيلة ، بل إن بعض تلك الوسائل تحارب الإسلام وتسيىء إلى أهله بما تنشره من البرامج السيئة والحلقات المنحرفة .. وهذا كله مضاد لدين الأمة ومفرق لجمعها وهادم لأسس الوحدة التى تقوم عليها .

ولن يكون هناك لقاء أو اتحاد وإعلام المسلمين أو بعضه بهذه الصورة فلابد إذن من إعادة بناء الإعلام بناء صحيحا بحيث يكون قادرا على توجيه الأمة وتعميق العقيدة فى نفوسها وتذكيرها بغايتها فى هذه الحياة ، وتبرز المنهج الذى اختاره الله عز وجل لها كما تبين إلى جانب ذلك وحدة القيادة للأمة الإسلامية ، وأنه لم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تنازع هذه القيادة المحمدية أو تزاحمها ، وإن القيادات الموجودة تستمد شرعيتها فى حق الطاعة على الأمة بمتابعتها لتلك القيادة .

فإذا استطاع الإعلام فى البلدان الإسلامية أن يثبت هذه القضايا الأساسية فى نفوس الأمة فإنه عندئذ يكون قد أدى دوره الصحيح فى المجتمع وساهم فى وحدة الأمة .. وإلا فلا وحدة ولا اجتماع .

ويتحقق ذلك بالاختيار الأمين للعاملين فى الإعلام فيختار الكفاءات المؤمنة التى تدرك أهداف الأمة وغايتها .

ثالثا : الاقتصاد المستقل :

إن التشابك المعقد فى العلاقات الدولية اليوم واختلاف الأنظمة الاقتصادية فى العالم قد انعكس أثره على أكثر المجتمعات الإسلامية فتعددت فيها الأنظمة الاقتصادية تبعا للاتجاه الذى يغلب على كل بلد فكان له آثاره السلبية على وحدة الأمة الإسلامية .

والاقتصاد العالمى اليوم فى قبضة « اليهود » فهم يتحكمون فيه كما يشاؤون ، وقد

---

(١) ص ١٤٢ .

(٢) ص ٢١٣ .

جاء فى كتاب : « بروتوكلات حكماء صهيون » موضوع خاص لبيان كيفية التحكم فى اقتصاد العالم والوسائل التى يجب أن تتخذ لتنفيذ هذا المخطط نـورد بعضـا من فقراته .

فقد وضعوا فى حسبانهم إيجاد الأزمات الاقتصادية المفتعلة لزيادة ثرواتهم ويبين ذلك قولهم : « إن الأزمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى البلاد الأممية – قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول فتراكمت ثروات ضخمة ... » (١) .

وعن سحب الذهب من العالم ورد فيه : « وأظنكم تعرفون أن العملة الذهبية كانت الدمار للدول التى سارت عليها ؛ لأنها لم تستطع أن تفى بمطالب السكان ، ولأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول » (٢) .

فالاقتصاد جانب مهم فى حياة المجتمع ولهذا فقد عنى به القرآن الكريم والسنة الشريفة بتنظيمه وبيان جوانبه المباحة والمحرمة ، إضافة إلى خطورة ارتباطه بأنظمة غير مسلمة لا تفرق بين الحلال والحرام ولا تألو جهدا فى إضعاف الأمة المسلمة وتمزيق وحدتها .

لذا فإن العناية به أمر مطلوب شرعا ولابد للأمة وهى تحاول العودة إلى دينها ووحدتها من التحرر من تلك الأنظمة الدخيلة على المجتمعات الإسلامية والعودة إلى النظام الاقتصادى الإسلامى الذى هو جزء من الشريعة الإسلامية الواجب اتباعها .

ولابد من إيجاد اقتصاد إسلامى ليس مرتبطًا بأى نظام آخر لئلا يبقى بين الأمة فجوات تحول دون وحدتها .

ويتم ذلك بإيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة وهيئة اقتصادية تشرف على ذلكم الاقتصاد الإسلامى المستقل .

وبهذا تستقل عن التبعية الاقتصادية الضارة وتقيم لها وحدة اقتصادية قوية على أسس إسلامية .

---

(١) ص ١٧٤ .　　(٢) ص ١٧٥ .

والاقتصاد فى الحقيقة هو جزء من « الشريعة الإسلامية المتكاملة والتى تعتبر أساسا ثابتا لوحدة الأمة .. والذى أريده هنا هو إيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة تعطى للأمة شخصيتها المستقلة وتمهد السبيل لوحدة الأمة وعزتها .

رابعا : الاكتفاء الذاتى :

للأمة مطالب متنوعة لا تستطيع الاستغناء عنها وتلك المطالب تشتمل على كل جوانب الحياة .

* مطالب ثقافية وسياسية . * ومطالب اقتصادية .
* ومطالب عسكرية . * ومطالب صناعية مختلفة .

هذه المطالب لا يجوز بقاء الأمة عالة على أعدائها فيها ، كل بلد إسلامى له وجهة يوليها ويشحذها .. بل لابد من الاستغناء والاكتفاء فى هذه الجوانب بالإنتاج الإسلامى فى بلاد المسلمين وبأيد مسلمة .

فالعمل على اكتفاء الأمة بإنتاجها من أقوى الوسائل لاستقلالها وقوتها وبالتالى لوحدتها واجتماعها ، إذ انقسام الأمة إلى أجزاء تابعة للبلدان المصنّعة لن يمكنها من توحيد صفوفها ولا استقلالها فلابد من هذا الاكتفاء ولو على المدى الطويل .

خامسا : إيجاد مراكز علمية :

لما كانت هذه الوسائل المتقدم ذكرها لابد لها من إعداد وتخطيط بحيث تتحقق بالصورة الصحيحة كان لابد من إيجاد مراكز علمية متخصصة فى كل جوانب الحياة تكون مهمتها التخطيط الدقيق والدراسة المتأنية لتحديد الوسائل والضوابط لتحقيق المطلوب .

وهذه المراكز متعددة الأغراض تمثل هيئات استشارية وتخطيطية تشترك فيها جميع البلدان الإسلامية تضم فى داخلها كفاءات علمية من أبناء الأمة الذين يؤمنون بعقيدتها ويسعون إلى تحقيق أهدافها .

وبهذا كله يمكن للأمة أن تجمع شملها وتتحد كلمتها وتتحقق لها مكانتها التى أرادها الله عز وجل لها ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وما ذلك على الله بعزيز .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لواقع الأمة والأسس التى يجب تحقيقها لوحدة الأمة وتصحيح واقعها والوسائل التى يمكن أن تعين على تحقيق الهدف المطلوب يتبين لنا عدة أمور نجملها فيما يلى :

* أن واقع الأمة واقع مؤلم ولا يرضى الله عز وجل .

* وأن هذا الواقع لا يمكن أن تتوحد الأمة مع استمراره .

* وأن وحدة الأمة مرهونة بتغيير هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة .

* وأن هناك أسسا لهذه الوحدة تعتبر قاعدة ضرورية لوحدة الأمة .

* وأن التغيير المطلوب يحتاج إلى وسائل متعددة لتحقيقه .

هذا واجتماع كلمة الأمة الإسلامية حلم يراود أفرادها وجماعاتها المخلصة التى يحزنها أن ترى أن القيادة والريادة مكبلة بسلاسل الجهل والمعاصى والانحطاط وتترقب اليوم الذى تعتز فيه الأمة وتحتل مكانها الصحيح .

* أمة هادية .　　* أمة رائدة .　　* أمة قائدة .

وإن كانت هناك عقبات فى هذا الطريق وعراقيل يضعها أعداء الله فيه لكن الأمل فى الله عز وجل عظيم أن يحيى نفوس هذه الأمة ، ويوقظ عقولها ، ويقوى عزمها ، ويومئذ تتحطم كل عقبة ، وتتلاشى كل السدود ، ويرتفع صوت الحق ، وينصب ميزان العدل ، وتستظل البشرية بظلال الخير والسعادة .

وصلى الله وسلم على سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه .

الرسالة العشرون .

الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى «لا إله إلا الله»

تأليف
للعَلامة الشيخ سَعيد بن حجي الحنَبلي النجدي
رحمه الله وعَفا عنه

طبعت هذه الرسالة عن نسخة الشيخ محمد رشيد رضا وقد تركنا تعليقاته وما كان لنا من تعليقات تميزت في نهايتها (عماد)

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب عونك)

إلى الاخ الشيخ محمد بن أحمد الحفظي حفظه الله من الآفات ، وجنبه الشرك والبدع المضلات ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

« أما بعد » فوصل الكتاب ، وفهمنا مضمون الخطاب ، وهو قولكم : الشوق إلى الاطلاع على فوائدكم ، وما تنتجه القريحة من عوائدكم ، وههنا عشرة أفصاص في كلمة الإخلاص ، أفيدونا بالكلام عليها وهي هذه : لفظها ، معناها ، حقها ، حقيقتها ، حكمها ، لازمها ، فائدتها ، مقتضاها ، نواقضها ، متمماتها اهـ . ملخص جوابكم « فالجواب وبالله التوفيق » قولكم : ههنا . يشعر أن العشرة لديكم أفصاص ، لو قلت أفحاص ، أي أبحاث لكان أنسب للمقام [1] وكلمة الإخلاص هي لا إله إلا الله ، فأمرها عظيم ، وخطبها جسيم ، أعلاها مثمر ، وأسفلها مغدق ، وهي كلمة التقوى . قال الله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس وأكثر المفسرين : كلمة التقوى « لا إله إلا الله » وقال عطاء الخراساني : هى لا إله إلا الله محمد رسول الله . ا هـ من البغوي ، وقال البيضاوي وغيره : أضاف الكلمة إلى التقوى لأنها سببها ، أو كلمة أهلها ا هـ .

وأصل التقوى اتخاذ وقاية تقيه مما يخافه ويحذره . فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وقاية تقيه منه ، وهي امتثال أوامره ، واجتناب زواجره .

وقولكم : أفيدونا بالكلام عليها . فلست أهلا لذلك ، لأن علمي لم يصل إلى ذلك ، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، لكن مالا يدرك كله لا يترك كله .

ونذكر قبل الشروع في المرام ، مقدمة في فضل العلم لتكون له كالتمام : وقد ورد في

---

(١) الفص يجمع على فصوص والفحص مصدر الأصل فيه ألا يجمع إلا باعتبار أفراده وفص الخاتم قلبه الذي ينقش فيه الاسم وفصوص العظام مفاصلها . قال في أساس البلاغة : وفلان حزاز الفصوص إذا كان مصيبا في رأيه ، وأتيك بالأمر من فصه أي من محزه وأصله . وقرأت في فص الكتاب كذا . ومنه فصوص الأخبار ا هـ فاستعمال الفصوص في مسائل كلمة التوحيد أفصح من استعمال الأفحاص أو الفحوص .

فضل العلم آيات كثيرة ، وأخبار صحيحة شهيرة ، وله آداب وشروط ، من أهمها الإخلاص لله تعالى في طلبه .

قال الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي في شرحه على الأربعين النووية المسمى (جامع العلوم والحكم) وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله تعالى كما خرج [الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى (*) لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة (١) يوم القيامة » وخرج [الترمذي] من حديث كعب ابن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » (٢) . وخرجه ابن ماجة بمعناه . وجاء من حديث جابر (٣) « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتتخيروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار » ا . هـ .

وقال الشهاب أحمد بن حجر العسقلانى في شرح الأربعين النووية عند قوله ﷺ « فإنما أهلك الذين من قبلكم (٤) » الحديث : إن كثرة السؤال من غير ضرورة مشعر بالتعنت أو مفض إليه وهو حرام . وقد نهى الشارع عن قيل وقال وكثرة السؤال ا هـ .

وقال في الإحياء : حقيقة الإخلاص أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وتخلص عنه يسمى خالصا ، ويسمى الفعل المخلص المصفى ، والتصفية إخلاصا ، قال الله تعالى ﴿ من بين فرث ودم لبنًا خالصا ﴾ فإذا خلص الفعل عن

(*) أي من العلوم الدينية وخرج بهذا القيد العلوم المعاشية من فنون الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها فهذه تتعلم لأجل عرض الدنيا ولا يدخل متعلمها في هذا الوعيد بل هو مأجور عليها لأنها من فروض الكفايات .

(١) عَرْف الجنة - بفتح العين المهملة وسكون الراء - ريح الجنة [والحديث صحيح . ص . ج رقم ٦١٥٩] .

(٢) وهو حسن (صحيح الترمذي رقم ٢١٣٨) ومعناه في (صحيح ابن ماجة / ٢٠٩) عماد .

(٣) رواه البيهقي وابن حبان في صحيحه وغيرهما وهو صحيح (صحيح الترغيب / ١٠١) عماد .

(٤) تتمته « كثرة سؤلهم واختلافهم علي انبيائهم » [والحديث أخرجه مسلم] وهذا الشرح لابن حجر الهيتمي الفقيه لا للحافظ العسقلانى .

الرياء كان لله خالصا ا . هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يُحرَم العلم لعدم حسن السؤال إما أنه لا يسأل ، أو يسأل عن شيء وغيره أهم منه .

وقال سلمان لحذيفة : إن العلم كثير ، والعمر قصير ، فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك ودع ما سواه .

« رجعنا إلى الجواب »

﴿ أما لفظها ﴾ فقال في المختصرة المسماة (فاكهة القلوب والأفواه ، في تحقيق ما يتعلق بلا إله إلا الله ، محمد رسول الله) المنتخبة من شرح محمد بن يوسف السنوسي :

فصل في ضبط هذه الكلمة

فينبغي للذاكر أن لا يمد ألف [لا] جداً ، وأن يقطع الهمزة من إله ، إذ كثيرًا ما يلحن بعض الناس فيردها ياء ، وكذلك يفصح بالهمزة من « إلا » ويشدد اللام بعدها ، إذ كثيرًا ما يلحن بعضهم فيرد الهمزة أيضًا ياء ويخفف اللام ، وأما كلمة الجلالة والتعظيم التي بعد « إلا « فلا يخلو إما أن يقف عليها الذاكر أوْ لا ، فإن وقف تعين عليه السكون . وإن وصلها بشيء آخر كأن يقول لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، فله فيها وجهان : الرفع وهو الأرجح ، والنصب وهو مرجوح .

وقد ذكر أهل التجويد في اسم الله تعالى : المحافظة على ترقيق ألفه ، وأن لا يزيد فيها على مقدار المد الطبيعي ، وترقق لام « الله » إذا كُسِرت أو كُسِر ما قبلها وقد أجمعوا على تفخيمها بعد فتحة أو ضمة .

فصــــل

« في إعراب هذه الكلمة »

قد احتوت على صدر وعجز ، فعجزها ظاهر الإعراب ، إذ هو جملة من مبتدأ وخبر ومضاف إليه ، وأما صدرها فلا فيه نافية « وإله » مبنى معها لتضمنه معنى « من » إذ التقدير لا من إله ، ولهذا كانت نصًا في العموم ، كأنه قد نفى كل إله غيره عز وجل من

مبدأ ما يقدر منها إلى مالا نهاية له ، بني الاسم معها للتركيب ، وذهب الزجاج إلي أن اسمها معرب منصوب بها ، وإذا فرعنا على المشهور من البناء فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن وقال الأخفش : لا هي العاملة فيه .

ونقل السنوسي كلاما قال : قال أهل العلم : إن الاسم المعظم في هذا التركيب يرفع ، وهو الكثير ولم يأت في القرآن غيره ، وقد ينصب ، فالرفع بالبدلية أو على الخبرية ، فالقول بالبدلية هو المشهور ، وهو رأي ابن مالك ، ثم الأقرب أن يكون البدل من الضمير المستتر فى الخبر المقدر ، أما القول بالخبرية في الاسم المعظم فقد قال به جماعة .

ومن البسيط الوافي : « لا إله إلا الله » الأصل فيه : الله إله ، فلما أريد قصر الخبر على المبتدأ ، وهو من قصر الصفة على الموصوف ، قدم الخبر فاقترن بإلا لأن المقصور عليه هو الذي يلي إلا ، والمقصور هو الواقع في سياق النفي .

ومن القواعد أن المبتدأ إذا اقترن بإلا وجب تقديم الخبر .

والله مرفوع على أنه بدل من اسم « لا » حملا على محله البعيد الذى هو الرفع بالابتداء الحاصل بالتحويل إليه بعد التقديم وقبل اعتبار النسخ ، والتقدير : لا إله موجود في الوجود إلا الله وهذا هو التقدير المشهور .

فصل

وأما معنى هذه الكلمة فلا تتسع له هذه الرسالة ، لكن لا تخل ببعضه والله المستعان .

فلا شك أنها محتوية على نفي وإثبات ، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الإله غير مولانا عز وجل ، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد ، وهو مولانا عز وجل ، وأتى بإلا لقصر حقيقة الإله على الله تعالى ، وهى الواجب الموجود المستحق للعبادة ، المعبود بحق ، وهو الخالق المستغني عن كل ما سواه ، المفتقر إليه كل من عداه . انتهى كلام صاحب فاكهة القلوب ملخصًا .

ومنه قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابا من دون الله ﴾ [آل عمران : ٦٤] الآية : هذا الخطاب يعم أهل الكتاب ومن جرى مجراهم والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ، ثم وصفها بقوله ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أي عدل ونصف نستوى نحن وأنتم ، ثم فصلها بقوله ﴿ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ﴾ لا وثنًا ولا صليبًا ، ولا صنمًا ، ولا طاغوتًا ، ولا نارًا ، ولا نبيًا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل ، ثم قال تعالى : ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله ﴾ قال ابن جرير : يعنى يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله ، وقال عكرمة : يعنى يسجد بعضنا لبعض . انتهى ملخصًا .

فقد علمت أن معنى لا إله إلا الله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ، وشيئا أنكر النكرات ، وأن لا يطيع بعضنا بعضا فى معصية الله .

ومنه قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أُكلَها كل حين بإذن ربها ﴾ [إبراهيم : ٢٤ ، ٢٥] الآية ، فالكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، أصلها تصديق بالجنان ، وفرعها إقرار باللسان ، وأكلها عمل بالأركان . انتهى من تفسير الحنفي .

وفى تفسير البغوي ﴿ كلمة طيبة ﴾ لا إله إلا الله . انتهى ثم ذكر نحو ما تقدم .

* * *

ومنه الكفر بعبادة غير الله وتوحيده ، قال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ الآية ، أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله ، فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أى فقد ثبت على الصراط المستقيم قال مجاهد ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ يعني الإيمان ، وقال سعيد بن جبير والضحاك : يعني لا إله إلا الله . انتهى ملخصا .

ومنه قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا

الذي فطرني ﴾ [الزخرف : ٢٦ ، ٢٧] الآية ، أي بريء من عبادتكم إلا الذي فطرني ، لأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان ، أو إني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني ، انتهى ملخصًا من البيضاوي .

* * *

ومنه قوله ﷺ « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » رواه البخاري (١) .

وقال الشيخ أبو علي إمام أهل نجد في زمانه محمد بن عبد الوهاب في معني لا إله إلا الله في « كتاب التوحيد » شيئًا عجيبًا ، قال « باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله » إلى أن قال : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فليراجع .

* * *

ومنه قوله رحمه الله في نبذة تسمى « كشف الشبهات » إذا تحققت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون هو التوحيد في العبادة وهو معنى قولك لا إله إلا الله ، فإن الإله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكًا أو نبيًا أو وليا أو شجرة أو قبرًا أو جنيًا ، لم يريدوا أن الآله هو الخالق الرزاق ، فإنهم يعلمون أن ذلك هو الله وحده ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فأتاهم رسول الله ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ هو إفراد الرب بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه ، والبراءة منهم ، فإنه لما قال لهم « قولوا لا إله إلا الله قالوا ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾ الآية » . انتهى كلامه رحمه الله .

(فرعان)

(الأول) في تعريف الإله ، قال الإمام البيضاوي في تفسيره : الله ، أصله إله ،

---

(١) هو في مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه . (ج ، ص ٥٣ طبعة عبد الباقي) ولم أجده في البخاري فلعله خفيّ على مكانه فليحرر [عماد] .

فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام : ولذلك قيل يا ألله بالقطع ، إلا أنه مختص بالمعبود بالحق ، والإله في الأصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق ، واشتقاقه من أله آلهة وألوهة وألوهية ، بمعنى عبد ، وقيل من أله إذا تحير ، إذ العقول تتحير في معرفته ، أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه ، لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته ، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه ، إذ العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد ، وقيل إنه علم لذاته العلية لأنه يوصف ولا يوصف به ، وإلا ظهر أنه وصف في أصله ، لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره صار له كالعلم ، انتهى كلام البيضاوي ملخصا ، وذكر العماد ابن كثير القولين .

(تنبيه)

انظر إلى قول البيضاوي المتقدم ، والإله في الأصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق ، وقوله وإلا ظهر أنه وصف في أصله إلى آخره ، وقول صاحب الفاكهة المتقدم ، وهو من قصر الصفة على الموصوف ، وقول أهل اللغة أله يأله من باب تعب إلاهة بمعنى عبد عبادة ، وتأله تعبد ، والإله المعبود ، وهو الله سبحانه ثم استعاره المشركون لما عبدوا من دونه وإله على فعال بمعنى مفعول ، لأنه مألوه أي معبود ، ككتاب بمعنى مكتوب ، وإمام بمعنى مؤتم به . انتهى من المصباح .

وانظر أيضا إلى قول الشيخ محمد المتقدم وهو قوله : فإن الإله عندهم هو الذي يقصد – إلى آخره ، وقال تعالي ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر﴾ [المؤمنون : ١١٧] الآية قال البيضاوى : يعبده إفرادًا وإشراكا ، انتهى فسمى المعبود إلها .

وعن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من كان قبلكم

حذو القذة بالقذة [1] » رواه الترمذي في صحيحه . فتأمل هذا الحديث وقصة بني إسرائيل المشار إليها تجدها مصرحة بما ذكرنا .

إذا ثبت هذا فالمقصود أن لفظة إله اسم صفة لكل من قصد بشيء من العبادة ، كاسم القاضي لمن ولي القضاء ، والأمير لمن تأمر ، والإمام والمؤذن ونحو ذلك ، فكل من قصد مخلوقا بشيء من العبادة فهو إله لمن قصده ، والإله الأعظم المستحق للعبادة ، المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال هو الله تبارك وتعالى .

وهذا بخلاف اسم الجلالة ، فإنه علم على الرب تبارك وتعالى مختص به وهو المعبود بالحق ، فإنه لم يسم به غيره قال الله تعالى ﴿ هل تعلم له سميا ؟ ﴾ [مريم : ٦٥] .

الفرع الثانى

(فى تعريف العبادة)

قال العماد ابن كثير في تفسيره : العبادة في اللغة من الذلة ، يقال طريق معبد أي مذلل ، وبعير معبد أي مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف ا . هـ .

وعبارة البيضاوي في تفسيره : العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ومنه طريق معبد أي مذلل ، وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة ، ولذلك لا يستعمل إلا في الخضوع لله تعالى انتهى .

وفي حاشية الشهاب على البيضاوي : العبادة أبلغ من العبودية التي هي إظهار

---

(١) القذة ريشة السهم ، أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان [والحديث حسنه العلامة الألباني في ظلال الجنة رقم ٧٦] .
{ عماد بن صابر }

التذلل ، وعُرفت العبادة بأنها فعل اختياري مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى ، انتهى ، والعبادة اسم جنس يشمل جميع أنواعها [1] .

تنبيه

اعلم أن مبنى العبادة على الأمر لتظاهر الأدلة على ذلك ، فمنها قوله تعالى ﴿ إن الحكم ﴾ في أمر الدين والعبادة ﴿ إلا لله ﴾ ثم بين ما حكم به فقال ﴿ أن لا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ﴾ الثابت الذي دلت عليه البراهين – الآيـة . وقوله تعالى ﴿ وقضى ربك ﴾ أمر أمرًا مقطوعا به ﴿ أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ أن مفسرة ، ولا تعبدوا أي بأن لا تعبدوا ، انتهى من تفسير الحنفي [2] .

وقال البغوي في تفسيره ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ أي أمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن . انتهى .

وقد تقدم [3] فى حديث أبي واقد الليثي قول الصحابة : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط ، فإنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر .

وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائله على التوحيد ، ومنه قوله ﷺ « وما أمرتكم به فأتوا به ما استطعتم » الحديث ، متفق عليه . وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

حق الإله عبادة بالأمر لا   بهوى النفوس فذاك للشيطان

إذا تمَّ هذا فالأمر هو استدعاء الفعل بالقول ، ممن هو دونه علي سبيل الوجوب عند الإطلاق والتجرد عن القرينة . فيحمل عليه والله أعلم .

---

(١) هذا في العبادة الشرعية ، وكل ما تقدم من معناها اللغوي فهو من التعريف بالرسم والخواص . وأما حقيقة معناها الفطري الذي يصدق عليها عند العرب وغيرهم أنها كل تعظيم وتقرب بقول أو فعل يبعث عليه الشعور بالسلطان الغيبي الذي هو مصدر النفع ودفع الضر بذاته لا بالأسباب ، وأعظم هذه العبادة الدعاء بطلب منفعة أو دفع مضرة تعذر على الداعي بكسبه واتخاذ الأسباب له فلجأ إليه بشعوره بذلك السلطان الخاص برب العالمين القادر على كل شيء العالم بكل شيء الذي يجير ولا يجار عليه ، والنصوص تدل على هذا ولا سيما الآيات والأحاديث فى الدعاء .

(٢) لعله النسفي .

(٣) انظر (ص / ٣٨١)

فصل

في حكم كلمة التوحيد

وأما حكمها فقال فى فاكهة القلوب والأفواه : اعلم أن الناس مؤمن وكافر ، فأما المؤمن بالأصالة فيجب أن يذكرها مرة فى عمره وينوي بها الوجوب [1] ثم ينبغي له أن يكثر من ذكرها وليعرف معناها لينتفع بها ، وأما الكافر فذكره لهذه الكلمة واجب ، وهو شرط في صحة إيمانه القلبي مع القدرة . انتهي ملخصا .

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قال علماؤنا رحمهم الله : إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه ، فيجب الكف عنه ، فإن تمم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت ، فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصومين ثم بين ﷺ فى الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين ، فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل » متفق

---

(١) قد قال كثير من العلماء مثل هذا في الصلاة على النبي ﷺ بناء على أن الأمر في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ للوجوب وأن الامتثال يحصل بمرة واحدة . ومثل هذا التدقيق أو التقييد بالاصطلاحات لم يكن يخطر ببال الصحابة ولا غيرهم من علماء السلف أولي السليقة العربية ، ولا يعقل أحد منهم ولا عاقل من غيرهم أن يوجد مسلم في العالم لا يذكر كلمة التوحيد في عمره إلا مرة واحدة أو مرتين أو مراراً قليلة ، دع وجوبها في الصلاة . ولنا أن نقول ، على طريقتهم في الاستدلال - إن الله تعالى أمر المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ووصفهم بكثرة الذكر قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ووصف المنافقين بقلة الذكر . وأفضل الذكر لا إله إلا الله ، فهي مما أمرنا بالإكثار منها أو فى مقدمته - فحكمها الإكثار منها لا النطق بها مرة واحدة فى العمر .

عليه . فبين أن تمام العصمة إنما يحصل بذلك [1] ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام .

وقال النووي رحمه الله قوله ﷺ « أمرت أن أقاتل حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » قال الخطابي : معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب ، لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف . ذكر القاضي عياض رحمه الله معنى هذا ، وزاد عليه وأوضح ، فقال : اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لا إله إلا الله تعبيرا عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحّد ، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه . فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده ، ولذلك جاء في الحديث الآخر « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » هذا كلام القاضي (قلت) ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة رضي الله عنه « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » . انتهي كلام النووي ، انتهي من رسالة الشيخ أحمد بن ناصر الحنبلي المسماة « الفواكه العذاب ، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب » .

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين : ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الإسلام الشهادتين ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما وقد أنكر على أسامة بن زيد قتله من قال لا إله إلا الله واشتد نكيره عليه .

---

(١) التحقيق أن المراد بالحديثين واحد وهو الدخول فى الإسلام ومفتاح الدخول فيه من المشركين النطق بكلمة التوحيد فهو يعصم صاحبه فى المعركة إذ لا مجال فيها لصلاة ولا زكاة ، وأما الكفار الموحدون فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد ﷺ كما سيأتي عن النووي ، وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الأخر يراد به قبول شرائع الإسلام وركنها الديني المحض الأعظم الصلاة وركنها المالى الزكاة فمن دان بهما دان بغيرهما ، فإن فرضنا أنه جحد الصيام أو الحج أو غيرهما مما علم من الدين بالضرورة حكم بكفره ، وقد حققنا هذه المسألة فى تفسير (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فيراجع فى الجزء العاشر من تفسير المنار وسيأتي ما يؤيد هذا .

وقال شهاب الدين أحمد بن حجر على شرح الأربعين النووية نحو ذلك .

المقصود أن حكم من قال لا إله إلا الله انها تعصم ماله ودمه ثم يطالب بمعناها وحقها كالكفر بعبادة غير الله وشهادة رسالة محمد ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر شرائع الإسلام وقد تظاهرت الأدلة على ذلك .

فصل

وأما حقها (١) فقال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين : على حديث ابن عمر « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا » إلخ وتقدم فقوله ﷺ « إلا بحقها » وفي رواية « إلا بحق الإسلام » قد سبق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أدخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وأن من العلماء من أدخل فيه فعل الصيام والحج أيضا ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات ، وقد روي تفسير حقها بذلك .

خرج الطبراني (٢) وابن جرير الطبري من حديث أنس عن النبي ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » قيل وما حقها ؟ قال « زنا بعد إحصان ، وكفر بعد إيمان ، وقتل نفس فيقتل بها » ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » انتهى .

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في نبذة له في الحب والبغض في الله واعلم أن قول رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » (يدل) تحقيقا على أن الصلاة من حقها والزكاة من حقها والصوم من حقها والحج من حقها . فهذا تحقيق قوله ﷺ « إلا بحقها » يعني إذا أقروا بالشهادتين وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت « فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم » انتهى والله اعلم .

(٢) قال في مجمع الزوائد (١ / ٢٥ - ٢٦) .

« رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو بن هاشم البيروتي والاكثر على توثيقه » . [عماد] .

وقد ذكر ابن رجب فى شرح هذا الحديث أنه قد ورد قتل المسلم بغير هذه الثلاث ، فمنها اللواط ، ومنها من أتى ذات محرم ، ومنها الساحر ، وذكر غير ذلك .

وأمـا لازمها فالظاهر لـي والله أعلم أنـه داخل فـي حكمها وحقها المتقدمين فتأملهما [1] .

فصـــل

وأما نواقضها فقال في المطلع على أبواب المقنع : النواقض واحدها ناقض ، وهو اسم فاعل من نقض الشيء إذا أفسده ، فنواقض الوضوء مفسداته انتهى ومنه انقض الأمر بعد استقامته فسد .

فنسأل الله الرحمن الرحيم ، اللطيف الكريم ، أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يمتعنا به ويزيد إيماننا ، وأن يدخلنا جنته برحمته ، وأن يعيذنا من أليم نقمته ، إنه جواد كريم ويجيب دعوة العباد .

فأما نواقض لا إله إلا الله فعسير إحصاؤها ، ولا يكاد يطاق استقصاؤها ، وقد تقدم في معنى لا إله إلا الله وفى حكمها جمل من نواقضها فتأمله فنحيلك على باب المرتد .

قال فى الإقناع وشرحه : وهو العمدة عند متأخرى الحنابلة (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا ، ولو كان هازلا ، وأجمعوا على

---

(١) اللزوم الثبوت والدوام ، وفسره بعضهم بعدم الانفكاك ، فلازم الشيء ما يصحبه ولا ينفك عنه في الواقع ، فلازم كلمة التوحيد ما هو أثر فطري طبعي لاعتقاد مضمونها ، وهو غير حقها وحكمها اللذان هما من وضع الشرع ، لا من تأثير الطبع . فالمؤمن الموقن بأنه لا إله يعبد بحق إلا الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء من نفع وضر وعطاء ومنع يلزم يقينه هذا إخلاص الدعاء له وحده في كل شدة تعرض له ، هذا ألصق لوازم الكلمة بصاحبها مهما يكن مسرفا على نفسه ، فإذا كمل يقينه بكثرة الذكر والعبادة كان من لوازم توحيده كمال التوكل والشجاعة فى الحق – إلى غير ذلك ، فأظهر لوازم كلمة التوحيد ألا يدعو صاحبها غير الله فيما هو وراء الأسباب ولا يستغيث غيره في الشدائد ولا ينذر ولا يذبح لغيره نسكاه فويل للمشركين الذين يبيحون كل انفكاك هذه اللوازم عن كلمة التوحيد بدعاء غير الله الخ ويسمونه توسلا إلى الله لا شركا به .

وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو اتخذ له – أي لله – صاحبة أو ولدا ، كفر ، ومن ادعى النبوة أو صدق من ادعاها أو جحد البعث ، أو سب الله ورسوله ، أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله – كفر لقوله تعالى ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة :٦٦] .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به الرسول اتفاقا ، وقال أيضا : أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم إجماعا ، أي كفر لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام قائلين ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ انتهى من الإقناع وشرحه .

فتأمل قوله : وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، فإن ظفرت بهذا الباب ففيه ما يكشف الحجاب .

ونحيلك أيضا على كتاب (الإعلام ، بقواطع الإسلام) تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى الشافعى ، فإنه ذكر فيه الألفاظ والأفعال التي توقع في الكفر عند الأئمة ، حتى أنه ذكر أن العزم على الكفر كفر في الحال .

ونحيلك أيضا على نبذة ألّفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وذكر في آخرها سبع قصص .

« أولاهن » قصة الردة بعد وفاته ﷺ .

وصورتها أن العرب افترقت في ردتها فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا : لو كان نبيا ما مات . وطائفة قالت نؤمن بالله ولا نصلي . وطائفة أقرت بالإسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة ، وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن صدّقوا مسيلمة الكذاب : أن النبي ﷺ أشركه معه في النبوة ، ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا إلا مانعى الزكاة ، فناظر أبو بكر عمر فيهم ، فاقتنع عمر ، وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر فقاتلوهم .

« الثانية » قصة وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهى أن بقايا بني حنيفة لما رجعوا إلى الإسلام وتبرؤا من مسيلمة تحملوا إلى الثغر بأهليهم ، فنزلوا الكوفة ، فسُمع منهم

كلام معناه : أن مسيلمة على حق وهم جماعة ، فجمع عبد الله بن مسعود من عنده من الصحابة فاستشارهم ، فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم . وهذه القصة في صحيح البخاري .

« الثالثة » قصة أصحاب على بن أبي طالب رضي الله عنه لما اعتقدوا فيه الإلهية فدعاهم إلى التوبة فأبوا فخدّ لهم الأخاديد فأضرم فيها النار فقذفهم فيها وهم أحياء ، وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم .

« القصة الرابعة » قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل ظهر في العراق زمن التابعين يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، واستولى على العراق وأظهر شرائع الإسلام ونصب القضاة والأئمة من أصحاب ابن مسعود ، وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة ، لكن في آخر أمره ادعى أمورا باطلة وغلا غلوا فاحشا وزعم أنه يوحى إليه ، فسير إليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزم جيشه فقتلوه . وأجمع العلماء على كفر المختار بن أبي عبيد هذا .

« الخامسة » ما وقع في زمن التابعين وهي قصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد صفات الله ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الأضحى وقال : يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فأني مضح بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه ، ولم نعلم أحدًا من العلماء أنكر عليه ذلك ، بل ذكر ابن القيم في النونية إجماعهم على استحسانه فقال :

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخي قربان

ثم ذكر قصة بني عبيد الله القداح ، ثم ذكر قصة التتار ا . هـ ملخصًا من كلام الشيخ المتقدم ذكره .

وذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أن رجلا لما أتى مطر يسير قال : ابتدأ الخراز يرش سيوره ، وهو قريب للملك فلم يأمر القاضي بقتله مداراة للملك فغضب المسلمون عليه ورفعوا أمره للسلطان فأمر السلطان بقتل قريبه ، وأمر بعزل القاضي

الذي تركه مداراة انتهى . فكل هؤلاء الذين ذكرنا لما نقضوا لا إله إلا الله جرى عليهم ما ذكرنا والله أعلم .

فصـــل

(في بيان فضلها)

فاعلم أنه لو لم يكن في بيان فضلها إلا كونها علما على الإيمان في الشرع تعصم الدماء والأموال إلا بحقها ، وكـون إيمان الكافر موقوفا على النطق بهـا لكان كافيا للعقلاء ، كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ؟

فمنها قوله ﷺ « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له » رواه مالك في الموطأ ، زاد الترمذي في روايته « له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قدير » .[1]

وروى النســائى أنه ﷺ قــال « أفضـــل الذكــر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » .[2]

وروى الترمذي [3] أن النبي ﷺ قال « التسبيح نصف الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه » .

وقال ﷺ « ما قال أحد لا إله إلا الله مخلصا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر » .[4]

وقال ﷺ « أتانى آت من ربي فأخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله الجنة » فقال له أبو ذر : وإن زنى أو سرق ؟ قال « وإن زنى أو سرق »

---

(١) الحديث ثابت بمجموع طرقه أفاده العلامة الألباني في صحيحته رقم / ١٥٠٣ [عماد بن صابر]

(٢) والحديث حسنه العلامة الألباني في (ص . ج / ١٠٤) (والصحيحة / ١٤٩٧) [عماد بن صابر] .

(٣) قال العلامة الألباني « فيه جرى النهدي وهو ابن كليب ولم يروه عنه غير أبي اسحق السبيعي فهو في عداد المجهولين » انظر (المشكاة . ج ١ ص ٩٧) [عماد بن صابر] .

(٤) رواه الترمذي وهو صحيح (المشكاة / ٢٣١٤) (والضعيفة ج ٢ ص ٣٢١) .

كررها ثلاثا كـل ذلك يقول « وإن زنى وإن سرق » وقـال فـي الثلاثة « رغـم أنف أبي ذر » . [1]

وقال ﷺ « من دخل القبر بلا إله إلا الله خلصه الله من النار » .

وقال ﷺ « أسـعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » . [2]

وقال ﷺ « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » . [3]

وعنه ﷺ « لا إله إلا الله مفتاح الجنة » . [4]

وعنه ﷺ أنه قال « من لقن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة » . [5]

وفـي الإحـياء عنه ﷺ « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا غفر له » . [6]

وقال « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير عن أهله » فقيل يا رسول الله من يأبى ؟ قال « من لا يقل لا إله إلا الله » . [7]

فـ « أكثروا من قول لا إله إلا الله من قبل ان يحال بينكم وبينها » [8] فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة الحق ،

---

(١) والحديث صحيح انظر (الصحيحة رقم ٨٢٦) [عماد] .

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما [عماد] .

(٣) رواه مسلم وأحمد عن عثمان رضى الله عنه (ص . ج / ٦٥٥٢) [عماد] .

(٤) في مسند الإمام أحمد والبزار « مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله » وهو ضعيف انظر (الضعيفة رقم ١٣١١) (والدعاء للطبراني رقم / ١٤٧٥) [عماد] .

(٥) أخرجه الحاكم بسند حسن عن معاذ رضى الله عنه قول النبي ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (أحكام الجنائز ص ٣٤) [عماد] .

(٦) قال الحافظ العراقي غريب بهذا اللفظ ، وقال الشيخ ابن السبكي (٦ / ٣٠٢) لم أجد له إسناد (تخريج الإحياء / ٨٨٢) [عماد] .

(٧) صحيح أخرجه الحاكم عن أبي هريرة (ص ج / ٥٠٦٥) [عماد] .

(٨) حديث رواه أبي يعلي وغيره (الصحيحة / ٤٦٨) [عماد] .

وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة .[1]

وفى الإحياء أيضًا قال تعالى :﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ فقيل الإحسان في الدنيا لا إله إلا الله ، وفي الآخرة الجنة ا . هـ . ملخصا من فاكهة القلوب والأفواه .

أما فائدة لا إله إلا الله فقال أهل اللغة : الفائدة ما استفدته من علم أو مال . وما أفادت له فائدة أي حصلت : وأفدت المال استفدته .

وقال فى فاكهة القلوب والأفواه :

فصـــل

(في الفوائد التي تحصل لذاكر هذه الكلمة المشرفة وهي كثيرة) .

فمنها الزهد ، ونعنى به خلو الباطن من الميل إلى فان ، وفراغ القلب من الثقة إلى زائل ، وإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية .

ومنها التوكل ، وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الأسباب ، ولا يقدح في توكله تلبس ظاهرة بالأسباب إذا كان قلبه فارغا منها .

ومنها الحياء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه ، والإمساك عن الشكوي إلى العجزة .

ومنها الغناء ، وهو غناء القلب بسلامته من فتن الأسباب ، فلا يعترض على الأحكام بِلَوْ ولعل ، لعلمه بمن صدرت عنه عز وجل .

ومنها الفتوة ، وهي التجافي عن مطالبة الخلق بالإحسان إليه ولو أحسن إليهم لعلمه

---

(١) ورد في أن "لا إله إلا الله" كلمة التوحيد والإخلاص والتقوى ، والطيبة ، ودعوة الحق ، والعروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة ورد أحاديث عدة بذلك وهي بين صحيح وضعيف ، راجعها إن شئت في تخريج الإحياء استخراج محمود الحداد (ج ٢ ص ٧٢٩ ، ٧٣٠) . [عماد] .

بأن إحسانه وإساءتهم إليه – كل ذلك مخلوق لله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) .

ومنها الشكر ، وهو إفراد القلب بالثناء على الله تعالى ورؤية النعم في طي النقم .

ومنها وضع البركة في الطعام ونحوه ، حتى يكثر القليل ويكفي اليسير . وهذا مشاهد لأولياء الله تعالى . انتهى ملخصا .

(قلت) ومنها أنها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحقها كما تقدم .

ومنها أن من مات عليها دخل الجنة ، لحديث معاذ مرفوعا « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد [1] وغيره من الأحاديث الدالة على ذلك ، وقد تقدم بعضها والله أعلم .

ثم بعد نقل هذه الرسالة من الكتب المذكورة مع ما فتح الله به سنح لي أن أذكر كلاما ذكره ، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب المتقدم ذكره على كلمة الإخلاص يليق ذكره هنا . فإنه ذكر شيئا من تحقيق لا إله إلا الله ، وتحقيق أن محمداً رسول الله ، وما تقتضي لا إله إلا الله . وشيئًا من أنواع العبادة . وشيئا من الشرك ، وشيئًا من فضل لا إله إلا الله .

قال رحمه الله في أثناء كلامه .

فتحققه بقول لا إله إلا الله أن لا يؤله القلب غير الله : حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وإنابة وطلبا .

وتحققه بأن محمداً رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ صريحا أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة – قيل ما إخلاصها يا رسول الله ؟ – قال أن تحجزك عما حرم الله عليك » [2] وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم ولكن إسنادهما لا يصح . وجاء أيضا من مراسيل الحسن نحوه .

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله ،

---

(١) والحديث صحيح (ص . ج / ٦٤٧٩) .   (٢) انظر تحقيق كلمة الإخلاص للعلامة الألباني .

والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ، ودعاءً له ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ونقصًا في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي مَنْشَؤُها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لأجله كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول : ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله : مالي إلا الله وأنت .

وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون .

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله .

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي مَنْشَؤُها من اتباع هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ، ومن أتى حائضًا أو امرأة في دبرها ، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة . وإن كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف « كفر دون كفر وشرك دون شرك » .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ قال الحسن : هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه [1] . وقال قتادة : هو الذي كلما هوى شيئا ركبه [2] ، وكلما اشتهى شيئا أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى .

وروي من حديث أبي أمامة مرفوعا بإسناد ضعيف « ما تحت السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع » وفي حديث آخر « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم ، وقيل لهم كذبتم » ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا

---

(١) رواه الفريابي بإسناد صحيح إلى الحسن في صفة النفاق رقم ٤٥ ، رقم ٤٨ وفيه : « هو المنافق يعبد هواه ، لا يهوى شيئا إلا ركبه » ورواه ابن الجوزي في ذم الهوى ، وغيرهما { عماد } .

(٢) رواه الفريابي بإسناد حسن في صفة النفاق رقم ٤٦ وابن الجوزي في ذم الهوى ، وغيرهما . { عماد }

انتقش [1] » فدل هذا على أن كل من أحب شيئًا و أطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله ، وعادى لأجله فهو عبده ، وذلك الشيء معبوده وإلهه .

ويدل عليه أيضًا ان الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ؟ ﴾ وقال تعالى حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا ﴾ .

فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له ولم يخلص من عبادة الشيطان ، إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » فهم الذين حققوا قول لا إله إلا الله وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله ، محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله وهم عباد الله حقا .

فأما من قال لا إله إلا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذّب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ ﴾ ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ .

فيا هذا كن عبدًا لله لا عبدًا للهوى ، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ « تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار » .

والله ما ينجو غدًا من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار .

من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا .

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه على رأس جبل فقال في كلامه : لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد . فانزعج واضطرب حتى رأى أصحابه أن الصخور قد

---

(١) انتكس : انقلب على رأسه ، وهو عليه بالخيبة . وإذا شيك فلا انتقش : إذا دخلت فيه شوكة لا أخرجها من موضعها بالمنقاش [والحديث أخرجه البخاري والبيهقي عن أبي هريرة (عماد] .

تدكدكت وبقى على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنه نشر من قبره .

قول لا إله إلا الله ، يقتضى أن لا يحب سواه ، فإن الإله هو الذي يطاع محبة وخوفا ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئًا مما يكرهه الله أو كره شيئا مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله . قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ .

قال ليث بن سعد عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ لا يشركون بي شيئا ﴾ قال لا يحبون غيري . وفى صحيح الحاكم [1] عن عائشة عن النبى ﷺ قال « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب الذرة على الصفا [2] فى الليلة الظلماء وأدناه أن يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل » .

وهل الدين إلا الحب والبغض قال الله عز وجل﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ .

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله ويبغض ما يحبه متابعة للهوى ، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي . وقال الحسن : اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته .

وسئل ذو النون متى أحب ربى ؟ قال : إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر وقال بشر بن السرى : ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك . وقال أبو يعقوب النهرجوري : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال رويم ، المحبة الموافقه فى جميع الأحوال وأنشد :

---

(١) لعله يقصد مستدرك الحاكم ، فليس للحاكم فيما أعلم كتاب يسمى بـ "صحيح الحاكم" والحديث في المستدرك (ج ٢ / ٢٩١) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله (فيه عبد الأعلى قال الدار قطني ليس بثقة) .

(٢) الذرة النملة الصغيرة : والصفا الحجر الأملس .

ولو قلت لي متْ متُّ سمعًا وطاعة وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا .

ويشهد لهـذا المعنى قولـه تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ قال الحسن : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حبا شديداً فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله هذه الآية .

ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله فإذا علم أنه لا يتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من طريق الرسول ، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته . ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى قوله – أحب إليكم من الله ورســوله ﴾ كما قرن طاعته بطاعة رسوله في مواضع كثيرة .

وقال ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد ما أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار » . (١)

هــذه حــال السحرة لـمـا سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالـوا لفرعون ﴿ اقض ما أنت قاض ﴾ .

ومتي تمكنت المحبة في القلب ، لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرّجه [البخاري] في صحيحه ، وفيه « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فـإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، و يده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » وقد قيل في بعض الروايات « فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يمشي » . (٢)

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب ، واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا

---

(١) متفق عليه عن أنس .

(٢) قال العلامة الألباني : لم أجد هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين ، وقد ذكرها الحافظ في أثناء شرحه للحديث نقلا عن الطوفي ولم يعزها لأحد وانظر (الصحيحة ج ٤ ص ١٩١) . [عماد بن صابر] .

إلي رضاء الرب ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها .

يا هذا ، اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه ، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف ﴿ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ﴾ ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا ما يريد مولاه .

وفي بعض الكتب السابقة : من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال : ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أوعلى معصية ، فإن كانت على طاعة تقدمت ، وإن كانت على معصية تأخرت . هذا حال خواص المحبين الصادقين .

فافهموا رحمكم الله هذا فإنه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة . وإلى هذا المقام أشار ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال « أحبوا الله من كل قلوبكم » ، وقد ذكرها ابن اسحاق وغيره . فإنه من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادة النفس والهوى ، وإلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمت على فؤادي	بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي	فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي ، بل بكلي	وإن لم يُبقِ حبك لي حراكا
وفي الأحباب مخصوص بوجد	وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود	تبين من بكى ممن تباكى

ومتى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة إلا الدعوى ، إنما المحب من يفنى عن كل هوى ويبقى بحبيبه « فبي يسمع وبي يبصر » ، القلب بيت الرب .

وفي بعض الإسرائيليات :

(ما وسعتني سمائي ولا أرضي وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن) [1] .

فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك ، وهو لا يرضي بمزاحمة أصنام الهوى . الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه ، أو أن يكون فيه شيء لا يرضاه .

أردناكمُ صرفا فلمـــا مُزجتـمُ بعدتم بمقـدار التفـــاتكم عـــنا

وقلنا لكم لا تُسكنوا القلب غيرنا فأسكنـتم الأغيـــار ، ما أنتم منا

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه . قال الله تعالى﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ السليم هو الطاهر من أدناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس إلا بعد ان يصهر في كير العذاب ، فإذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة﴾ .

من لم يحرق قلبه اليوم بنار الأسف على ما أسلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم له أشد حراً ، ما يحتاج للتطهير بنار جهنم إلا من لا يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه .

أول ما تسعر بهم النار من الموحدين العباد المراؤن بأعمالهم ، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق ، للرياء . لأن يسير الرياء شرك .

ما نظر المرائي إلى الخَلْقِ بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق .

المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية .

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج لا يجوز إلا على غير

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس له إسناد معروف ، وقال الحافظ العراقي : لم أجد له أصلاً . (تخريج الإحياء ج ٤/رقم ٢٣٧٠) . { عماد }

الناقد وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم . وأما عبيد الله حقًا فيقال لهم ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

جهنم تنطفي بنور إيمان الموحدين ، في الحديث « تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي » . (١)

وفي المسند عن جابر عن النبي ﷺ « لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردًا وسلاما كما كانت على إبراهيم ، حتى أن للنار ضجيجًا من بردهم » هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام .

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم . قال الجنيد : قالت النار يارب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء ؟ قال نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى . قالت : وهل نار أعظم مني وأشد ؟ قال نعم : نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين (٢) . في الحديث « من أصبح وهَمُّه غير الله فليس من الله » (٣) قال بعضهم من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه .

وكان داود الطائي يقول : همك عطل على الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجلك أيها الكريم مطلوب .

مالي شغل سـواه مالــي شــغل	ما يصرف عن هـواه قلبي عذل
ما أصنع إن جفــى وخاب الأمل	منــي بـدل ومنـه مــالــي بــدل

إخواني إذا فهمتم هذا المعني فهمتم معني قوله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله صادقا مــن قلبه حرمه الله على النار » فأمــا مــن دخل النار مــن أهل هــذه الكلمة فلقلة

---

(١) قال العلامة الألباني ضعيف رواه الطبراني وابن عدي وغيرهم بسند فيه ضعيف وانقطاع (شرح الطحاوية رقم / ٥٦٦) . { عماد } .

(٢) إن صح هذا عن الجنيد فمراده منه أن نار الحب أشد حرا من جهنم بطريقة التمثيل لا الرواية وهو أشبه بكلام جهلة الصوفية منه بكلام الإمام الجنيد (رح) .

(٣) حديث موضوع أفاده العلامة الألباني (الضعيفة رقم ٣١١) .

صدقه في قولها ، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها .

من صــدق في قول لا إله إلا الله لم يحب سواه ، لم يرج سواه ، لم يخش أحدًا إلا الله ، لم يتوكل إلا على الله ، لم يبق له بقية من أثر نفسه وهواه .

ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة ، قال زيد بن أسلم : إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول : اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك [1] وقال الشعبي : إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب .

وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى النجاة وييسر له أسباب التوبة ، ينبهه على قبح الزلة ، فيفزع إلى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى .

في بعض الآثار يقول الله عز وجل « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من المعايب » وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال « الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث » [2] .

وفي المسند وصحيح ابن جبان عن عبد الله بن مغفل أن رجلا لقي امرأة كانت بغيًا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت : مَهْ ، فإن الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام ، فتركها وولى ، فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها ، حتي أصاب وجهه [3] فأخبره بالأمر فقال ﷺ « أنت عبد أراد الله بك خيرا » ثم قال « إن الله إذا أراد بعبده شرًا أمسك عنه بذنبه حتى يوافى يوم القيامة » .

---

(١) أخذ هذا من حديث أهل بدر الصحيح .

(٢) ذكره الشيخ بالمعنى ولفظه في مسلم « ... لا تسبي الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » (مختصر مسلم رقم ١٤٦٩) .

(٣) بياض في الأصل ، والمفهوم من السياق أنه أصاب وجهه جدار أو نحـوه فَدُمي . ثم ذهب الى النبي ﷺ (وفي كلمة الإخلاص التي نقل منها الشيخ : أصاب وجهه حائطًا ، ثم أتى إلى النبي ﷺ والدم يسيل على وجهه ....) .

يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها من دموع العيون فقد طهرت ، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى فالحمية رأس الدواء ، متى طالبتكم بمألوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام والإسلام يقتضى الاستسلام والانقياد للطاعة ، ذكروها مدحة ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ لعلها تحن إلى الاستقامة ، وعرفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد ، لعلها تستحي من قربه ونظره ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ .

راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت ، فقال لها ما يرانا إلا الكواكب ، فقالت فأين مكوكبها ؟

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب ، فغلقت ، فقال لها هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى . فلم يتعرض لها .

رأي بعض العارفين رجلا يكلم امرأة فقال : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما .

سئل الجنيد عما يستعان به على غض البصر ؟ قال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره . وقال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب . كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء من قربه ونظره .

وصَّى النبي ﷺ رجلا « أن يستحي من الله كما يستحي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه » قال بعضهم استحي من الله على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك .

كان بعضهم يقول : لي منذ أربعين سنة ما خطوت خطوة لغير الله ولا نظرت إلى شيء استحسنه حياء من الله عز وجل .

كأن رقيبا منك يرعى خواطـــري ... وآخـــر يرعـــى ناظري ولســـاني

فما أبصرت عيناي بعدك منظرا ... لغيرك إلا قلـــت قـــد رمقـــاني

ولا بدرت من في بعدك لفظـــة ... لغيرك إلا قلـت قـــد سمعـــاني

ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عـــرجت بعـــناني

فصـــل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها . فنذكر بعض ما ورد فيها .

فهي كلمة التقوى كما قال عمر وغيره من الصحابة .

وهي كلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ونجاة العبد ، ورأس هذا الأمر ، ولأجلها خلق الخلق ، كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجـــن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال الله تعالى ﴿ ومـــا أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحـــي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تـعالـى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا ﴾ .

وهذه الآية أول ما عدد الله على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ولهذا قال ابن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفه لا إله إلا الله ، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه حلال .

وهي مفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحا [1] وفي مسند البزار وغيره عن عياض بن حمار الأنصاري عن النبي ﷺ قال « إن لا إله إلا الله كلمة حق على كريم ولها من الله مكان ، وهي كلمة جمعت وشركت . فمن قالها صادقا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبا أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فيحاسبه » [2] .

وهي مفتاح الجنة وهي ثمن الجنة كما تقدم قاله الحسن ، وجاء مرفوعا من وجوه

---

(١) أي بغير واسطة ولا حجاب

(٢) قال الهيثمي : رجاله موثقون (وهو في كشف الأستار رقم ٤) .

ضعيفة ، " ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة " وهي نجاة من النار ، وسمع النبي ﷺ مؤذنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله فقال « خرج من النار » خرجه مسلم .

وهي توجب المغفرة . في المسند عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال لأصحابه يوما « ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله » فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال « الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني الجنة عليها وأنك لا تخلف الميعاد – ثم قال – أبشروا فإن الله قد غفر لكم »[1] .

وهي أحسن الحسنات قال أبو ذر قلت : يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار ، فقال « إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها » قلت : يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال « هي أحسن الحسنات »[2] ، وهي تمحو الذنوب والخطايا ، وفي سنن ابن ماجه عن أم هانيء عن النبي ﷺ قال « لا إله إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل »[3] .

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما أبقت لا إله إلا الله شيئا .

وهي تجدد ما دَرَس من الإيمان في القلب ، وفي المسند أنَّ النبي ﷺ قال لأصحابه « جددوا إيمانكم » قالوا كيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال « قولوا لا إله إلا الله »[4] .

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والأرض لرجحت بهن ، كما في المسند عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ « أن نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع

---

(١) هذا حديث متكلم فيه بالضعف الشديد .

(٢) صححه العلامة الألباني بمجموع طرقه [الصحيحة / ١٣٧٣] .

(٣) قال العلامة الألباني ضعيف (ضعيف ابن ماجة / ٨٢٧) . [عماد] .

(٤) ضعيف أفاده الألباني (الضعيفة / ٨٩٦) .

كن حلقة مبهمة فَصَمَتْهن لا إله إلا الله » وفيه أيضًا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « إن موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به ، قال يا موسى قل لا إله إلا الله ، فقال يا رب ، كل عبادك يقولون هذا ، قال قل لا إله إلا الله ، فقال لا إله إلا أنت ، إنما أريد شيئًا تخصني به ، قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » .

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجلات والبطاقة ، وقد أخرجه أحمد والنسائي والترمذي أيضا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ .

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله عز وجل ، وفي الترمذي عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال « لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه » وفيه أيضا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر » ويروى عن عباس مرفوعا « ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب إلا قول لا إله إلا الله كما أن شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل » وقال أبو أمامة ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها (١) شيء دون العرش .

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ويجيب دعاءه ، خرج النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه ، مصدقا بها لسانه ، إلا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلي قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله » .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها كما خرج النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبى هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر ، صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده ، يقول الله لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال لا إله إلا أنا وحدي

---

(١) في النهاية : في حديث وائل « لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما نهنهها شيء دون العرش » أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه ١ . هـ .

لا شريك لي ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله لا إله إلا أنا لا حول ولا قوة إلا بي ، وكان يقول « من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار » .

وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة . وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع « أفضل الذكر لا إله إلا الله » .

وعن ابن عباس قال : أحب كلمة إلى الله « لا إله إلا الله » لا يقبل الله عملا إلا بها وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزًا من الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا رجل عمل أكثر منه يوم ذلك » وفيهما أيضا عن أبي أيوب عن النبي ﷺ « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » .

وفي الترمذي عن عمر مرفوعا « من قالها إذا دخل السوق حتى يمسي – وزاد فيها – يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة – وفي رواية وبنى له بيتا في الجنة » (١) .

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول المحشر ، كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : الحمد لله

---

(١) رواه الترمذي من طريق أزهر بن سنان وهو ضعيف وأنكروه عليه وضعفه به علي بن المديني جدا . ومن طريق عمرو بن دينار البصري قهرمان آل الزبير وهو ضعيف يروى المنكرات عن الثقات بل يروي الموضوعات أيضا وقد أنكروه عليه . ومثل هذه المبالغة في الثواب الكثير على العمل اليسير من علامات وضع الحديث .

الذي أذهب عنا الحزن » وفي حديث مرسل من رواية علي كرم الله وجهه « من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، كل يوم مائة مرة ، كان له أمان من الفقر ، وأنس من وحشة القبر واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة » .

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم .

قال النضر بن عربي : بلغني أن الناس إذا قاموا من قبرهم كان شعارهم لا إله إلا الله وقد خرج الطبراني مرفوعا « أن شعار هذه الأمة على الصراط لا إله إلا أنت » .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء . وقد خرجه مسلم ، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء . وقد خرجه مسلم ، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى « عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وفي حديث عبد الرحمن ابن سمرة عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل وفيه « رأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها . وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ « يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » وخرج الطبراني عن أنس عن النبي ﷺ قال « إن أناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة » ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون إذا مارضي ؟ لا يسوى بين من وحّده وإن قصر في حقوق توحيده . وبين من أشرك به .

قال بعض السلف : كان إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه « اللهم لا تشرك من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك . كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم إنك قلت

عن أهل النار إنهم : أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة .

كان أبو سلمان يقول : إن طالبني ببخلي طالبته بجوده ، وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، وإن أدخلني النار أخبرت أهـل النار أني كنت أحبه ، ما أطيب وصله ، وما أعذبه ، ما أثقل هجره وما أصعبه ، في السخط والرضى فما أهيبه ، القلب يحبه وإن عذبه . انتهى كلام الحافظ بن رجب ملخصا .

فتأمل رحمك الله قوله فتحققه بقول لا إله إلا الله أن لا يَألَهَ القلب غير الله الى آخره . وقوله وتحققه بأن محمداً رسول الله أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ الخ . وقوله : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أنه لا إله غير الله الي آخره . وقوله : وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع الخ . وقوله : قول لا إله إلا الله يقتضى أن لا يحب سواه الخ . وقوله : ومن هنا يعلم أنه لا يتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا شهادة أن محمداً رسول الله الى آخره وهذه من متممات لا إله إلا الله وغير ذلك مما يتعلق بلا إله إلا الله ، فإنه إنما يبرز بتأمله لأن له تعلقا بما نحن بصدده والله أعلم .

فهذا ما فتح الله به وبيسره من فضله من الكلام على عشرة الأفصاص على كلمة الإخلاص ، جمعه ولخصه فقير ربه الملتجىء إلى عفوه ومغفرته سعيد ابن حجي الحنبلي النجدي قدس الله روحه ونور ضريحه آمين .

انتهى

طبع هذا عن نسخة حسنة الخط ، قليلة التحريف والغلط ، أخذها الأستاذ الشيخ حامد الفقي المصري من العلامة الشهير الشيخ عبد الله بن بليهد النجدي وقد كتب ناسخها في آخرها ما نصه .

وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة الجمعة في يوم تسع وعشرين من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٩٩ ألف ومائتين وتسع وتسعين على يد المفتقر الى كرم الله صالح بن سالم بن محسن بن شيـبان غفر الله له ولوالديه ولمشائخه ولجميع المسلمين آمين .

المحتـــوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الصفحة الموضوع

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

١ - آداب المشي إلى الصلاة .	تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب .
٢ - الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية .	تأليف الحافظ : ولى الدين العراقى تحقيق : محمد تامر
٣ - إرشاد الساري إلى عبادة الباري .	تأليف : الشيخ محمد إبراهيم شقرة
٤ - أركان الإسلام والإيمان .	تأليف : الشيخ محمد بن جميل زينو
٥ - استقلال الفقه الإسلامى عن القانون الرومانى .	تأليف : الدسوقي السيد عيد
٦ - الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب .	تأليف : حسن بن عبد الحميد
٧ - الإسراء والمعراج .	تأليف : علي محمد شاكر تحقيق : حسين الجمل
٨ - أسس اختيار الزوجة .	تأليف : مصطفى عيد الصياصنه
٩ - الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً .	تأليف : العلامة الشنقيطى تحقيق : شريف هزاع
١٠ - الاعتصام بالكتاب والسنة وأثره في وحدة الأمة .	بقلم الدكتور / عاصم عبد الله القريوتي
١١ - أفلام الخلاعة والمسكرات والخمور .	تأليف : الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود
١٢ - الإلمام بحكم القراءة خلف الإمام والجواب عما احتج به البخاري .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : شريف محمد هزاع
١٣ -أهمية الالتزام بالإسلام في الدول غير الإسلامية .	تأليف : العلامة ابن باز والعلامة ابن عثيمين .
١٤ - أهوال القيامة .	تأليف : عبد الملك الكليب
١٥ - أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : محمد شاكر الشريف
١٦ - إيضاح الدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن ويليه شرح حديث «بدأ الإسلام غريباً»	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : محمد شاكر الشريف .
١٧ - إيقاظ الهمّة لطلب علم الكتاب والسنة .	جمع وترتيب : عادل بن عبد الله السعيدان
١٨ - بذل الإحسان فى تقريب سنن النسائى أبى عبد الرحمن .	تأليف : أبى إسحاق الحوينى .
١٩ - بذل الماعون فى فضل الطاعون .	تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق : أبى إبراهيم كيلانى محمدخليفة
٢٠ - براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة .	بقلم : د. عبد الله شاكر .
٢١ - براءة أهل السنة من الوقيعة فى علماء الأمة .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد .

٢٢ - بغية الكمال شرح تحفة الأطفال .	تأليف : أسامة بن عبد الوهاب .
٢٣ - البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد .	تأليف : عبد الله عبد الرحمن السّليمانى . تقديم : صالح بن فوزان آل فوزان
٢٤ - البيان والإشهار [وهو فى الذب عن الدعوة السلفية ورد شبهات المخالفين] .	تأليف العلامة : فوزان السابق .
٢٥ - التبيان فيما يبطل عمل الإنسان .	جمع شباب مسجد سعيد بن جبير بالكويت
٢٦ - تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة	تأليف : الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف
٢٧ - تحفة الأحباب من صحيح الأذكار والدعاء المستجاب .	تأليف : الشيخ مصطفى العدوي .
٢٨ - تحفة الأريب بما جاء في العصا للخطيب	تأليف :محمد بن عبد الوهاب الوصابى .
٢٩ - تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة .	تأليف : عبد العزيز عبد الرحمن الشثرى .
٣٠ - التحذير من مختصرات الصابونى .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
٣١ - تحذير ولاة الأمور من المغالاة فى المهور .	تأليف : محمد موسى البيضانى تقديم ومراجعة :مقبل بن هادى الوادعى
٣٢ - تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان .	جمع : عادل بن عبد الله السعيدان
٣٣ - تذكير أولات الألباب بما ورد فى الحجاب والنقاب	تأليف : عادل يوسف العزازي
٣٤ - تذكرة الحج والعمرة	تأليف : الشيخ رجائى بن محمد المصرى
٣٥ - الترقيم وعلاماته فى اللغة العربية .	تأليف : شيخ العربية أحمد زكى اعتنى به : عبد الرحمن فودة
٣٦ - تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف.	تأليف : أحمد فريد تحقيق : ماجد بن أبى الليل
٣٧ - تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال	تأليف : ابن رجب الحنبلي تحقيق : الوليد بن عبد الرحمن الفريان
٣٨ - التعالم وأثره فى الفكر والكتاب .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
٣٩ - تفسير آية الكرسى .	تأليف : محمد الصالح بن عثيمين .
٤٠ - تقاليد يجب أن تزول [منكرات الأفراح وآثارها السيئة على الفرد والأمة] .	تأليف : الأستاذ محمود مهدى استنابولى.
٤١ - التقريرات السنية شرح المنظومة البيقونية .	تأليف : الشيخ حسن المشاط

الكتاب	المؤلف
٤٢ - تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع .	تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
٤٣ - تمام الكلام في بدعية المصافحة بعد السلام .	تأليف : الشيخ محمد بن موسى نصر
٤٤ - تنبيهات هامة على ملابس المسلمين اليوم	تأليف : أبى المنذر عبد الحق عبد اللطيف
٤٥ - تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات من الحلال والحرام .	تأليف : الإمام الشوكانى تحقيق : أبو الاشبال حسن المندوه .
٤٦ - تنبيه أهل العصر بما جاء في الاضطجاع بعد ركعتى الفجر وتبصير الوري بما جاء في صلاة الضحى.	تأليف : عقيل بن محمد المقطرى تقديم ومراجعة :الشيخ مقبل بن هادى
٤٧ - تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإسلام .	تأليف : الشيخ محمد إبراهيم شقرة
٤٨ - التوبيخ والتنبيه .	تأليف : أبى الشيخ الأصبهانى تحقيق : أبى الأشبال حسن المندوه
٤٩ - التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن فى علم الأثر .	تأليف : الحافظ شمس الدين السخاوى تحقيق : حسين بن إسماعيل الجمل
٥٠ - الثبات عند الممات .	تأليف : الإمام ابن الجوزى تحقيق : خالد على محمد
٥١ - ثلاث كلمات في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة .	تأليف : الشيخ عبد المحسن العباد
٥٢ - الثمرات الزكية في العقائد السلفية .	تأليف : أحمد فريد
٥٣ - جامع أحكام النساء « الأدب » .	تأليف : مصطفى بن العدوى
٥٤ - الجرح والتعديل من كلام الإمام الترمذى .	جمع وترتيب : عصام بن مرعى
٥٥ - جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية كثيرة .	تأليف : د. عاصم بن عبد الله القريوتى
٥٦ - حاشية ثلاثة أصول .	تأليف : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب شرح : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
٥٧ - الحجاب لماذا ؟	تأليف : محمد بن أحمد إسماعيل
٥٨ - الحجاب [نعمة وأمل لا نقمة وألم] .	تأليف : الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى اعتنى به : على حسن عبد الحميد الحلبى.
٥٩ - الحسبة في الإسلام ووظيفة الحكومة الإسلامية .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : أبو المنذر سامى أنور
٦٠ - حقوق على العباد دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .	تأليف : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين تحقيق : الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف

٦١ - حقيقة نوادى الروتارى .	إصدار جمعية الإصلاح بالإمارات .
٦٢ - حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
٦٣ - حكم القراءة للأموات .	تأليف : الشيخ محمد عبد السلام الشقيري
٦٤ - حلية طالب العلم .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
٦٥ - الحياء في الكتاب والسنة الصحيحة .	تأليف : سليم الهلالي
٦٦ - الحيدة (وانتصار المنهج السلفى) .	تأليف : الإمام عبد العزيز الكنانى المكى
٦٧ - خمسون زهرة لسعادة المرأة .	تأليف : عبد العزيز بن عبد الله المقبل .
٦٨ - ذم الموسوسين .	تأليف : الشيخ ابن قدامة المقدسي تحقيق : أبى الاشبال حسن المندوه
٦٩- الرجال الذين تكلم عليهم الحافظ المنذر فى كتابه الترغيب والترهيب جرحاًوتعديل ويليه الرواة المختلف فيهم المشار إليهم في نفس الكتاب ويليه رسالة في الجرح والتعديل للحافظ المنذري .	جمع وترتيب وتعليق : أبى سماء ماجد بن محمد ابن أبى الليل
٧٠- الرد على من أجاز تهذيب اللحية .	تأليف :الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى
٧١- الردة وخطرها على المجتمع المسلم .	بقلم : عبد الله أحمد قادرى . (توزيع)
٧٢- ردع الجانى المتعدي على الشيخ الألباني .	تأليف : طارق بن محمد عوض الله
٧٣- ردود على شبهات حول تعدد الزوجات والغزوات .	تأليف د . عبد الكريم زيدان
٧٤- رسالة إلى كل مدخن .	تأليف : الشيخ سليمان بن محمد الحميضي
٧٥- رسالتان إلى المرأة .	تأليف : عبد العزيز بن عبد الله بن باز
٧٦- رسالة في التوبة .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : حسين إسماعيل الجمل
٧٧- رسالة فى الدماء الطبيعية للنساء (الحيض - الاستحاضة - النفاس) .	تأليف : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين
٧٨- رسالة في القواعد الفقهية .	تأليف : الشيخ عبد الرحمن السّعدى
٧٩ - الرياء ذمه وأثره السيئ في الأمة .	تأليف : سليم الهلالي .
٨٠ - زاد المهاجر إلى ربه .	تأليف : ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى .

الكتاب	المؤلف
٨١ - الزواج فى الشريعة الإسلامية .	تأليف : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين والشيخ : عبد العزيز بن محمد داود . تحقيق : حسين بن إسماعيل الجمل
٨٢- سليمان الحكيم « عليه السلام » وبلقيس ملكة سبأ ودروس وعبر من النملة والهدهد .	تأليف : أحمد بن محمد طاحون
٨٣- سمط اللآلى فى الرد على الشيخ محمد الغزالى .	تأليف : أبى إسحاق الحوينى
٨٤- سنن العيدين .	تأليف : الشيخ محمد أحمد الشقيري تحقيق : الصابر بالله بن صابر البناوى
٨٥- الشهاب الثاقب فى الذب عن الصحابى ثعلبة ابن حاطب	تأليف : سليم الهلالى
٨٦- الشهب والحراب على من حرم النقاب .	تأليف : عادل يوسف العزازى (توزيع) .
٨٧- شروط الصلاة وأركانها وواجباتها وآداب المشى إلى الصلاة .	تأليف : الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٨٨- الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة .	تأليف : مصطفى بن العدوى أحمد
٨٩- صفة الصفوة [أربعة مجلدات] (توزيع) .	تأليف : علامة العراق ابن الجوزى الواعظ
٩٠- الصلاة (ومعها تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة) .	تأليف : الأستاذ عبد الملك الكليب والأستاذ عبد العزيز عبد الرحمن الشثرى
٩١- العبادات الشرعية والفرق بينهاوبين البدعية .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق : حسين بن أسماعيل الجمل
٩٢- العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير .	تأليف : أحمد فريد
٩٣ - عشرون كتابا فى مهمات الإسلام للفرد - للأسرة - للمجتمع .	تأليف : جماعة من العلماء العاملين من أهل السنة
٩٤- عقيدة أهل السنة والجماعة .	تأليف : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين
٩٥- الغرباء الأولون أسباب غربتهم ومظاهرها وكيفية مواجهتها .	تأليف : سلمان بن فهد العودة
٩٦- الفتاوى النافعة لاهل العصر (وهو مختصر فتاوى الامام ابن تيمية الخمسة والثلاثون مجلدا) .	اختصار وتحقيق : حسين الجمل .
٩٧- الفرقان بين الحق والباطل .	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تحقيق : أبو الأشبال حسن المندوه
٩٨- فصل الخطاب وجوب الجماعة والقوامة والحجاب .	تأليف : الشيخ رجائى بن محمد المصرى

٩٩- فضائل فاطمة الزهراء رضي الله عنها.
تأليف : أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين
تحقيق : أبي اسحق الحويني

١٠٠- قاعدة السلفيين في جمع كلمة المسلمين .
تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
تحقيق : أبو المنذر سامي أنور

١٠١- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين
تأليف : العلامة عبد الرحمن آل الشيخ

١٠٢- القواعد الذهبية لحفظ القرآن .
تأليف : عبد الرحمن عبد الخالق

١٠٣- الكبائر .
تأليف : الشيخ محمد بن عبد الوهاب
تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصاري

١٠٤- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد
ومعه القول السديد في مقاصد التوحيد .
تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب .
تأليف : الشيخ عبد الرحمن السعدي

١٠٥- كتاب فضل الإسلام وكتاب أصول الإيمان .
تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب .
تحقيق : الشيخ إسماعيل الأنصاري

١٠٦- كتاب الكبائر وتبيين المحارم .
تأليف : الحافظ أبي عبد الله الذهبي
تحقيق : محيي الدين مستو

١٠٧- كشف الخفاء عن أحكام سفر النساء .
تأليف : محمد بن موسى نصر

١٠٨- كشف المتواري من تلبيسات الغماري ورد عدوانه .
تأليف : علي حسن عبد الحميد الحلبي .

١٠٩- كشف المخبوء بصحة حديث التسمية عند الوضوء
تأليف : أبي إسحاق الحويني

١١٠ - كيف تنجو من عذاب القبر وعذاب جهنم .
تأليف : ساعد بن عمر بن غازي .

١١١ كيف نحفظ أولادنا من الانحراف .
تأليف : الدسوقي السيد عيد .

١١٢ - ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ .
تأليف : الداعية الإسلامي أحمد ديدات .

١١٣ - مختصر شعب الإيمان .
تأليف : الحافظ البيهقي اختصار القزويني
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط .

١١٤ - مسئولية المرأة المسلمة .
تأليف الشيخ عبد الله بن جار الله .

١١٥ - مقامع الشيطان في الكتاب والسنة .
تأليف : سليم الهلالي .

١١٦ - من أحكام المريض وآدابه .
تأليف : الشيخ عبد الله بن الجار الله .

١١٧ - من أخلاق الرسول .
تأليف : الشيخ عبد المحسن العباد

١١٨ - من وصايا السلف .
تأليف : سليم الهلالي .